
قسيمة المسابقة داخل العدد
المنهل
٧٤ عاماً
حاضر يحفل بالريادة
AL MANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
العدد (٦١٠) المجلد (٧٠) العام [٧٤] محرم / صفر ١٤٢٩ هـ - يناير / فبراير ٢٠٠٨م
ميزانية النماء تجسيد لعهد الوفاء
قراراتكم زادت من دفء المواطن
أ.د. محمد عمارة:
الخصوصية الإسلامية للاستخلاف
أ.د. أنور ماجد عشقي:
الليدي بيرد جونسن.. بين صناعة الطائرات وعشق الزهور
أ.د. نور الدين صمود:
تلفزيون أبو ظبي وإمارة الشعر
أ.د. يوسف الكتاني:
الحدود بين حرية التعبير والإساءة للآخرين

مما قل:





الهجرة المباركة

(أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).. إنه المغزى الكبير والمطلب الأسمى الرفيع الذي طلبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. من كل العرب حينما عرض على جموعهم قبول رسالته فأعرضوا عنه وعنها. وقد وافق الأنصار على إعطاء هذه البيعة ذات التبعات الجسام. لما أراد الله لهم من الخير والسابقة في الإسلام.

وتوكيدا لمعنى "منعه عليه السلام من المشركين" من قبل من بايعوه من المسلمين. نرى كتاب السيرة النبوية الكريمة يروون لنا في حديث عميق زاهر. أن بيعة العقبة كانت على حرب الأحمر والأسود من الناس. ونراهم يوردون لنا أن الرسول أخذ لنفسه. واشترط على القوم لربه. وجعل لهم على الوفاء بذلك. الجنة. قال عبادة بن الصامت من كبار رجالات الأنصار وأوائل المسلمين: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة. في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا".

وبتأمل هذه الروايات ندرك أن المسلمين الأوائل كانوا "يترجون" حدوث الهجرة لا محالة في الوقت الذي يأذن فيه رب السموات جل وعلا لنبيه العظيم بها.. إلى الجهة التي يأمره بأن يهاجر إليها.. وقد لاح في الأفق بعد بيعة الأوس والخزرج له أن الهجرة ربما تكون على الأرجح إلى بلدهم الذي ارتضوا مقدمه إليهم فيه. وبايعوه على الموت وعلى الطاعة.

أما المشركون من العرب عامة. ومن قريش خاصة.. فإنهم قد سبق لا محالة أن أدركوا من خطبه عليه السلام أنه كان ينوي من قبل. أن يهاجر- عن بلدهم إذا ما هيأت له المقادير أرضا طيبة مؤمنة قوية.. يقيم فيها ويمتنع فيها عن أذاهم ومضارهم المستفحلة المتتابعة..

وهكذا نرى كلا الفريقين: مشركي العرب ومؤمنيهم ــ ينتظرون على اختلاف اتجاهاتهم ومراميهم حدوث هجرة النبي العظيم.. من قبل حدوثها الفعلي..

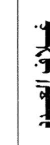
ولا غرو أن يهاجر سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم. من أرض الكفر إلى أرض الايمان فالهجرة كانت دأب الأنبياء من قبله.. والهجرة تقصيه وتقصي دينه عن تناول أيدي الحاقدين والماكرين والأعداء الألداء.. وتوجد له مكانة مرموقة وسندا قويا يتمكن في إطاره أن ينشر تعاليم الدين الحنيف.. وأن يطبقه على الأمة المؤمنة. ثم يطبق هذا المبدأ القويم العظيم على غيرها من أهل الجزيرة العربية أولاً. ومن ثم ينتشر نور الإسلام في شتى آفاق الدنيا.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(صفر ١٣٨٦هـ / مايو ١٩٦٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

غلاف العدد





المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة

عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له - بإذن الله - عبدالقدوس القاسم الأنصاري عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

■ ■ ■

مالكها ورأس تحريرها المغفور له - بإذن الله - نبيه عبدالقدوس الأنصاري من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

■ ■ ■

ترسل جميع المراسلات إلى جُدة على العنوان التالي:

المركز الرئيسي

جُدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

ناسوخ: ٠٢/٦٤٢٨٨٥٣

هاتف: ٦٤٢٧٨٣١- ٦٤٣٩٧٦٥

٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

البريد الإلكتروني:

E-mail : info@al-manhalmagazine.com

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٧٥٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ ديناراً - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ ديناراً لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

أما بعد

أنا بوليس .. لماذا...؟!

قالوا: للسلام.. وقالوا.. مؤتمر الفرصة الأخيرة...!!!

أنا بوليس.. لماذا؟!

أما العالمون ببواطن الأمور فقد قالوا:

(هو لتأسيس قاعدة جديدة للسلام الذي تريده إسرائيل)..

كيف؟!!! ..

قالوا:

القاعدة القديمة كان عنوانها (الأرض مقابل السلام) !!! وهذه القاعدة: إسرائيل خاسرة فيها، حسب منظورها هي..!!!

أما القاعدة الجديدة التي تريدها إسرائيل عنوانها (إسرائيل دولة يهودية..)..

لماذا؟!!

لأن هذا العنوان يقتضي الآتي:

١- كل الأرض التي احتلتها إسرائيل، والتي ستحتلها فهي أرض لليهود فقط..

٢- كل الفلسطينيين في تلك الأراضي هم مجرد (مقيمين) يمكن طردهم في أي وقت شاءوا..

والخطوة الأولى لتأكيد هذه (القاعدة) دولياً، جاءت من الرئيس (بوش) في كلمته الافتتاحية لذلك المؤتمر حيث أكد حق اليهود في (وطن يهودي).. ونفس الجملة (وطن يهودي) كررها وأكد عليها في زيارته الأخيرة للمنطقة..

وغداً..

(وغداً لناظره قريب) سوف يخرج قرار من الأمم المتحدة برقم (.......) يقول (إسرائيل وطن يهودي)..!!!

وبشّر العرب.. بشرٌ قد اقترب..

المحرر

الشركة السعودية للتوزيع

جدة: ٠٢-٦٥٣٠٩٠٩
الرياض: ٠١-٤٧٢٨٨٠٥
الدمام: ٠٣-٨٤١٠٨٤٠
مكة المكرمة: ٠٢-٥٥٨٥٠٧٨
المدينة المنورة: ٠٤-٨٤٧٠١٢٥
الباحة: ٠٧-٧٢٧١١٧٥
الدوادمي: ٠١-٦٤٢١٢٧٤
الجوف: ٠٤-٦٢٥١٨٨٢
الخفجي: ٠٣-٧٦٧١٩٤٧
الطائف: ٠٢-٧٤٥٤٢٢٢
تبوك: ٠٤-٤٢٣١٨١٢
حفر الباطن: ٠٣-٧٢١٠٠٣٦
الجبيل: ٠٣-٣٦٢٠١٥٨
جازان: ٠٧-٣٢٢٠١٠٤
نجران: ٠٧-٥٢٢٠٩٠١
الاحساء: ٠٣-٥٩٢٧٧٠٧
عسير: ٠٧-٢٢١٨٦٩٣
المجمعة: ٠٦-٤٣٢٣١٦٣
حائل: ٠٦-٥٣٢١٥٥٥
ينبع: ٠٤-٣٢٢٥٨٣٤
القريات: ٠٤-٦٤٢١٢٩٦
القصيم: ٠٦-٣٢٤٣٠٧٠
الرقم المجاني: ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦

المشرف العام

أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير

المدير العام

زهير نبيه

عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع:

WWW. al-manhalmagazine.com

فقرات مستلة

فهرس (محرم - صفر) ١٤٢٩هـ

الاشتراكات

جـدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ – فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

الإنسان.. المرتكز..



خادم الحرمين الشريفين، فكره وقلبه ونبضه لهذا الوطن ..

زهير الأنصاري
رئيس التحرير..

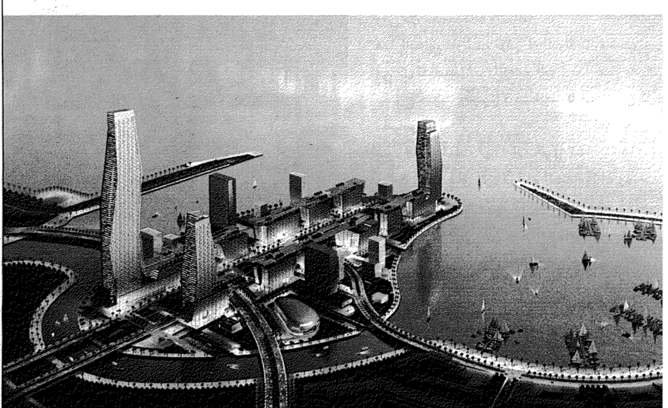
... أن تصنع (إنساناً) فقد صنعت (أمة).. وإن صنعت (أمّة) فقد صنعت (حضارة).. معادلة ظهرت بوضوح كامل في كلمات ولقاءات وتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله سبحانه ورعاه..

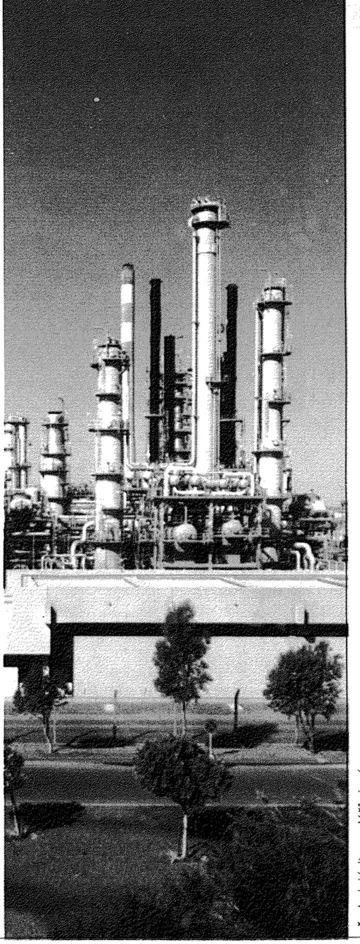
ولا أدلّ على هذا التوجه الحضاري من تخصيص ما يعادل (ربع ميزانية هذا العام ١٤٢٨ - ١٤٢٩هـ) للتنمية البشرية.. وهذا هو العنوان الأبرز والأكبر والأضخم (التنمية البشرية) في كل مضامينها ومعانيها.. وفي كل أهدافها وغاياتها.. وفي كل نتائجها وعطاءاتها..

اهتمام الملك عبدالله- حفظه الله تعالى ورعاه- بـ (إنسان) هذه المملكة الغالية، كان قد ظهر منذ وقت متقدم، ذلك، لاحساسه العميق بأن (إنسان) هذه المملكة هو مرتكز دائرة البناء والتعمير والتقدم والازدهار.. وهو المحور الذي يشع بنور معارفه في كل الانحاء بتوفيق الله سبحانه..

في افتتاحية سابقة كنت قد أشرت لهذا التوجه الحضاري لخادم الحرمين الشريفين.. وذلك بأنه لم يكتف بالتقارير تُقدَّم إليه والمشاريع في الملفات الأنيقة الجميلة، بل ارتحل بنفسه إلى كل مناطق المملكة المترامية الأطراف.. تحرك في كل الاتجاهات ورأى بعينيه وسمع بأذنيه من المسئولين ومن الناس مباشرة ونتيجة لهذه المباشرة التلقائية جاءت توجيهاته السامية لرفعة (الإنسان) في هذا الوطن الغالي.

وكان همه الأكبر ومبتغاه أن يكون إنسان هذه المملكة هو صانع حضارته ونهضته وتقدمه بنفسه.. لا مجرد مستهلك لكفاءات الآخرين وقدراتهم..





الوطن إنسان.. والإنسان وطن..

(المال) كما يقولون- عصب الحياة- و(الإنسان) هو صانع هذه الحياة باعتباره المسْتَخْلَف لاعمارها من عند الله سبحانه..

و(الإنسان) عندما يكون الأبجدية الأولى في صناعة الحياة، يكون الاعتناء به والاهتمام بكل مقتضياته هو اهتمام مباشر بإقامة هذه الحياة على النسق الأمثل لها.. وبهذا المستوى يكون الناتج تنمية مشاهدة بين الأعين وإنماءاً دائماً، متجدداً..

من هنا نستبين أن الإنسان هو نقطة المرتكز..

وترسيخاً وتحقيقاً لهذه المعاني جاءت ميزانية هذا العام وقد رصدت ما يقارب ٢٥٪ منها لـ (التنمية البشرية).. كما أسلفنا.. (التعليم) في كل مراحله، وفي كل تخصصاته وأنماطه..

هذا التعليم المرشَّد، توفر له الدولة كل مدخلاته، في كل تفاصيلها.. والتعليم اليوم غدا صناعة..!! يخرج جيلاً وأجيالاً صانعة للحياة في كل مضامينها..

ميزانية المملكة لهذا العام (١٤٢٨-١٤٢٩هـ) جاءت رقماً فاق كل الأرقام السابقة، إذ وصلت إلى (٤١٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أربعمئة وعشرة آلاف مليار ريال، تزيد على ميزانية العام السابق بـ (٣٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال..

وهذا الرقم الضخم لميزانية هذا العام جاء ليحقق الرفاهية المبتغاة لهذا الشعب..

والرفاهية المبتغاة هنا، هي توفر كل إمكانيات الحياة الكريمة الهانئة لإنسان هذا الوطن الغالي..



في التربية والتعليم.. في الزراعة والمياه.. في الصحة والعافية.. في الصناعة والتجارة والاقتصاد.. في الحياة الاجتماعية والأسرة والطفل.. في البنيات الأساسية.. في الطرق والكباري والجسور..

وفي كل هذا يظل الإنسان هو المرتكز المحوري لتحقيق كل هذه التطلعات.. وهذا بطبيعة الحال يلقي مسئولية كبيرة على إنسان هذا الوطن الغالي.. إذ عليه أن يكون على قدر هذه المسئولية، علماً وبحثاً وتحقيقاً، وأداء ماثلاً على الأرض.. أداء إيجابياً يضعنا في دائرة هذه الثقة الغالية التي وضعنا في بوتقتها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله تعالى ورعاه..

لقد ظل خادم الحرمين الشريفين يؤكد ويؤكد أن

الملك عبدالله حكمة عالية، ولدتها المواقف.. وصهرتها الأيام..

الدولة الناهضة يبنيها أبناؤها.. وهذه الميزانية الضخمة- في كل تفاصيلها- هي يد الخير والنماء الممتدة من خادم الحرمين الشريفين لهذا الشعب الوفيّ الأبيّ..

والقراءة المتأنية لكلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز- حفظه الله تعالى ورعاه- التي قدم فيها منطوق الميزانية الجديدة- القراءة المتأنية لهذه الكلمة الملكية تؤكد كل هذه المعاني التي ذهبنا إليها..

وجاء في كلمته.. (..لقد راعينا في هذه الميزانية

المباركة بإذن الله تعالى- مواصلة توجيه الموارد التي حباها الله تعالى لوطننا الغالي للإنفاق على الجوانب التي تعزز التنمية المستدامة، وتحافظ على ما تم إنجازه..) ليس هذا فحسب بل (تحقق التنمية المتوازنة).

والتوازن في التنمية يحمل بين طياته حاضر التنمية ومستقبلها.. وكما أسلفنا فإن (التنمية البشرية) تأتي في المقدمة دائماً، وهذا ما ظهر جلياً في كلمة خادم الحرمين الشريفين إذ يقول: (فامتداداً لما تم في الأعوام المالية الأخيرة حظي قطاع تنمية القوى البشرية ورفع كفاءتها في مجالاتها المتعددة، بأكثر من ربع اعتمادات الميزانية الجديدة..).

وهذا القطاع المفصلي الهام يشمل: التعليم العالي والعام والتدريب، وبالأخص في مجالات العلوم والتقنية والمعلوماتية ودعم البحث العلمي والتطوير التقني..

أمانة الوطن غالية.. وعلى أبنائه حسن التحمل، وتجويد الأداء..

ولعل جامعة خادم الحرمين الشريفين للعلوم والتقنية تأتي في إطار تنمية هذا التوجه العلمي التقني..

وهذا بطبيعة الحال يسد حاجة البلاد في كل هذه التخصصات الدقيقة من أبناء الوطن..

وعلى هذا جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين قوله: (.. وذلك للرقي بمستوى أداء أبنائنا وبناتنا وتهيئتهم لمواصلة مسيرة النهوض بوطننا المعطاء..) وهذه الكلمات حددت الغاية والهدف المرتجى بوضوح لا لبس فيه.. النهوض والتنمية.. وبناء صروح الحضارة والتقدم.. ومن أجدر وأحق بهذا الشرف غير أبناء الوطن أنفسهم.. وقد خصصت



العلم والعزم والصبر، معادلة البناء والإعمار..

الميزانية لهذا القطاع (قطاع التنمية البشرية) (٣٩,٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال..

وفي قطاع الصحة والتنمية الاجتماعية تم تخصيص مبلغ (٤٤,٠٠٠٠٠٠٠٠) يصرف على رفع مستويات الرعاية الصحية الأولية والثانوية والتخصصية.. وذلك بقصد إنشاء العديد من المستشفيات، ومراكز الرعاية، وكليات الطب، والمستشفيات الجامعية، مع توفير التجهيزات المتقدمة لها..

وفي إطار الخدمة الاجتماعية ترعى الميزانية برامج متخصصة لمعالجة الفقر، ودعم الأسر المحتاجة، ورعاية أصحاب الحاجات الخاصة، ويهدف هذا البرنامج لرفع المعاناة عن هذه الفئات، من سكن وإعاشة ورعاية طبية وتعليمية..

وضمن هذا القطاع الاجتماعي يأتي قطاع القضاء لاتصاله المباشر بالناس، وقد خصصت الميزانية لهذا القطاع مبلغ ٧,٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال وذلك لتعزيز متطلبات هذه الأجهزة التي تشمل تنفيذ نظام القضاء ونظام ديوان المظالم وآلية العمل التنفيذية لكل منهما.

أما قطاعات المياه والزراعة والصناعة والتجهيزات الأساسية وحماية البيئة، وسلامة الغذاء، والصرف الصحي والسدود وحفر الآبار، والمشاريع البلدية فقد خصص لهذه القطاعات مبلغ (٤٥,٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال

وقطاع النقل والمواصلات، في كل تفاصيله المتعلقة به فقد خصصت له الميزانية مبلغ (١٤,٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال.

وفي ختام كلمته قال خادم الحرمين الشريفين: (..نؤكد للمواطنين والمواطنات أن اعتمادات هذه الميزانية المباركة بمشيئة الله تعالى تعكس اهتمامنا بجميع القطاعات، وكذلك بتعزيز الاحتياطات لتوفير مزيد من الاستقرار في المستقبل..).

ويوجه كلمة للمسئولين القائمين على تنفيذ هذه المشاريع أن يكونوا على قدر المسئولية وأن يعملوا بصدق وإخلاص وتجرد.

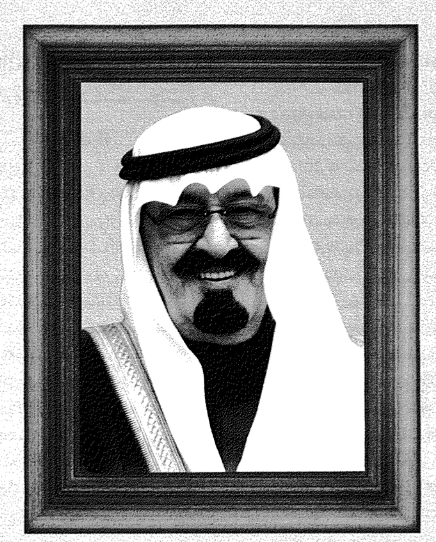
ونلحظ في كثير من كلمات خادم الحرمين الشريفين الدعوة الجادة للعمل المخلص الفاعل من أجل الوطن والمواطن.. وفي هذا المضمون يقول خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله (.. نرغب إلى جميع المسئولين عن تنفيذ هذه الميزانية أن يضعوا نصب أعينهم الإخلاص ومضاعفة الجهد في العمل لمصلحة المواطن والمساهمة في دفع عجلة التنمية الشاملة لوطننا الغالي..)..

ومن الملامح الرئيسية لهذه الميزانية المباركة أنها اشتملت على مشاريع تنموية جديدة بجميع مناطق المملكة، وستساعد هذه المشاريع على رفع معدلات النمو الاقتصادي وإيجاد فرص عمل جديدة للمواطنين وتشجيع الاستثمار.. حسب ما جاء في كلمة وزير الثقافة والإعلام..

هذا، عطاء خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله تعالى ورعاه – وهذه طموحاته وآماله لهذا الوطن الغالي، ولأبناء هذا الوطن الغالي..

وعلى الجميع – من غير استثناء – أن يكون على مستوى هذه الطموحات.. بناءً وإعماراً.. وتقدماً..

كل هذا: بيد أبناء هذه المملكة.. في كل مواقعهم ومسئولياتهم..



المليك .. ونبض الوطن

الغلاء موجة تجتاح العالم بأسره اليوم .. حتى غدا المواطن يشكو، لأنه قد فقد بوصلة النسبة والتناسب بين (دخله) و(السوق)....

.. وجزى الله سبحانه مليكنا خيراً .. خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، لما رأى الأمر هكذا، فقد وجه بتخفيف العبء عن المواطن... وجاءت ثمرة هذا التوجيه الكريم بأن قرر مجلس الوزراء الموقر زيادة معاشات الموظفين والمتقاعدين بنسبة ٥٪ ترتفع إلى ١٥٪ بعد ثلاث سنوات .. هذا مع مجموعة من الموجهات الأخرى تصب في ذات المسار.. نسجلها كاملة في آخر هذه الكلمة..

رعاية المواطن من أجل توفير العيش الكريم له حاضراً ومستقبلاً، ذات مسارين مهمين، وبهما يتكامل الأداء وينتظم العطاء وصولاً إلى الغاية المرجوة:

المسار الأول: هو شأن الدولة، المتمثل في توفير البيئة الاقتصادية الداعمة للمواطن من أجل حياة كريمة، توفر له فيها مدارات العطاء، التي من خلالها يجد المواطن لنفسه مكانها المناسب في تظاهرة هذه الحياة العريضة.. ومتى ما وجد الإنسان مقومات حياته كان أداؤه وعطاؤه أكثر عمقاً وابداعاً..

أما المسار الثاني: فهو شأن المواطن.. إذا كان من الدولة والقائمين عليها ما رأينا وما نرى من أيادي الخير، ودفق العطاء، فإن على المواطن أن يخطط تخطيطاً سليماً واعياً مسئولا لحياته وحياة من يعول..

ولإيضاح هذه الجملة فإني اجتزئ هذه الفقرة الواردة في قرارات مجلس الوزراء الموقر في هذا السياق الذي نحن بصدده: (دعم الحملات الإعلامية الهادفة لتوعية المستهلكين في مجال الأنماط الاستهلاكية غير المرشدة)

دعنا نقف عند الجملة (الأنماط الاستهلاكية غير المرشدة) بل علينا قراءتها ألف مرة ومرة.. بل قراءتها بوعي فاحص.. ومسئولية مدركة.. ذلك لأن الدولة لو أعطت المواطن كل مدخراتها فإن (الأنماط الاستهلاكية غير المرشدة) سوف تبتلع كل شيء..

وهذه مجرد إشارة ينبغي التركيز عليها جيداً.. وهذه هي مسئولية المواطن حقاً..

وجملة أخرى نجتزؤها من هذا النص لها أهميتها وفاعليتها، مفادها: على الجهات المسئولة (رصد تحركات الأسعار).. وهذه الجملة لم تأت اعتباطاً هكذا.. أو عفو الخاطر.. بل هي مرتكز حقيقي في مراقبة السوق، حتى لا تضيع هذه الجهود الخيرة.. والبشر متغايرون في طبائعهم..

بارك الله سبحانه في جهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي يظل ساهراً من أجل هذا الوطن وأبناء هذا الوطن.. تنمية ورقياً وإسعاداً.. ويارك الله سبحانه في جهود كل القائمين على أمر هذا الوطن الحبيب..

ويبقى على المواطن الكريم أن يؤدي دوره الفاعل من أجل نفسه ووطنه..

القرارات التي أقرها مجلس الوزراء خلال اجتماعه برئاسة خادم الحرمين الشريفين.. حفظه الله ورعاه- يوم الاثنين الموافق ١٤٢٩/١/١٩هـ.

١- تتحمل الدولة نسبة/ ٥٠ بالمائة/ من رسوم الموانئ التي تحصلها الدولة، وذلك لمدة ثلاث سنوات.

٢- تتحمل الدولة لمدة ثلاث سنوات/ ٥٠ بالمائة/ من رسوم جوازات السفر ورخص السير ونقل الملكية وتجديد رخصة الإقامة للعمالة المنزلية.

٣- إضافة بدل بمسمى/ بدل غلاء المعيشة/ إلى رواتب موظفي ومستخدمي ومتقاعدي الدولة سنوياً بنسبة/ ٥ بالمائة/ وذلك لمدة ثلاث سنوات.

٤- زيادة مخصصات الضمان الاجتماعي بنسبة/ ١٠ بالمائة/.

٥- استمرار دعم السلع الأساسية للتخفيف من حدة ارتفاع أسعارها ومراجعة ذلك بعد ثلاث سنوات.

٦- التأكيد على تفعيل نظام المنافسة الصادر بالمرسوم الملكي رقم/ م/ ٢٥/ وتاريخ ١٤٢٥/٥/٤هـ الذي يهدف إلى حماية المنافسة العادلة وتشجيعها.

٧- منع أي نوع من الممارسات الاحتكارية، وإعادة النظر في نظام الوكالات التجارية لمنع الاحتكار.

٨- تفعيل الدور الرقابي والتوعوي لجمعية حماية المستهلك.

٩- الإسراع في إنهاء مشروع نظام السياسة التموينية.

١٠- تكثيف جهود مراقبة الأسعار، ومكافحة الغش التجاري، وتفعيل قراري مجلس الوزراء رقم/ ٢٥/ وتاريخ ١٤٢٧/٢/٦هـ، ورقم/ ٢٠٢/ وتاريخ ١٤٢٨/٦/١٧هـ فيما يتعلق بمتابعة الجهات المعنية للتحقق من التزام المحلات التجارية بكتابة بيان السعر على جميع معروضاتها، وضبط أي مخالفة تتعلق بذلك.

١١- تفعيل الهيئة العامة للإسكان بشكل عاجل وتمكينها من مزاولة مهامها خلال هذا العام.

١٢- المسارعة في بناء الإسكان الشعبي الذي تم اعتماد مبلغ عشرة مليارات ريال له، على أن يتم ذلك على شكل وحدات سكنية مناسبة بما في ذلك بنايات متعددة الأدوار، مع استمرار اعتماد مبالغ إضافية للإسكان الشعبي في السنوات القادمة.

١٣- إصدار نظام الرهن العقاري والأنظمة المرتبطة به بشكل عاجل.

١٤- دعم الحملات الإعلامية الهادفة لتوعية المستهلكين في مجال الأنماط الاستهلاكية غير المرشدة، واستمرار تذكيرهم بعدم التأثر بأنواع معينة من الأسماء التجارية للسلع والاهتمام بالبدائل، وتوجيه وزارة الثقافة والإعلام بتنسيق هذه الحملات.

١٥- استمرار وزارة التجارة والصناعة، ووزارة الاقتصاد والتخطيط/ مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات/ ووزارة المالية/ مصلحة الجمارك/، والجهات المعنية الأخرى في إجراء ونشر مسوحات ميدانية دورية/ أسبوعية وشهرية/ للأسواق لرصد تحركات الأسعار.

١٦- استمرار مراجعة الإجراءات المتعلقة بتسعير الأدوية وتسجيلها، والإسراع في إنهاء الدراسة الخاصة بالتأمين الصحي على المواطنين.

١٧- تسهيل إجراءات الاستقدام بما لا يتعارض مع توجهات السعودة وبما يحد من ارتفاع أجور العمالة الماهرة.

د. رضا عبد الحكيم رضوان - مصر

(الصحراء): أرض فضاء واسعة نادرة الماء، لا نبات فيها... جمعها الصحاري(١) والصحراء: البرية (٢)... والبر خصيصته الجفاف عكس البحر، وكلاهما يخضع لسلطانه عز وجل، منظوم بنظمه لا شريك له، عنده العلم كله، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ (الأنعام/٥٩).

وتسمى الصحراء أيضاً (الفلاة) وهي: الأرض الواسعة المقفرة(٣). ومعناها كذلك البيداء(٤)... ولها تضاريس يهتم بدراستها الجغرافيون والجيولوجيون والفيزيائيون وغيرهم من أصحاب العلوم الطبيعية.

أصوات الصحاري.. بين العلوم الطبيعية والشريعة الإسلامية



الأصوات الغامضة في الصحاري، تصدر عن الأشباح والعفاريت في الحس الشعبي

ترى ما حقيقة الأصوات المنبعثة من الصحراء..؟ وكيف تولدت.. بأي لغة هي تصدر...؟؟! وما هو تفسيرها العلمي وما هو بعدها الشرعي؟!.....

حول ظاهرة حدوث الأصوات في الصحارى الرملية... عند أصحاب العلوم الطبيعية... ودلائلها على قدرة الخالق تبارك في مناهج علوم الوحي الشرعية نضع نصب أعين القارئ أحدث المعارف العلمية المتصلة بالعلوم الفيزيائية.. مخاطبين وجدانه وقلبه بمدخلات العظة والاعتبار في كتاب الله عظم ذكره... وذلك من خلال التحقيق التالي:

قديماً.....

لآلاف السنين، كان الرحَّل عبر الصحراء يظنون أن الأصوات الغامضة التي كانوا يسمعونها تصدر عن الأشباح والعفاريت. فقد ذكر ماركو بولو أن أرواح الشياطين تصدر من حين لآخر أصواتا من جميع أنواع الآلات الموسيقية، إضافة إلى أصوات الطبول وتصادم الأذرع...

وقد تنوعت التفسيرات والتحليلات لمبعث هذه الأصوات عند المنجمين، واستنبط هؤلاء من طبيعة النغمة المصاحبة للصوت نذير الشؤم أو الفال الحسن مستقبلاً. كما عُرف "علم الرمل"، وهو علم يبحث فيه عن المجهولات وهو خرافة... يباشر طرق هذا العلم الخرافي وأساليبه "الرَّمالون"(٥)... ومن بدعهم ان الاختلاف في الأصوات الصادرة عن الرمال، ودلالتها الشكلية، تعطي معلومات صحيحة حول استفسارات الطالبين عن العالم الآخر.

في القصص الأسطوري زُعم أن الرَّمال (Sand-man) (٦) رجل يوقع النعاس في عيون الأطفال بذر الرمل فيها... وفي البدع الخرافية التي عُرفت ولا زالت متبعة عن بعض القبائل والشعوب... بدعة حزب الرمل لكشف الغيب (geomancie) (٧).

في العلم الحديث (٨)....

في الوقت الحاضر هناك تفسير مفهوم: فهذه الأصوات جميعها هي إصدارات صوتية تحركها الرمال المتحركة. وقد شبه المستمعون الأصوات التي تصدرها كثبان الرمل بأصوات الأجراس والأبواق ومزامير الأرغن وأبواق الضباب في السفن والمدافع والرعد والطائرات النفاثة التي تطير على ارتفاعات منخفضة وأزيز أسلاك التلغراف وحتى أصوات الأنين أو الطنين. ومع ذلك فلم يتفق الباحثون تماماً على طريقة وسبب الأصوات التي تصدرها الرمال تحت ظروف معينة وفي أجزاء عديدة من العالم... إن البحث العلمي يجرى حول معرفة الميكانيكية (الآلية) التي تولد الأصوات.

ويفرق علماء الطبيعة بين الصوت المنبعث على الشواطئ الرملية وبجوار البحيرات وأسرَّة الأنهار، ويُطلق عليه صليلا أو صفيراً. Squeak. وبين الصوت الصادر في أماكن الكثبان المنعزلة بأعماق الصحراء أو في مؤخرة الشواطئ الرملية البعيدة عن المياه وتسمى صريراً Boom.

والصرير قريب إلى ما يصدر عن الآلات الموسيقية. ففي بعض الكثبان يصدر دويّ بضربات ثابته، محدثاً أصواتاً تشبه قرع الطبول أو الدفوف. وفي كثبان أخرى تصدر الرمال أصواتا تشبه أصوات الأبواق، أو الآلات الوترية أو الأجراس.

وكما يقول الباحثون: إن الصليل ذو تردد عال يتراوح ما بين ٥٠٠ و٢٥٠٠ هرتز، ومدته أقل من ربع ثانية، ويكون الدوي نقيا من الناحية الموسيقية وغالباً ما يحتوي على أربع أو خمس نغمات متوافقة ومتناغمة.... أما الصرير فصوته أعلى وتردده منخفض يتراوح ما بين ٥٠ و٣٠٠ هرتز، ويستمر لمدة طويلة تصل إلى ١٥ دقيقة في الكثبان الكبيرة وهي بالأحرى مشوشة تحوي عدداً من الترددات المتقاربة... ويمكن سماع الصرير من مسافة ١٠ كيلومترات.

في كثبان الساند ماونتن بولاية نيفادا يصدر صرير يتراوح نطاقه ما بين ٥٠ و٨٠ هرتز، أما الرمال في كوريزو بليبيا فتولد صريراً يتراوح ما بين ٥٠ و١٠٠ هرتز، وفي صحراء كالاهاري بجنوب أفريقيا، يتراوح نطاق الترددات ما بين ١٣٠ و٣٠٠ هرتز (الهرتز: hertz: وحدة تردد تعادل دورة من الثانية)... إن مثل هذا الخرج الصوتي لا تستسيغه الأذن ويفقد أدنى إيقاع موسيقي مقبول... والصرير يمكن أن يصم الاذان تقريبا، والاهتزازات المسببة له يمكن أن تكون شديدة بحيث تجعل الوقوف في الوسط المنبعث منه الصرير مستحيلاً.

وترجع أول دراسة لهذه الظاهرة إلى ما نشره العالم الجيولوجي "بولتون" عام ١٨٨٩ فقد افترض ان

في العقل الأسطوري (الرمَّال) رجل يستكشف الغيب بضربه على الرمل..

الأصوات تنتج عن أغشية film رقيقة من الشوائب المنحلة التي تترسب على الحبيبات بالتبخر التدريجي للمياه... ثم جاء العالم كاروس ويلسون ليقرر أن الصليل ينجم عن تأثير الاحتكاك بين الحبيبات المتفردة... وفي عام ١٩٦٦ نشر باكنولد دراسة: "قصر الرمال الجافة وتمديدها" و"ميكانيكية الغناء" مقرراً ان سبب الصليل والصرير يعود في الواقع إلى الطريقة نفسها. وقد اعتمد في برهانه على مبدأ التمديد "الاتساع" dilatation أي مقياس الحيز الفارغ بين الحبيبات. وقد برهن على أنه عندما ينزلق لوح إلى آخر فإنه يميل للارتفاع والانخفاض دوريا أثناء استقرار الحبيبات في الفراغات بين الحبيبات السفلية. ويتغير تردد (تواتر) الصوت الناتج من الاهتزاز المتجمع عكسياً مع الجذر التربيعي لمتوسط قد الحبيبات.

ولكي يصدر صرير من الرمال لابد من توافر عدة عوامل– كما تؤكد أحدث الدراسات– أولها أن يكون الكثيب بعيداً عن مصدر رماله الأصلية، كي تستطيع الرياح حمل الحبيبات إلى مسافات طويلة، مرسبة حبيبات متشابهة القد، جيدة الاستدارة عند أو بالقرب من قمة الكثيب. ويجب أن تزيل كمية كافية من الأمطار الغزيرة الأتربة أو الجزيئات الصغيرة من بين الحبيبات. وثانياً لابد من مرور أسبوع أو أسبوعين حتى يتم الجفاف. وأخيراً يجب أن تكون الرياح كافية لتدفع الرمال إلى قمة الكثيب محدثة صريراً "Avalanche" (كتلة ضخمة من صخر أو تكوين كثيبى ينهار بسرعة على جانب المرتفع) (٩).... والبادي أن أشد العوامل الحاسمة التي تتحكم في قدرة الرمال على الصرير هي مقاومتها للقص (الانزلاق). إن الرمال المتماسكة بإحكام لا تستطيع القص، وكذلك فإن الحبيبات المتجمعة بشكل سائب تسلك سلوكاً مائعاً ولا تنزلق بشكل مناسب. ويعرف عن جميع هذه العوامل بأنها تؤثر في الأصوات التي تصدرها الرمال، ولكن معرفة كيفية امتزاج هذه العوامل لإنتاج هذه الأصوات تحتاج إلى دراسة إضافية..

دلائل القدرة الإلهية وصوت الرمال في علوم الوحي:

هكذا الإنسان، مخلوق الله المفكر، عقلاني، مخصوص بالبحث والمعرفة، يحاول بحكم فطرته ربط الأسباب بالمسببات... يسبر أحوال الطبيعة ومكوناتها عظمى أو صغرى، سنته في هذا سنة سيدنا إبراهيم عليه السلام، يتفكر في صنع الموجودات السماوية العليا الشمس والقمر والنجوم... واليوم بأسلوب علمي تطوري يستخدم فيه أحدث أنماط التكنولوجيا وخلاصات العلوم الحديثة المتقدمة، يحاول الإنسان ادراك سر الموجودات الصغرى... من ضمن هذه الموجودات... وقع اختيارنا على الأصوات المنبعثة بفعل رمال الطبيعة ذكر فيها الفيزيائيون أنصار العلم الطبيعي ما ذكروه، وتجاربهم واستقصاءاتهم العلمية قائمة مستمرة ولازالت...

الرمال المتحركة بسبب الرياح القوية هي مصدر هذه الأصوات في الصحارى

والشرع لا يصادر النتاج الفكري المنطقي النافع... إنه العلم الذي رفع الإنسان درجات، ويبتلى في فكره، من هنا جاء تكريمه على سائر الخلائق...

اعلم أن... ادراك المعارف والإلمام بصياغاتها حتما يوصل إلى أن هناك موجودا أعلى يسمع كل شيء ويبصر كل شيء ويُسيِّر كل شيء... وتتجلى قدرته في كل شيء... حول قدرته في صنع صوت رمال الأرض والمدلول الصوتي لها في شريعته.. نسوق الرؤية التالية:

درس علماء المسلمين مواد الطبيعة وتكوينها... وعُرف لديهم علم الصخور وهو علم يبحث في الصخور من جهة أصلها وتركيبها وخصائصها وتصنيفها... ويقابل هذا العلم ما يتصل حالياً بدراسات علم الجيولوجيا، يذكر الجيولوجيون في بحوثهم أن الصخرة مادة أرضية طبيعية تتكون في الغالب من تجمع معدني يتألف من معدنين أو أكثر... بحكم تكوينها الجيولوجي، إنها حجر عظيم صلب (١٠).

ذكرت الصخر في ثلاث آيات، معروف قصصها القرآني الموثق، يقول تبارك {قال أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحُوتَ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا" (الكهف/٦٣)، وقوله عز وجل {يا بُنَيَّ إن تَكُ مثقالَ حبَّة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير} (لقمان/١٦). وقوله سبحانه {وثمود الذين جابوا الصخر بالواد} (الفجر/٩).

والرَّمْلُ: فتات الصخر. أرمل المكان: صار ذا رمل. الجمع رمال والقطعة منه رملة (١٠)، وتجمع الرمال بشكل متماسك غير منصهر التكوين، يشكل الكثبان الرملية، وقد تعلو الصخور أو تعلو الصخور عليها... وقد توجد الكثبان في البيئة الصحراوية ولا يوجد معها الصخور.

والرمل غير الطين، فالطين الوحل، وهو التراب المختلط

بالماء (١١)، والتراب: ما نعُم من أديم الأرض (١٢)... والتراب خلق منه الإنسان بحكم نشأته الأولى، يقول الله سبحانه: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب} (آل عمران/٥٩)... روي عن أبي موسى الأشعري قول حبيبنا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه(١٣) "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأسود، والأبيض، وبين ذلك. والسهل والحزن والخبيث والطيب. ثم بُلت طينته حتى صارت طينا لازبا، ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا، ثم تركت حتى صارت صلصالاً كما قال تعالى {ولقد خلقنا الإنسانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمأ مسنون} (الحجر/ ٢٦).

والله الذي استنطق آدم بعد أن بث فيه الروح، يقول القادر "إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين" (سورة ص الآية ٧٢)...

إنه صوت جاءت به لغة آدم وبنيه، وقد استنطق الله جسده الطيني الصلصالي وقبل أن تبث فيه الروح، سبحانه قادر على كل شيء، عن ابن عباس قال: خلق آدم من ثلاث: من صلصال، ومن حمأ، ومن طين لازب فأما اللازب فالجيد، وأما الحمأ فالحمئة، وأما الصلصال فالتراب المدقق، ويعني تعالى ذكره -بقوله "من صلصال" من طين يابس له صلصله، والصلصله: الصوت (١٤).

إنه الصوت المنطلق من الجسد الصلصالي وله ذاتية ايقاعية مختصة به، في لغة العرب (صَلَّ) الشيء -صليلاً: له صوت ذو رنين (١٥)، تفهم تلك الخاصية الذاتية من الطبيعة الخاصة في المكون الطيني، وهو مادة يكونها معدن الميكا مختلطاً بالمرو والفلسبار وبعض المواد العضوية، حبيباتها دقيقة متماسكة (١٦).

والصليل غير الصرير، والغالب اتصال الصرير بحركة الرمال رفق الريح.....

في اللغة: (صَرَّ) -صريراً: صوت يقال: صر العصفور والجُندب وصَرَّ القلم... (الصِّرُّ): شدة البرد. ويقال ريح صِرٌ، وريح فيها صِرٌ: شديدة البرد... (صَرْصر): صاح بصوت شديد متقطع... (الصرصرُ) -ريح صرصر: شديدة البرد، أو شديدة الصوت(١٧)

يقول سبحانه {وأما عاد فأُهلكوا بريح صَرْصَرٍ عاتية. سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية. فهل ترى لهم من باقية} (الحاقة/٦:٨). وقوله عز وجل {فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون} (فصلت/١٦). وقوله عظم ذكره {كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر. إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر. تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر. فكيف كان عذابي ونذر} (القمر/١٨:٢١).

إن صرير رمال الصحارى لغة يدركها الموحدون.. إنها تذكرة لمن لم يتذكر ان الآخرة آتية لا ريب فيها... صوت يأتي وفيه أنين على ما فات ابن آدم من عمل الخير في حياته القصيرة... إن الصرير يرهب النفوس.

صرصرة الرمال على ما فيها من انبهار وإعجاز فطري نُصْب أعين علماء الطبيعة... أقول أين هذه الصرصرة من الصيحة الكبرى... وقد أمدنا رب العالمين بأنموذج مصغر منها عبرة وعظة للعالمين، يقول في محكم آياته {وأخَذَ الذين ظَلَمُوا الصَّيحةَ فأصبحوا في دِيَارهم جاثمين} (هود/٦٧)...

١- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٦٠

٢- مختار الصحاح لعبدالقادر الرازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٢ ط٩، ص ٣٥٦

٣- المعجم الوجيز، ص٤٨١

٤- المعجم الوجيز، ص٦٩

٥- المعجم الوجيز، ص٢٧٨

٦- المورد لمنير البعلبكي، قاموس انجليزي- عربي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة ٢٤/١٩٩٠، ص٨١١

٧- المنهل، د. جبور عبدالنور ود سهيل إدريس، قاموس فرنسي- عربي، دار العلم للملايين بيروت دار الآداب، ص٤٨٢

٨-الترجمة العربية "مجلة العلوم" المجلد ١٤ العدد ٣ مارس/آزار ١٩٩٨م بحث بعنوان "رمال صريرة".

٩- المورد لمنير البعلبكي/ص ٧٧

١٠- المعجم الوجيز ص٣٦٠- مختار الصحاح ص٢٥٧ ... وتَرَمَّل بين الصفا والمروة يرمل بالضم... مادة (رمل).

١١- المعجم الوجيز ص٣٩٩

١٢- المعجم الوجيز ص٧٣

١٣- تاريخ الطبري، مكتبة التراث الإسلامي، الجزء الأول ص١٠٣ الفقرة ١٥٣

١٤- تاريخ الطبري، ص١٠٣ الفقرة ١٥٤

١٥- المعجم الوجيز/ ص٣٦٩

١٦- المعجم الوجيز/ص٣٩٩

١٧- المعجم الوجيز/ ص٣٦٢

الحدود بين حرية التعبير.. والإساءة للآخرين

حقوق الإنسان، موضوع الساعة بدون منازع، وقد كثر فيه القول منذ منتصف القرن الميلادي الماضي أي منذ صدور ميثاق حقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م، وقد حسب الناس أن ذلك فتحا في هذا المجال، وسبقا في هذا الميدان، ومن أجل ذلك نوضح موقف الإسلام من الإنسان وحقوقه وواجباته.

أمانة التكليف عدالة في الأرض بأمر الله سبحانه..

متى كان هذا الموقف؟ ومتى ابتدأ؟ ومن هو أول معلن لتلك الحقوق؟ وما هو المعنى السامي الذي جاء به الإسلام؟ وهل استطاعت المذاهب والمواثيق قبله وبعده أن تدركه في هذا المجال؟ وما هي مسؤولية المسلمين اليوم تجاه الحقوق التي قررها الإسلام؟

يعتبر الإسلام أكثر الأديان كلها رعاية للإنسان، وأعظمها عناية به وتقديراً له، باعتباره خليفة الله في الأرض، وأعظم مخلوقاته في هذا الكون، وهو الذي أعطاه قيمته الحقيقية، واعترف بإنسانيته، وجعله مناط تطور الكون وتقدمه، وتحقيق إرادة الله فيه، ولذلك حمله أمانة الحياة ومسؤوليتها وأحاطه بكل معاني التكريم، حتى اعتبر الإسلام حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة نفسها.

حرية المعتقد والتملك والتعبير مكفولة في التشريع الإسلامي..

لذلك يعتبر الإسلام في حقيقته وهدفه وتوجيهه للناس إعلاماً وإعلاناً إلهيا لحقوق الناس، وواجباتهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه ومنذ خمسة عشر قرنا، من قبل أن تعرف الإنسانية كلها هذه المواثيق البشرية والمعاهدات الدولية. ولاشك أن هذا الإعلان الإلهي يعلو ويسمو على كل المواثيق الوضعية والعهود البشرية، لكونه يقوم على الإيمان بالله وابتغاء مرضاته، ورغبة في ثوابه، وخوفا من عقابه، كما يقوم على الضمير الديني الموجه لتصرفات الناس في السر والعلن، وفي كل أحوالهم وعلى مختلف مستوياتهم، وعلى أن ما يفوت ويمضي في الدنيا لن يفوت في الآخرة، وعند من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.



أ.د. يوسف الكتاني

الرباط - المغرب

وأمـر آخـر يمتـاز بـه الإعـلام الإلهي عن سـائر المواثيق الوضعية هو أنه يرتفع بحقوق الإنسان، فيجعل رعايتها واجبا على المجتمع كله، على قادته وحكامه وقضاته كما هي واجب على صاحبها، يدافع عنها ولا يتهاون في الحصول عليها، ومن أجل ذلك اعتبرت الشريعة الإسلامية أداء الواجب قبل تقرير منح الحق والحرية اعتبارا على أن النهوض بالواجبات ضمان لصاحب الحقوق والحريات، لأن ضمانها منشؤه التشريع بما فرض من تكاليف وواجبات، ومن ثم كان الانطلاق في الحقوق والحريات العامة يستقيم مع التكليف، الذي لا ينفصل معناه عن مفهوم *الحريات العامة* في الإسلام، إذ أن ثمة تلازما بينهما، فالواجب يقابله حق، ولذلك قيل لا واجب بلا حق، لأن التكاليف حقوق للغير.

لذلك كان تقرير حقوق الإنسان وحرياته العامة منشأها التكاليف، وهذه مصدرها الأحكام التي هي مصادر الحريات لا ذات الإنسان كما هي عند الآخرين(١).

وقد نظم الإسلام الحريات العامة، على اعتبار أن الحرية منشأها التكليف والمسؤولية، لا حرية الانطلاق والفوضى والأنانية والهوى، والخضوع لهيمنة الأعراف السائدة والتقاليد الموروثة، امتثالاً لله وطاعة في التكليف، ووفاء بالأمانة التي حملها الإنسان، ولذلك قامت الحقوق على حقائق عقائدية، قبل أن تكون تصرفا سياسيا أو مجرد نظام دستوري.

فكل حرية عامة في الإسلام مظهر للعقيدة والتقوى، قبل أن تكون أمرا آخر، ومن ثم كانت ممارستها عبادة وخلقا، أداء للتكليف المبني على المسؤولية، وذلك ما ميزها وخصصها في الإسلام عن غيرها، وهذا ما جعل الحرية في الإسلام حقا وواجبا معا، يؤكد ذلك أن حق الحياة مصون للإنسان شرعا، غير أنه في نفس الوقت واجب وتكليف تنهض المسؤولية عن أدائه والتصرف فيه، ولنضرب لذلك مثلا بحق الحياة نفسه، فإذا كان من حق الإنسان أن يحيا، فإن من واجبه أيضا أن يحيا، أداء لأمانة التكليف وعمارة الدنيا في ظل العبودية لله وتنفيذ شرعه، فليست حياته حقا خالصا له يتصرف فيه كيف يشاء، إنما خلق ليؤدي واجبا لنفسه ولغيره، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان واجبا عليه أن يحيا لأنه لم يخلق عبثا ولا سدى "أيحسب الإنسان أن يُتْرَكَ سُدَى"(٢).

ومن أجل ذلك، حرم الإسلام الانتحار واعتبره جريمة عظمى في حق الإنسان، بدليل خطورة العقاب الأخروي على اعتبار أن روحه ليست ملكا له، لأنها ليست من صنعه، وإنما هي ملك لبارئها وخالقها، ومن ثم كان الاعتداء عليها اعتداء على حق الله فيها، وقضاء على أداء مهمتها التي خلقت من أجلها، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي في الموافقات: "ونفس المكلف داخلة تحت هذا الحق- أي حق الله تعالى- إذ لا يجوز له أن يعتدي على نفسه بالإتلاف"(٣).

وإذا لم يكن جائزا للإنسان أن يعتدي على نفسه لم يجز له بالأحرى الاعتداء على غيره، لأن العدوان فيه أظهر، وهو مصداق قول الله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} (٤).

■ ■ ■

التشريع الإسلامي كما ضمن لك حقك عند الآخرين أوجب عليك حفظ وضمان حقوقهم.

الإنسان خليفة الله سبحانه في أرضه.. والمستخلف مؤتمن..

فهذا المثل يوضح بجلاء وظيفة حقوق الإنسان في الإسلام، لاتحاد عنصر الواجب والحق وتلازمهما، وهو معنى جديد لم تعرفه الإنسانية قبل الإسلام سواء في المواثيق السالفة عليه أو حتى المواثيق المعاصرة، لذا يكون الاعتقاد بثبوت هذه الحقوق شرعا بالتكليف والمسؤولية، هو منطلق ممارستها في المجتمع الإسلامي، تبعا لمفهومها المنوط بالطابع الاجتماعي الإنساني. ومن أجل ذلك أبادر إلى القول، بأن ما ادعته وتدعيه الدول المعاصرة، من كونها كانت السَّباقة إلى الدعوة إلى حقوق الإنسان وتقريرها، وأن لها فضل الريادة في تطبيقها ورعايتها غير صحيح، وها هو التاريخ الحضاري والإنساني خير دليل وشاهد، فليس صحيحا أن الإنجليز والفرنسيين كان لهم فضل الريادة والسبق في المطالبة بها، والدعوة إليها في ثوراتهم ومواثيقهم.

فقد تصور الناس نتيجة تأخر المسلمين، وتخلفهم عن السير بمقتضى أوامر دينهم، أن حقوق الإنسان مرتبطة بالعهد الأعظم الانجليزي "ماجنا كارتا" الصادر سنة ١٢١٥م، أو ميثاق توم سنة ١٧٣٧م أو إعلان الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، أو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨م.

ولكن الذي علمته الإنسانية منذ خمسة عشر قرنا، والذي ينبغي أن يعلمه الناس اليوم، أن الإسلام أعلن هذه المبادئ وقررها منذ ظهوره، وكان السباق إلى الدعوة إليها وتقريرها ورعايتها، في أوسع نطاق وأكمل صورة، وأن الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، وقادة المسلمين وعلمائهم، كانوا أسبق إلى تقريرها، وتطبيقها على نحو رائع، وبشكل ما تزال الأمم المعاصرة لم تبلغه، وإن مجرد مقارنة بسيطة بين التشريعات السابقة على الإسلام، وكذا المذاهب اللاحقة عليه بما في ذلك المعاصرة، تظهر ريادة الإسلام وأسبقيته في هذا الباب.

إن الإسلام دين حقوق الإنسان التي قررها القرآن الكريم، دستور المسلمين. {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (٥).

خطبة حجة الوداع:

ونظراً لأهمية خطبة حجة الوداع في تاريخ الإسلام والمسلمين فقد آثرنا أن نشير إليها هنا باعتبارها نصا عظيما لحقوق الإنسان، ودعوة للحفاظ عليها، والتشبث بها، واحترامها والدفاع عنها، وقد توج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مسيرة الإسلام بخطبته في حجة الوداع، التي تجمع فيها أكبر عدد من المسلمين حينئذ، وقد ضمن تلك الخطبة وصيته إلى الأمة الإسلامية، وما ينبغي لها أن تشد عليه بالنواجذ من بعده، لتعيش مؤمنة كريمة مستقرة، وكان أعظم ما وصى الأمة به، بل البشرية كلها، هو الحفاظ على معالم الدين، واتباع أوامره، والانتهاء عن نواهيه، وكانت هذه الخطبة إعلانا عظيما جامعا، للدعوة إلى رعاية حقوق الإنسان وعدم الاعتداء عليها يقول عليه السلام:

"أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، إنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمُون ولاَ تظْلَمُون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم

ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.
أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.
أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح (٦)، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهنّ عندكم عوَان (٧) لا يملكن لنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟.
فذكر لي أن الناس قالوا: "اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أشهد".
فلنفتخر نحن بديننا، ولنتأس برسولنا هذا الرسول الذي يأبى في آخر خطبة له إلى الناس وهو يودع الدنيا، يأبى إلا أن تكون وصيته الأخيرة إلى الأمة، دعوة إلى رعاية حقوقهم، والتشبث بها، وعدم الاعتداء عليها، لأنها أساس كل استقرار وتضامن بين الإنسانية كلها، وما أحرانا اليوم أن نعود إلى هذه الوصية الخالدة، فنعمل بها ونسير على هديها.

■ ■ ■

حرمة الإنسان أعظم من حرمة الكعبة المشرفة على جلال قدرها..

الحرية الدينية في شريعة الإسلام:

لقد وحد الإسلام مفهوم الدين برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، التي كانت آخر الرسالات إلى الأرض حيث قرر القرآن "إنّ الدين عند الله الإسلام" {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (٨).
وترتب على ذلك أن "الإسلام يَجُبّ ما قَبْله" لأنه دين الوحدة والبعث والعدل، والسماحة واليسر، ولأنه قضى على كل وثنية وظلم، ودكتاتورية وتمييز".
ولكن الإسلام تميز في هذا الميدان، ميدان الحرية الدينية، بموقف كله تسامح وحكمة، ولذلك قامت الحرية الدينية في الإسلام على مبادئ أهمها:
١- قيام الإيمان الصحيح على اليقين والاقتناع المنبعث من الفكر والنظر، وذلك هو ما دعا إليه الإسلام المؤمنين، أن ينظروا إلى الكون كله، ويفكروا في آيات الله بعقولهم وبصائرهم، وكان هذا المبدأ الإسلامي العظيم، حدثا عظيما في تاريخ الأديان، وتاريخ الإنسانية كلها، وقد أخذ الله على المشركين تقليدهم الأعمى، وإهمالهم الفكر والنظر، وفيما يؤمنون وما يتبعون، يقول سبحانه:
"وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألْفَيْنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"(٩).
ومن أجل ذلك كله ذهب العلماء إلى أن إيمان المقلد غير صحيح، حتى قال الشيخ محمد عبده: "إن التقليد بغير عقل ولا هداية، هو شأن الكافرين، وإن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه، وعرفه بنفسه حتى اقتنع به"(١٠).
٢- الإقناع بالمنطق والحكمة.
وقد هدى القرآن المؤمنين والمسلمين. أن يلجأوا في مناقشتهم وحوارهم لأهل الكتاب، ولمن عداهم من

أهل الأديان وغيرهم، إلى الحكمة والعقل، والحجة والمنطق والحسنى، وعدم التعنت، ويكون ذلك عمادهم في حوارهم، وإن آي القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عامرة مليئة بذلك. {أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...}الآية(١١)
{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...} الآية (١٢)
وبقوله: {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} الآية (١٣).
٣- لا إكراه في الدين.
وتبعا لذلك واعتمادا على الإيمان الصادر عن العقل والنظر والإقناع، المعتمد على الحجة والمنطق، وبعد أن تبين أن الدين عند الله الإسلام، الذي أوضح الرشد من الغي، لم يلجأ الإسلام إلى إرغام الناس على ترك دينهم، وإجبارهم على اعتناق الإسلام، وعلى هذا الهدي سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه بعده، وعليه سار المسلمون، وقد تبين ذلك من معاملة الإسلام لأهل الأديان الأخرى في سلمهم وحربهم، فكانوا لا يرغمون أهل البلاد المفتوحة على اعتناق الإسلام، وترك ما يدينون به، وإنما يسمحون لهم بالبقاء على دينهم مع الطاعة وأداء الجزية، مقابل حمايتهم من كل اعتداء، واحترام شعائرهم ومعابدهم، تطبيقا للآية الكريمة: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} الآية (١٤).
ويكفينا في هذا الباب مثلان رائعان على سماحة الإسلام، وهما العهد العمري مع أهل بيت المقدس، وما تضمنه من مبادئ، حتى إن عمر أبى أن يصلي في كنيسة القيامة، احتراما لهذا المبدأ وتطبيقا له.
والمثل الثاني هو أن الإسلام لا يبيح للمتزوج بالكتابية، إرغامها على ترك دينها أو عبادتها.

حرية التعبير والرأي في ديننا

وقد ضمن الإسلام لمعتنقيه، التفكير المستقل في

الوازع الديني عند المسلم جعله أكثر حرصاً على حقوق الآخرين..

جميع شؤون حياتهم، وما يقع تحت إدراكهم من ظواهر، والتعبير عن ذلك بما يهديهم إليه فهمهم بمختلف وسائل التعبير.
ولذلك أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق، وأعطى كل فرد حقه في إبداء رأيه، والتعبير عن آرائه بما يراه والجهر بذلك دون خوف أو عقاب، وهو ما جعل هذه الحرية مكفولة طوال تاريخ الإسلام وفي أوسع حدود، وقد كانت مجالا خصبا أنتج تراثا إسلاميا ضخما رائعا، مما يفتخر به تاريخ الفكر الإسلامي وتاريخ المسلمين، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وفي أغلب العهود الإسلامية، وظل هذا الحق مقدسا، محترما، مصونا، حتى كان الناس يتناقشون مع الخليفة نفسه، وينصحونه إن ظهر في قوله أو فعله ما يخالف الدين وما يرونه، وهذه قصة المرأة مع عمر عندما نهى عن التغالي في المهور، مثل حي على قدسية هذا الحق، ورجوع عمر إلى الصواب عندما ردته قائلا: "أصابت امرأة وأخطأ عمر" وكما كان الشأن دائما على عهد عمر بن عبدالعزيز، حينما يتناقش الناس في مجلسه في أمور الدين والدنيا، ويبدون آراءهم بكل حرية وصراحة وصدق.
وفي هذا الباب يفتخر الإسلام، بإباحة مبدأ الاجتهاد الذي يعتبر مظهرا حيا للأمة الإسلامية، وباعثا على تجددها وتطورها، وهو حق كل قادر أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها، ويعمل بما يراه، ويجهر بما انتهى إليه، حيث أقر الإسلام احترام رأي المجتهد ولو كان مخطئا، وضمن له الأجر على اجتهاده، "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا

حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"(١٥).
ومن هنا نجد الإسلام أقر الحرية العلمية في أوسع نطاق، ولم يعارض أية نظرية علمية معينة بصدد أية ظاهرة من ظواهر الكون، وأتاح للعقول والأفكار حرية التفكير والتعبير، وحثهم على استعمال عقولهم وأبصارهم، ومداومة النظر والفكر، فيما يحيط بهم من مخلوقات الله وعوالمه.
وفي هذا المجال أيضاً يتميز الإسلام بأنه لم يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقا فحسب، بل فرضا وواجبا على كل مسلم، وهو ما لم يعرفه دين آخر غير الإسلام.
وقد رسم الرسول الكريم حدود هذه الحرية، وأحاطها بسياج من الحيطة والاحترام، حتى لا يخرج الناس بها عن مقاصدها وأغراضها، التي توخى الإسلام من إقرارها لتكون خيرا للناس وليست نقمة وشرا عليهم، فلننظر إلى القول النبوي الكريم في هذا الباب "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(١٦).
وكأن هذا القول بالذات موجه إلى الشعراء المبالغين وإلى الصحافيين المتحاملين، أن يتقوا الله في أعراض الناس وشؤونهم، وفيما يكتبون وما يروجون.
ذلك أن المهم في الحرية ليس وجودها، بل استخدامها، فهي لا توجد إلا عند ممارستها وتطبيقها، وهو ما ينبغي لنا أن نفعله بجعل الحياة الإنسانية تزدهر بالتأييد الصادق للصواب، والدحض الشجاع للخطأ.
لذلك كانت حرية الفكر في الإسلام ليست مطلقة، بل في حدود أصوله وأحكامه، فقد أوجب على المسلمين أن يأمروا الناس بالخير ويساعدوهم عليه، وينهوهم عن المنكر ويمنعوهم عنه، ولم يبح لهم فقط الاعتراض على الشر بل منعه وإزالته.
{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}(١٧).
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(١٨).
وقد اعتبر الإسلام التزام الصمت، والموقف السلبي من الشر والمنكر، وعدم محاولة كفه ومنعه، اعتبره ذنبا عظيما في حق المجتمع الإسلامي، الذي أوجب الله على كل المسلمين تطهيره وحمايته.
لذلك ذكر القرآن أن سبب انحطاط بني إسرائيل وتأخرهم هو عدم تناهيهم عن المنكر.
{كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}(١٩).

الإسلام يقبل التعددية ويرفض التعصب والعنصرية

وكان قبول التعددية في ديننا أساس المجتمع الإسلامي واستمرار الأمر على ذلك حتى اليوم لا يعرض للاضطهاد الديني إذ كان تعدد الأديان واقعا معيشا كما أكد ذلك القرآن الكريم {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة}(٢٠) وقوله (ولا يزالون مختلفين) مما جعل حرية اختيار الدين مكفولة للناس جميعا، وآية ذلك أن الأقليات غير الإسلامية لا تزال تتمتع بكافة حقوقها الدينية كممارسة شعائرها وعبادتها في جو من الحرية والتسامح وكما أكد المبدأ الكريم في القرآن {لا إكراه في الدين}(٢١).
وأكثر من ذلك وهو من سماحة الإسلام أنه ينظر إلى أهل الكتاب نظرة خاصة وهو عدم نهيه عن البر والعدل لمن يخالفون المسلمين في الدين قال تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}(٢٢).
وذلك هو ما جعل الاختلاف والتعددية أمرا طبيعيا في البشر لأنهم خلقوا مستعدين له، ومجبولين عليه، كما عبر عن ذلك كتاب الله: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين}(٢٣).
ذلك لأن الاختلاف والتعدد حافز على التنافس

الإسلام أسس وقعَّد لحقوق الإنسان قبل كل التشريعات الغربية الآن..

والتسابق، ودافع للتنوع وذلك ما شجع إلى قيام فقه الاختلاف في المجتمع الإسلامي، وجعله ضرورة شرعية، ومن هنا لم يعرف المجتمع الإسلامي لا عنصرية ولا تعصبا اعتبارا للقاعدة الإسلامية {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}(٢٤). كما أن ديار المسلمين لم تعرف الفاشية أو النازية.

الآخرون والصليبية الجديدة

يتشدق الغرب دائما بأنه يؤمن بالحريات ولا يعترف بأي حدود لها ويتهم الإسلام بأنه يضع قيودا لكل شيء بدءا من أمور العقيدة الدينية إلى الحرية الشخصية للأفراد وحرية المجتمع، فهل حرية الغرب لا حدود لها؟ أم أن الإسلام لا يقر بأن هناك حرية مطلقة؟ وهو ما دعانا إلى الإلمام ببعض مبادئ حرية العقيدة، والرأي والتعبير في ديننا ومداها، وتركيزنا على أنه لا يوجد نص يقيد حرية الاعتقاد الديني بل تاريخ المسلمين حافل بالحقائق والوقائع التي تؤكد احترام المسلمين للتعددية الدينية.

غير أن الذي نلاحظ بقوة وخاصة في الأيام الأخيرة هو اتهامات المسؤولين الغربيين لديننا بالباطل وتحامل رؤسائهم ومنظماتهم على تاريخنا وعقيدتنا ومبادئنا وفي مقدمة ذلك ما جاء في مذكرة الرئيس نيكسون التي كتبها في العقد الأخير من القرن الماضي وتحامله بقوله في صراحة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي:

"لم يبق لنا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي من عدو إلا المسلمين" (٢٥).

ثم جاء تعريض الرئيس الأمريكي بوش بالمسلمين بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠٢ وإلحاق تهمة الإرهاب بهم، وذكر بعودة الحروب الصليبية من جديد، وإن كان اعتذر بعد ذلك بقوله: "إنها زلة لسان"(٢٦) وما هي بزلة لسان بدليل تماديه واستمراره في اتهام المسلمين وتحامله عليهم.

ثم جاءت بعد ذلك الصور الكاريكاتورية الدانماركية القبيحة وما أحدثته من ضجة في العالم الإسلامي، ثم ما تلى ذلك من محاضرة البابا في ألمانيا وتصريحاته المثيرة فيها حول الإسلام.

الكاريكاتور الدانماركي القبيح

لعل من أخطر التحديات الشرسة التي يواجهها عالمنا الإسلامي، هو هذه الحملة الخطيرة التي نواجهها من الغرب الموجهة لمقدساتنا وديننا وحرماتنا، والتي تؤكد أن حوار الحضارات المزعوم ليس إلا تقاتل الحضارات الذي كان موسوما بالحروب الصليبية الموجهة ضد العالم الإسلامي، والتي أخذت اليوم صوراً أشد، عنفا، وأكثر اعتداء، والتي بدأت بالحرب الظالمة في أفغانستان، والهجوم البئيس على العراق وجعله ساحة حرب وتقتيل واعتداء على حقوق الإنسان، وهذا التقتيل المتعمد لإخواننا الفلسطينيين وتهديم دورهم وممتلكاتهم، والاعتداء على حرماتهم والعبث بأمنهم.

ثم ظهرت بشاعة الصليبية الجديدة في الرسوم الكاريكاتورية الدانمراكية الفاضحة وما تلاها من رسوم أخرى وهجوم كاسح على ديننا ومقدساتنا، ثم أعقب ذلك محاضرة البابا الجديد وهجومه على الإسلام، وإحياؤه للصليبية القديمة عن طريق نقل خطاب أو تصريح للبابا منذ قرون، وتهجمه الوقح على مقدساتنا، وعندما ووجه بثورة العالم الإسلامي ضده وضد صليبيته لم يجد الشجاعة من نفسه ليعتذر للمسلمين، بل أبدى أسفه على أن المسلمين لم يفهموه، مما جعل العذر أكبر من الزلة كما يقول المثل، وبقي على جهله وخطئه بمبادئ ديننا ومقوماتنا، وقد اندهشنا وتعجبنا من حضور السفراء المسلمين في مؤتمره الصحافي الذي أعلن فيه أسفه كما جاء في محاضرته المكشوفة.

الحرية الشخصية في التشريعات الأوروبية وصلت إلى درجة الفوضى..

البابا يأسف ولا يعتذر

بالرغم من الإساءة البالغة للمسلمين التي تسببت فيها الرسوم الكاريكاتورية في الدانمارك، ورسومهم الكارتونية التي تضمنت إساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والتي تناقلتها أكثر من صحيفة أوربية أخرى تضامنا مع الدانمارك في مواجهة ردود الفعل الغاضبة في العالمين العربي والإسلامي، وقد وصل التضامن مع الدانمارك إلى إقدام وزير في الحكومة الإيطالية السابقة على ارتداء قميص عليه الرسوم المسيئة.

وقد رد المسلمون على هذه الإساءة بمظاهرات صاخبة وأعمال تدمير وعنف غاضبة شملت أغلب الدول العربية والإسلامية، كما قاطعوا المنتجات الدانماركية مما أضر بشركاتها واقتصادها إلى درجة أن ركعت الشركات والصحف واعتذرت على صفحات كاملة وبكامل المذلة.

ولم تكد تهدأ العاصفة حتى طلع علينا البابا بيندكت بمحاضرة في ألمانيا جاءت حلقة جديدة من حلقات الصليبية الجديدة والتي أكد فيها جملة من الأفكار تقول: إن الإسلام دين عنف، وإنه انتشر بحد السيف، وأن هناك مجافاة بينه وبين العقل، إلى غير ذلك من الأفكار المغلوطة والمقلوبة التي ذكرها البابا والتي تؤكد جهله أو تجاهله لمبادئ الإسلام وأصوله وقيمه إلى حد الضحالة والسفالة الظاهرة، وليت شعري أما كان الأجدى برجل في مقام البابا أن يتمثل ويستشهد بمئات من أقوال مفكري العالم وقادته وعلمائه في رسولنا الكريم من أمثال الفيلسوف برنادشو الذي أكد أنه لو بعث الرسول الكريم في هذا الوقت التي اشتدت فيه الصراعات لاستطاع وحده حلها، وعاش الناس في سلام، وكشهادة العالم الأمريكي المعاصر ميكايل هارت الذي جعل رسولنا الكريم على رأس المائة المختارة من عظماء العالم وقادته، والذي اعتبره أعظم نبي ومصلح في تاريخ البشرية، إلى غير ذلك من مفكري العالم وعلمائه وشعرائه أمثال كارليل وبوكاي وسواهما كثير.

إنه كان الأجدى لو كانت نية البابا سليمة وصادقة أن يستشهد بقول من أقوال هؤلاء المفكرين الكبار، ويكون قوله وشهادته رافدا من روافد تكامل الحضارات ووحدة الأديان، بدلا من نقل شهادة خاطئة وقول مجانب للصواب، ويزيد الطين بلة ويكشف عن الوجه القبيح للصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين.

وبدلا من أن يعتذر عقب احتجاجات المسلمين ومظاهراتهم الصاخبة عما صدر منه، وعن سوء اختياره وتحامله، يظهر جهله الواضح بقيم الإسلام وأصوله ومبادئه وفَضَّل إبداء أسفه بأن المسلمين لم يفهموه في صفاقة وبجاحة، مما يؤكد أن العالم الإسلامي يواجه هجمة شرسة تصف الإسلام بما ليس فيه وتسيء لمقدسات المسلمين ومعتقداتهم، إن اتهام المخالفين في الرأي ليس حرية.

هذا هو صراع الحضارات والأديان وليس تكاملها.

من هنا يظهر أن ما يتشدق به الغرب ويدعيه من ديمقراطية وإنصاف وسعيه لحوار الحضارات وتكاملها، إنما هو ادعاء وتبجح، وأن نيته مبيتة في الكيد للإسلام والمسلمين واستغلاله لثرواتهم، وسعيه الحثيث لتشكيكهم في عقائدهم وتفريق صفوفهم يؤكد ذلك حروب الغرب في أفغانستان وفي العراق وفلسطين ولبنان وبشاعة أعمال إسرائيل وتقتيلهم لإخواننا في لبنان وفلسطين دون تورع أو اعتبار، وتحدي قرارات هيئة الأمم المتحدة

أصحاب الديانات والمعتقدات عاشوا بين المسلمين لهم مالهم وعليهم ما عليهم..

وتجاهلها في صفاقة، هذا مع العلم أن ديننا الإسلامي جاء مصدقا شرائع أهل الكتاب، مبرهنا على أن الأديان تنبع من أصل واحد، وتلتقي حول وحدانية الله في القيم المشتركة للإنسانية، وأن الإسلام أعلى قيمة العقل والمنطق، ودعا للتدبر والتفكر، وخاطب في الناس فطرتهم، وحاور القلوب والعقول بسماحة عالية وبالأسوة الحسنة.

كما نهى عن التعصب والعنصرية، ولم تنشأ على أرضه لا نازية ولا فاشية وحمل دعاته وعلماؤه مشعل الإيمان والحضارة والحرية لأنحاء المعمورة وأثروا الحضارة الإنسانية بمعارفهم ونظرياتهم وأفكارهم الخلاقة.

وإن المسلمين مستعدون للقتال دون هويتهم الإسلامية وكيانهم الحضاري والدفاع عن أنفسهم وأرضهم ومقدساتهم بكل غال ونفيس، ولا تستطيع أي قوة الوقوف دون ذلك مهما بلغت، مؤكدين أن ربط الإسلام بالإرهاب هو زور وبهتان، وإننا نتطلع إلى علاقات إنسانية دولية تقوم على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، لا تفرط في هويتها وخصوصياتها، تدافع عن قضاياها ومواقفها وتنشد الخير للجميع، في عالم أكثر عدلا وسلاما واستقرارا كما أرسى ديننا الإسلامي ذلك منذ خمسة عشر قرنا، ونهى عن ترويع الآمنين وإفساد المفسدين، مؤكدين دور الأديان الأساسي في بناء الحضارة البشرية وازدهارها وتفوقها لما فيه خير الإنسانية جميعا.

ضرورة إنشاء مركز دولي لحوار الأديان والحضارات

وأحب أن أؤكد هنا بأنه إذا لم ينصف الفلسطينيون وتحل قضيتهم ومشكلتهم التي صنعها الغرب بزرع جسم غريب داخل وطنهم، بينما هم حرموا منه وأصبحوا لاجئين موزعين في أنحاء العالم، وإذا لم ينته الانحياز إلى إسرائيل من طرف الغرب وفي مقدمته أمريكا فلا حوار للحضارات، ولا حل للحرب المستمرة ضد الفلسطينيين وغيرهم في شتى أنحاء العالم.

ولذلك أبادر إلى الدعوة إلى قيام مركز دولي لحوار الأديان والحضارات حتى نقضي على زرع الفتنة والتفرقة في أنحاء العالم الإسلامي من طرف الغرب، ويعود الفلسطينيون إلى وطنهم الأصلي، ويعم الاستقرار والأمن ربوع الشرق الأوسط، ويعود أتباع الديانات السماوية الثلاث إلى الحوار الجاد والمفيد لخيرهم ولدولهم ولخير الإنسانية كلها، حتى تنتهي دواعي الصراع القائمة في العالمين الإسلامي والغربي خاصة وأن الإرهاب والعنف موجودان لدى فئة قليلة من جميع أهل الأديان، كما أن ما يحدث في عالمنا الإسلامي يعود إلى الظلم والاستبداد والاحتلال وأنه إذا أردنا السلام العادل والتعايش الدائم فلابد أن تغير الدول الكبرى سلوكها نحو المسلمين، ولابد أن نبني الحوار بين الحضارات على أساس الاحترام المتبادل والتفاهم المشترك خاصة وأن الإسلام يشجع على التعاون والتعارف والوئام، وعلى البر والعدل مع الإنسانية جمعاء، والسماحة والرحمة، واحترام العهود والمواثيق، فهذا من شأنه كله أن يقرب بين الحضارات والديانات باعتبار أنها مكملة لبعضها البعض ومتفاعلة فيما بينها.

إن هذا المركز الدولي الذي ندعو إلى إنشائه ينبغي أن يقوم على رغبة جادة في:

- إعادة التواصل مع الموروث الحضاري للآخر من أجل تكوين منظومة إنسانية مشتركة تخلو من العدوانية وتحترم العقائد.
- أن تكون هناك قناعة باستقلالية الثقافات واحترام الذات، واختلاف المرجعيات دون الحط من شأن الآخر أو إقصائه.

الإسلام يدعو لقيام مجتمع نظيف طاهر.. حتى لا يتآكل من أطرافه..

- وأن تقوم هذه الانطلاقة على القواسم المشتركة المستقاة من حضارات الديانات السماوية التي امتزجت عبر الزمان.
- تحويل النيات الحسنة والصادقة إلى واقع ملموس يعزز الحوار العقلاني التفاهمي، بنبذ المنهج التصادمي الاتهامي، ويواجه مختلف الإساءات والإهانات الموجهة للأديان والمقدسات.
- الاعتراف المتبادل بين الحضارات والأديان ونبذ كل أنواع الاستعلاء والتمييز الحضاري والديني.
- إقامة حوار ديني حضاري لتحقيق التفاهم بين الشعوب على أساس وحدة الأصل الإنساني. وأن المنجزات الحضارية الإنسانية منجزات مشتركة.

إن علينا نحن المسلمين إلى أن تقوم هذه المؤسسة الفاعلة أن نجمع صفوفنا ونوحد كلمتنا، وننبذ كل فرقة ونزاع، ونتجه إلى رسولنا الأمين لنقتبس من سيرته الطاهرة، وسلوكه الكريم، القدوة الصالحة، والنموذج الرفيع لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون الصادقون من مودة ورحمة، وإيمان وصدق، وسلوك قويم، وأن نسعى بقلوب وعقول مفتوحة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين عند الآخرين، باستقامة سلوكنا، وإصلاح أعمالنا وتشبثنا بقيم الإسلام ومثله العليا في بلادنا وخارجها، مع المسلمين ومع الآخرين، وأن نعتز بإسلامنا وبقدوة رسولنا، فذلك وحده هو طريق الفلاح والخير والعزة مصداقا لقوله تعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليُمَكِّنن لهم دينَهم الذي ارتضى لهم وليُبدِّلنهم من بعد خوفهم أمنا}(٢٧) صدق الله العظيم.

الهوامش:

(١) حقوق الإنسان في التشريع الإسلامي – للدكتور فتحي الدريني– "مجلة نهج الإسلام" ص٣٢ ع٦ ذو الحجة ١٤٠٤– اكتوبر ١٩٨١م.
(٢) سورة القيامة– الآية: ٣٦
(٣) الموافقات للشاطبي
(٤) حقوق الإنسان في التشريع الإسلامي ص.٣٩ سورة البقرة– الآية:١٩٥
(٥) سورة الحجرات - الآية:١٣
(٦) غير مبرح– غير شديد
(٧) عوان. جمع عانية، وهي الأسيرة
(٨) سورة آل عمران– الآية ٨٥
(٩) سورة البقرة– الآية:١٧
(١٠) حقوق الإنسان في الإسلامي للدكتور علي عبدالواحد وافي ص٢٢٣
(١١) سورة النحل– الآية:١٢٥
(١٢) سورة العنكبوت– الآية: ٤٦
(١٣) سورة البقرة– الآية ١١١
(١٤) سورة البقرة– الآية: ٢٥٦
(١٥) أخرجه البخاري– فتح الباري ٣١٨/١٣ طبعة دار المعرفة– لبنان
(١٦) أخرجه البخاري– فتح الباري ٣٠٨/١١
(١٧) سورة التوبة– الآية ٧١
(١٨) حديث صحيح– مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ٢٩٥/٢ و٢٩٦ دار إحياء الكتاب العربي ١٣٧٣/١٩٥٤م
(١٩) سورة المائدة– الآية ٧٩
(٢٠) سورة هود– الآية ١١٨
(٢١) سورة البقرة– الآية ٢٥٦
(٢٢) سورة الصف– الآية:٨
(٢٣) سورة البقرة– الآية: ٢٥١
(٢٤) سورة الحجرات– الآية: ١٣
(٢٥) انظر نص مذكرة نيكسون المطبوعة
(٢٦) مجموعة خطب الرئيس بوش
(٢٧) سورة النور– الآية: ٥٥

الخصوصية الإسلامية للاستخلاف في الثروات والأموال

في البعد الاجتماعي لنظرية الاستخلاف الإسلامية، تكون الملكية الحقيقية - ملكية الرقبة- في الأموال والثروات لله سبحانه وتعالى.. فهو خالقها ومالكها وهو المفوض لها في الطبيعة، نعما مسخرة للإنسان.. وللإنسان كإنسان، في هذه الأموال والثروات ملكية خاصة.. ملكية المنفعة، يحوز.. ويستثمر.. ويتمتع، من الحلال وفي الحلال، ومع التوسط.. والعدل.. دونما إسراف- وذلك وفق بنود عقد وعهد الاستخلاف.. فكما استخلف الله الإنسان ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾(١) أخبره بأنه مُستخلف في الأموال والثروات ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾(٢)..

في القرآن الكريم (المال) مضاف إلى ضمير (الجمع) ٤٧ مرة وإلى ضمير (المفرد) ٧ مرات.



وبهذه الفلسفة الإسلامية المتميزة في القضية الاجتماعية، تميزت مضامين العدل الاجتماعي في الإسلام عن المذاهب التي غالت في الفردية، والأخرى التي غالت في قهر الفردية.. فلقد توسط الإسلام، فلم يجرد الإنسان من حق الملكية للثروات والأموال.. وأيضاً لم يرفع الضوابط عن حريته في التملك والتصرف.. وإنما وقف بهذه الحرية عن "حرية الخليفة" المحكومة بإرادة وأوامر ونواهي المالك الحقيقي للأموال والثروات، سبحانه وتعالى.

وفي معرض الإشارات إلى هذه الوسطية الإسلامية، الجامعة بين الملكية الفردية وبين المصلحة العامة.. وبين الفرد والطبقة والأمة في إطار عدالة الإسلام - دين الجماعة- نبه علماؤنا على دلالة إضافة القرآن لفظ "المال" إلى ضمير "الجمع" في سبع وأربعين آية وإلى ضمير "المفرد" في سبع آيات.. ودلالة ذلك على مذهب الإسلام في التكافل الاجتماعي الذي تتأسس على قواعده العدالة الاجتماعية الإسلامية.. وقالوا إن الله سبحانه وتعالى قد أراد أن ينبه بذلك على "تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها، فكأنه يقول: إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم"!(٣).. وقالوا في تفسير آية

أ.د. محمد عمارة

- مصر -

الإنسان مستخلف من الله سبحانه، وملكيته ملكية منفعة..

الاستخلاف في الأموال [وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه]: "إن مراد الله هو أن يقول للناس: إن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله، بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي أموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فانفقوا منها.. وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره"!(٤)

وهذا العدل، الذي يبلغ به الإسلام إلى حيث يجعله



العدل قيمة إيمانية يبدأ بالعدل مع النفس وينتهي بالأمة، بل الإنسانية كلها..

اسما من أسماء الله الحسنى.. يرى علماؤنا أنه المراد "بالأمانة" التي حملها الإنسان دون المخلوقات {إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان}(٥).. فقالوا: إنها أمانات الأموال والعدل بين الناس فيها.. قد جعله القرآن الكريم من معايير وجوب طاعة الأمة لولاة أمرها أو سقوط هذه الطاعة، في التعاقد الدستورى بين الأمة وولاة أمورها {إن الله يأمُركم أن تُؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمَّا يَعِظُكُم به إن الله كان سميعاً بصيرا}(٦)..

وهو فريضة عامة وشاملة.. فرضها الله، سبحانه وتعالى، حتى على المعصوم، صلى الله عليه وسلم: {فلذلك فادع واستقم كما أُمِرْت، ولا تتَّبع أهواءهم، وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتابٍ، وأمرت لأعدل بينكم"(٧).. تبدأ ميادينه من العدل مع النفس والبعد عن ظلم الإنسان حتى لنفسه {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورا} (٨)..

وحتى هؤلاء "المستضعفين" فرض الله على القادرين الجهاد لتحريرهم من الاستضعاف {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أَخْرِجْنا من هذه القرية الظالمِ أهْلُها واجعل لنا من لدنك وَلِيًا واجعل لنا من لدنك نصيرا}(٩).

وتمتد فريضة ـ العدل- من ميدان "النفس" و"الذات" إلى ميدان الأسرة- لبنة الاجتماع والأمة- من بر الوالدين.. إلى العدل بين الأبناء.. "اعدلوا بين أبنائكم" (١٠).. حتى يشمل كل ميادين الحياة.. "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" (١١).. ففي كل ألوان الحكم

فقدان العدل أفضى بالأمة لتسوّل غذائها..

وميادينه.. ومع الأهل.. وفي كل الولايات، يجب إقامة العدل والقسط بين الناس..

بل لقد امتد الإسلام بآفاق فريضة العدل لتشمل "العدو" بعد أن شملت "الأولياء".. فللأولياء: "النصرة"- أي الإعانة- أما "العدل" فهو واجب حتى مع "الأعداء" {ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون}(١٢)

وأمام هذا المنهاج الإسلامي في العدل الشامل، تبرز المفارقة الشاذه بينه وبين الواقع المعاصر للمسلمين.. فغير النهب الاستعمارى لثروات الأمة، والذي يمثل خللا فاشيا في عدالة العلاقات الاقتصادية بين البلاد الإسلامية وبين مراكز الهيمنة والاستغلال الغربية.. نجد الخلل في موازين العدل داخلياً، وبين أبناء الأمة أيضاً.. فعندما يتفاوت دخل الفرد عبر دار الإسلام، فيكون لدى مسلم مائة دولار، ولدى مسلم آخر ثلاثة وعشرين ألف دولار؟!.. وعندما تدفع الفاقة قطاعات من المسلمين إلى براثين التنصير فيتخلون عن إسلامهم لقاء رغيف خبز وجرعة دواء؟!.. بينما تدفع التخمة ودولة المال شريحة من المترفين إلى حياة يتخلون هم فيها أيضاً عن حقيقة الحياة الإسلامية؟!.. وعندما تتسول الأمة غذاءها، فتفقد لذلك كرامتها واستقلال إرادتها.. وتستورد أغلب ما تستهلك، تاركة موادها الخام تنهب بأرخص الأسعار، معطلة بذلك ملكات الزراعة والصناعة بين أبنائها، ومشيعة البطالة في صفوف ملايينها؟!.. على حين تستلب من أثريائها الفوائض النقدية، بالترغيب وبالترهيب، لتصادر حينا.. وتجمد حيناً آخر.. ولتوظف في دعم الأعداء في كل الأحايين؟!.. وعندما يحال بين الأمة وبين صناعة سلاحها.. ويطلب منها التخلي عن عقيدة الجهاد- بل وحتى مصطلحه؛ ثم يفرض عليها استيراد السلاح بأرقام فلكية، شريطة ألا تستخدمه



توظيف الثروات الإسلامية من أجل تحرير الأمة فريضة إسلامية

ضد أعدائها، وأن يكون وقودا في منازعاتها الداخلية المصنوعة والمصطنعة؟!..

عندما تكون هذه بعض من جوانب الصورة الاجتماعية للأمة.. الأمة التي أرادها الله، بالتكافل الاجتماعي، جسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.. والتي أراد الله لعزتها أن تكون من عزته، سبحانه، وعزة رسوله، عليه الصلاة والسلام {ولله العِزَّةُ ولرَسُوله وللمؤمنين} (١٣).. فإننا نجد أنفسنا أمام فريضة إسلامية معطلة، هي فريضة العدل الاجتماعي، وعلى الأمة الجهاد لإقامتها.. وأمام مظالم اجتماعية أوردت الأمة موارد الهلاك في الدنيا وفي الآخرة.. فرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "أيما أهل عرصة (مجتمع.. أو قرية.. أو حي)- أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى"(١٤).. وهذا هو الواقع الظالم الذي يعيشه ملايين المسلمين اليوم.. جماهير معدمة.. وقلة مترفة، يكرس ترفها أغلال الاستضعاف {وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها فحَقَّ عليها القول فدمرناها تدميرا} (١٥).. وهذا الاستقطاب الاجتماعي الحاد يهدد وجود الطبقة الوسطى، التي تمثل العمود الفقري للتوازن الاجتماعي، ولتوحيد الأمة، ولحمل الرسالة الحضارية، ومواجهة التحديات..

إن إقامة فريضة العدل الاجتماعي، تتطلب مواجهة هذه السيطرة المستبدة لدولة الأغنياء {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فالله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دُولَةً بين الأغنياء منكم}(١٦).. ومواجهة "فردية-

الاستغناء" التي أثمرت هذا "الطغيان المالي" {كَلَّا إِنَّ الإنسانَ ليطغى، أن رآه استغنى}(١٧).. وضبط "الحرية الاقتصادية" التي شابهت حرية قوم نبي الله شعيب الذين {قالوا: يا شُعَيب أصلاتُكَ تأمركَ أن نَتْرُك ما يعبُد آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء..}(١٨)؟!

وأن ننقذ فقراء الأمة، بالعدل الاجتماعي، من الكوارث التي تخل بتوازنهم، فتذهلهم عن الدين والدنيا معا؟!.. وتحولهم إلى غثاء كغثاء السيل، وعبء على حاضر الأمة ومستقبلها!..

وهذا العدل الاجتماعي، يستلزم:

١- تحرير ثروات الأمة من الاستغلال الأجنبي.

٢- وتحقيق التكامل للاقتصاديات الإسلامية المستقلة.

٣- وإحداث تنمية اقتصادية إسلامية شاملة.

٤- وتوزيع العائد من التنمية وفق العدالة التي تحقق التوازن بين الطبقات..

تلك كانت، ولا تزال، هي مقاصد حركة الإحياء والتجديد الإسلامية، في التحرر الاقتصادي، والتنمية الشاملة، والعدالة الاجتماعية.. منذ أن أعلن جمال الدين الأفغاني عن "الغاية الاقتصادية" لحركة "الجامعة الإسلامية"، والتي قال إنها أن تكون:

"ثروة المسلمين للمسلمين، وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الإسلامي هي لهم، يتنعمون بها، وليست لنصارى الغرب يستنزفونها.

ونفض اليد من رؤوس المال الغربية والاستعاضة عنها برؤوس مال إسلامية.

وتحطيم نواجذ أوربة، تلك النواجذ العاضة على موارد الثروة الطبيعية في بلاد المسلمين، تلك الموارد التي مادامت خارجة من أيدي العالم الإسلامي فسيظل عالة على الغرب"(١٩)..

وحتى صياغة الإمام الشهيد حسن البنا لها، عندما قال: "إن الرابطة بيننا وبين أمم العروبة والإسلام.. تمهد لنا سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، وتنقذنا من التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما.. كما تكفل لنا استقلال نقدنا(٢٠)..

وإن "الجهاد الاقتصادي يوجب على المسلم أن يخدم الثروة الإسلامية، بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية"..(٢١).

وإقامة العدالة الاجتماعية الإسلامية.. وذلك:

١- بإصلاح الواقع القائم، والمتمثل في "التفاوت العظيم، والبون الشاسع، والفرق العظيم بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب "والذي أدى إلى وجود "ثراء فاحش، وفقر مدقع، والطبقة الوسطى تكاد تكون معدومة.." إصلاح هذا الواقع "بتقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريباً يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع".

٢- "محاربة الربا.. وجمع الزكاة.. وفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي - بحسب المال لا بحسب الربح - يُعفى منها الفقراء طبعاً" وتُجبى من الأغنياء الموسرين، وتنفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة (٢٢).. والتوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوذين، بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد(٢٣)... وذلك حتى يشعر الفقراء المعدمون بأنه قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه.."(٢٤).

إن الإسلام دين الجماعة- دون إنكار التمايز المشروع، المؤسس على الكفاءة والجهد-.. لكنه يقيم العلاقة بين مكونات الجماعة- الأمة- على التوازن - العدل-.. فالأمة في الرؤية الإسلامية، واحدة {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}(٢٥).. وعلاقة مكونات الأمة الواحدة- أفرادا وطبقات وشعوبا وقبائل- بالكيان الواحد للأمة هي علاقة الأعضاء المتعددة والمتميزة- في القوة والعطاء، والأهمية، والاحتياجات- بالجسد الواحد الجامع لهذه الأعضاء.. وعن هذه الحقيقة يعبر حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٢٦)..

ولقد أطلق الإسلام مصطلح "الفريضة" و"الحق" على مختلف أوجه الإنفاق في النفع العام.. ولم يقف بذلك عند فريضة الزكاة.. وقال المفسرون في الإنفاق الذي تحدثت عنه الآية الكريمة: {ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون}(٢٧).. قالوا: إنه "العفو" أي "ما فضل عن العيال. فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة" (٢٨)!..

فريضة العدل الاجتماعي تتطلب مواجهة السيطرة المستبدة لدولة الأغنياء..

وعلى هذا فإن توظيف الثروات الإسلامية على النحو الذي يحرر الأمة الإسلامية من وضع العالة على أعدائها هو فريضة إسلامية: الأمة بأسرها آثمة حتى تقيمها في اقتصاديات عالم الإسلام..

إن زكاة أموال المسلمين وزروعهم وتجاراتهم.. وزكاة الثروات المستكنة والمركوزة في باطن الأرض - الركاز- وهي الخمس- "في الركاز الخمس"(٢٩).. كفيلة بأن تقيم "صندوقاً" لتنمية عالم الإسلام، فتحرر، تنميته من الديون الأجنبية التي غدت قيودا ونزيفاً يستنفد صادراتنا في خدمة هذه الديون.. مع بقاء أصولها والجديد منها أخطبوطاً يرهن إرادة الأمة ويورثها المذلة والهوان..

إنها فريضة إسلامية، على حركة الإحياء والتجديد الإسلامية أن تنهض بها:

تحرير اقتصاديات الأمة وثرواتها.. وتنمية هذه الثروات.. وإقامة العدل الاجتماعي الإسلامي في ديار الإسلام. إن في المسلمين ملايين، بل عشرات الملايين، لا يجدون الكفاف.. وهذا يقطع بعدم شرعية الملكية للثروات التي غدت "دولة" بين الأغنياء.. فإذا جاع مؤمن فلا مال لأحد!..

والغنى المباح إسلامياً، لا يفتح بابه إلا بعد تحقيق "حد الكفاية" لسواد الأمة.. وليس "حد الكفاف".. وإذا كان في ثروات الأمة ما يسع أبناءها، ويحقق لهم "الكفاية"، بل و"الغنى".. فإن ما ينقصنا هو تحقيق العدل الاجتماعي، الذي هو، أيضاً، سبيل حفز الأمة لتنمية ثرواتها، وتحريرها من براثن النهب والاستغلال.

الهوامش:

(١) البقرة: ٣٠
(٢) الحديد: ٧
(٣) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) جـ٥ ص١٩٤، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٩٣م.
(٤) الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل) جـ٤ ص٦١، طبعة القاهرة ١٩٦٨م.
(٥) الأحزاب: ٧٢
(٦) النساء: ٥٨
(٧) الشورى: ١٥
(٨) النساء: ٩٧-٩٩
(٩) النساء:٧٥
(١٠) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والإمام أحمد
(١١) رواه مسلم والنسائي والإمام أحمد
(١٢) المائدة: ٨
(١٣) المنافقون: ٨
(١٤) رواه الإمام أحمد.
(١٥) الإسراء: ١٦
(١٦) الحشر: ٧
(١٧) العلق: ٦، ٧
(١٨) هود ٨٧
(١٩) لوثروب ستودارد (حاضر العالم الإسلامي) المجلد الأول جـ١ ص٢٢٨ ترجمة عجاج نويهض- تعليق: شكيب أرسلان، طبعة بيروت سنة ١٩٧١م.
(٢٠) (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا)- رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ص٢٤٤، ٢٣٨، طبعة دار الشهاب القاهرة.
(٢١) المرجع السابق- رسالة التعاليم- ص٢٧٩
(٢٢) المرجع السابق- رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي-ص٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٣ .
(٢٣) المرجع السابق- رسالة: دعوتنا في طور جديد- ص ١٢٣
(٢٤) المرجع السابق- رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي-ص٢٤٢
(٢٥) الأنبياء: ٩٢.
(٢٦) رواه البخاري ومسلم
(٢٧) البقرة: ٢١٩.
(٢٨) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ٣ ص٦١، طبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
(٢٩) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة ومالك- في الموطأ- والإمام أحمد.

من أعلام الحرمين الشريفين

ومن المدنيين العالم الفلكي وأحد أعيان المدينة المنورة الشريفة ورئيس بلديتها:

السيد مصطفى بن حسن عطار الحسيني رحمة الله عليه..



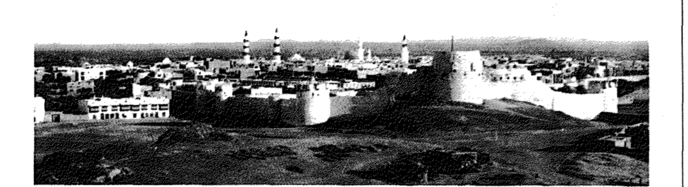
ولد رحمة الله عليه سنة ١٣١٧ للهجرة المباركة بالمدينة المنورة وهو من أسرة آل العطار الأشراف التي ينتهي نسبها إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما. وكان والده السيد حسن عطار أحد أعيان المدينة المنورة ورئيس حسبتها. وتلقى تعليمه الأولي بمدارس المدينة المنورة وفي حلقات العلم التي كان يديرها العلماء آنذاك بمسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وحصل على شهادة المدرسة الإعدادية ثم التحق بدار المعلمين العليا متخصصاً في دراسات العلوم الرياضية والتاريخ والجغرافيا. وبعد أن تخرج وفاق في هذه العلوم أخذ يهتم بعلم الفلك وحركة النجوم فبرع فيها وتعمق في أسرارها وتكويناتها واتجاهاتها وأصبح أحد علماء الفلك وله في ذلك مؤلف لم يطبع بعد ويعد من أهم مراجع علم الفلك. وكانت له مقالات وكتابات عمودية في علوم الفلك في بعض الصحف المحلية.



ضياء محمد عطار*

- المدينة المنورة -

وكان رحمه الله رجلا فاضلا عاقلا محبوبا فالتف حوله رموز من أعيان المدينة المنورة وكتابها وأدبائها ومن في طبقاتهم. وبذلك أصبح له مجلس يومي بعد العصر وحتى المساء بمنزله في حارة العنبرية وهي إحدى حارات المدينة المنورة المشهورة، ثم في داره الجديدة بطريق المطار يرتاده هذه النخبة فتتداول في مجلسه الأمور الاجتماعية والعلوم الدينية وتتناقش في الموضوعات الأدبية وعلوم الفلك وخلافها. وقد حضرت بعض مجالسه في أواخر أيامه بصحبة والدي رحمة الله عليهما. فأصبح يشركني في بعض المناقشات ويقول لوالدي دعه فإنه يعجبني في جرأته وفهمه رغم صغر سنه وهكذا نريد أن يكون أبناؤنا. وللسيد مكتبة زاخرة تضم في رفوفها عيون الكتب الإسلامية في شتى الفنون والتاريخ والأدب واللغات يزيد محتواها على خمسة وعشرين ألف كتاب حسب تقديري وقد تزيد وقد سألته مرة يا عم هل قرأت هذه الكتب كلها فرد عليَّ قائلا نعم جلها وليس كلها. وقد سافر في بعض أحيانه إلى خارج المملكة العربية السعودية مثل إيران والعراق وغيرها وله هناك مواقف وأحداث. ومن المواقف التي مرت عليه ماحكاه لي والدي عنه وحكاه لي قريبا أيضاً الأستاذ الأديب الشيخ حسن صيرفي متعنا الله بحياته أن السيد مصطفى عطار كان في رحلة إلى العراق ثم أخذت به الرحلة إلى إيران فاشترى هناك مفارش ثمينة وبسط فارهة. وبعد أن قضى مهمته عاد عن طريق العراق فإذا به يحتاج إلى بعض نقود مالية وهو في بغداد. فلم ير من يدعمه في هذه الغربة ففكر أن يبيع بعضا مما يحمله من المفارش والأمتعة ليواصل به مسيرته في طريق عودته إلى البلاد. فخرج يعرض في بعض أسواقها بعضاً مما معه فلم يجد من يشتريها وعلى الأقل بثمنها المدفوع فجلس والحيرة تخيم عليه ماذا عساه أن يفعل. فإذا رجل من المهابة والثراء بمكان يقول له يا شريف أنت اليوم ضيفي ومدعو عندي، فقال له من أنت ومن تكون. فقال أنا فلان وعرفه بنفسه وأخذه من مكانه والخدم بين يديه. فواصلوا في المسير حتى وصلوا به إلى منزل يظهر عليه آثار الأبهة والشموخ، فأدخله فإذا به أناس من أعيان البلدة وكبار القوم. فلما دخل عليهم أخذوا يسلمون عليه ويرحبون به ثم قدمت الموائد. وبعد أن فرغوا من الطعام قام صاحب المنزل وقال لضيوفه يا جماعة: هذا السيد مصطفى عطار من أعيان أهل المدينة ومن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وقد دعوتكم للتشرف بمعرفته ولتشهدوا أنني كنت في بعض زياراتي للمدينة المنورة انقطعت بي السبل واحتجت إلى من يعينني في هذا الظرف العصيب فلم أجد أحداً سوى والده السيد حسن عطار فشكوت إليه أمري فلم يتردد لحظة حتى دفع إليَّ مبلغاً من المال وهو لا يعرفني. فأخذت منه ذلك المبلغ وصرفته في حاجاتي وعدت به إلى بغداد، ومرت الأيام والأعوام وانقطعت عن زيارة المدينة المنورة. واليوم رأيت السيد مصطفى في بلدنا وعلى بساطنا وهذه خير فرصة أؤدي فيها الحق إليه، وأرد عليه بعض جمائل والده عليَّ فهذه خمسمائة جنيه ذهبا وهي حقه الذي أخذته من والده ثم دفعهن إلى السيد مصطفى. فأخذ السيد المبلغ المذكور شاكراً لحسن صنيعه وأمانته وكان في مسيس الحاجة إليه فسير به أموره وعاد إلى المدينة



المنورة. ومما حدث له كما حكاه لي ابنه أخي السيد حاتم عطار أنه ركب مرة البحر مع بعض رفاق له من أهل العلم والأدب يريدون الهند ومنهم الشيخ عبدالقدوس الأنصاري(١).

والأستاذ محمد حسين زيدان وغيرهما رحمهم الله جميعاً. فماج بهم البحر وأخذ القبطان يلوح بالسفينة يمنة ويسرة حتى تاه عن الطريق واتجه نحو شرق أسيا. فقام إليه السيد مصطفى وقال له: إنك الآن تتجه إلى ناحية كذا وكذا وطريقنا يجب أن يتجه إلى ناحية كذا وكذا. فقال القبطان هذا المسار صحيح وأنا أعلم بالطريق. ولكن السيد أبى وأصر على موقفه ومخالفته حتى غير القبطان وجهة السفينة بعد أن اقتنع من جدله بالأدلة الفلكية ومسارات النجوم فوصلوا إلى بر الهند سالمين. مما يدل على براعته ونبوغه في علم الفلك وهو يجادل القبطان بثقة في النفس واليقين وفي أشد الظروف حلكة.

وقد تقلد رحمه الله تعالى عدة مناصب حكومية ومن أهمها رئاسة بلدية المدينة المنورة من عام ١٣٦١هـ وحتى عام ١٣٦٨هـ وذلك قبل أن تتحول البلدية إلى مسمى الأمانة. كما عين مفتشاً عاما بإدارة أوقاف المدينة المنورة ثم عين مديراً عاماً لإدارة أوقافها. وكان عضوا في بعض مجالس المنطقة في بعض دوراتها. وكان من أشهر أدلاء الحجاج الإيرانيين بالمدينة المنورة. ولم يزل كذلك وحياته محفوفة بمواصلة العلم والإطلاع حتى توفاه الله تعالى في شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٩٥هـ من الهجرة المباركة، ودفن بالبقيع وسط جموع من المشيعين من أحبابه وأصدقائه ومحبيه عن عمر أتم به الثمانين عاما رحمة الله عليه. وخلف من الأبناء حسناً وحسيناً وحاتم وكلهم أصحاب أسرة وأولاد.

الهوامش:

(١) معلوم أن الشيخ عبدالقدوس الأنصاري لم يزر الهند البتة.. وكانت معظم زياراته وأسفاره إلى مصر وسوريا والأردن ولبنان.. وبعض الدول العربية الأخرى... ومعلوم عنه تسجيل زياراته تلك وتدوينها وقد نشرت رحلاته لتلك البلدان في مجلة المنهل.. هذا إضافة إلى رحلاته في داخل مدن وقرى المملكة العربية السعودية..

ولو كان قد سافر إلى الهند كما ورد هنا ما فات عليه تسجيلها وتدوينها ونشرها في مجلته المنهل وهذا ما لم يحدث.

وقد أفادنا بهذا حفيده الأستاذ/ زهير بن نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري، وهو الأكثر التصاقاً بجده، إذ كان يصحبه في رحلاته وأسفاره منذ يفاعته حتى إنه قد أسماه بـ (الرحالة الصغير) أما وقد وردت هذه المعلومة في هذا المقال فإننا نأمل الإفادة في مدى صحتها.. وإن كانت كذلك فإنا نفيد منها ولا شك.

— المنهل —

* attar@naseej.com



كيف نختار أصدقاءنا؟

د. علي السنوسي محمد حسين - المدينة المنورة- جامعة طيبة



مما لاشك فيه أننا نعيش في زمن عصفت فيه الرياح فاقتلعت جذور القيم من صدور الرجال إلا مَنْ عصم الله.. لذا فإننا بحاجة ماسة إلى تدقيق وتمحيص في اختيار الأخ والصديق.. قال بعض الحكماء:

"اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب فإنه ردءٌ لك عند حاجتك، ويد عند نائبتك، وأنس عند وحشتك، وزين عند عافيتك".

الصديق مرآة الذات واختيارها..



ويرى صاحب كتاب (أدب الدنيا والدين) الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي أن الخصال المعتبرة في اختيار الإخوان أربعة هي:

الخصلة الأولى: عقل موفور يهدي إلى مراشد الأمور، فإن الأحمق لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة، وقد رُوي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (البذاء لؤم وصحبة الأحمق شؤم).

وقال بعض الحكماء: (عداوة العاقل أقل حذراً من مودة الأحمق؛ لأن الأحمق ربما ضرَّ وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته، فمضرته لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات حد، والمحدود أقل ضرراً مما هو غير محدود).

الخصلة الثانية: الدين الواقف بصاحبه على الخيرات؛ فإن تارك الدين عدو لنفسه فكيف يُرجى منه مودة لغيره. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أخلاء الرخاء هم كثير
ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تؤاخي
فما لك عند نائبة خليل
وكل أخ يقول أنا وفيٌّ
ولكن ليس يفعل ما يقول

الخصلة الثالثة: أن يكون الأخ محمود الأخلاق، مرضي الفعال، مؤثراً للخير آمراً به، كارهاً للشر ناهيا عنه، فإن مودة الشرير تكسب العداء، وتفسد الأخلاق، ولا خير في مودة تجلب عداوة، وتورث مذمة وملامة، قال بعض الحكماء: (مخالطة الأشرار على خطر، والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم منه بِبَدَنِه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه).

الخصلة الرابعة: أن يكون في كل واحد منهما ميل لصاحبه ورغبة في مؤاخاته فإن ذلك أوكد لحال

المرء مع مَنْ أحب، فأحسن اختيار معيتك..

المؤاخاة، وأمدّ لأسباب المصافاة؛ إذ ليس كل مطلوب إليه طالب، ولا مرغوب إليه راغب، ومن طلب مودة ممتنع عليه ورغب إلى زاهد فيه كان مُعنّى خائبا كما قال البحتري:

وطلبت منك مـــودة لم أعطهـــا
إن المعنَّى طالبٌ لا يظفـــرُ

فإذا استكملت هذه الخصال في إنسان وجب إخاؤه، وتعين اصطفاؤه، وبقدر وفورها فيه يجب أن يكون الميل إليه والثقة به.

الأمور التي يصلح بها حال الإنسان في دنياه:

يصلح حال الإنسان بثلاثة أشياء:

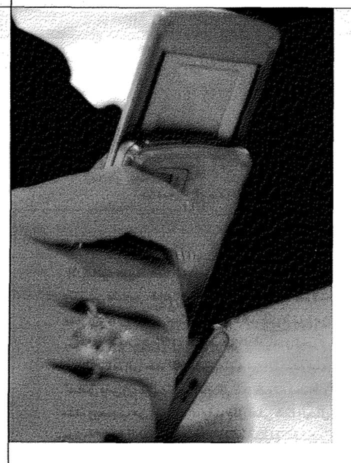
الأول: نفس مطيعة إلى رشدها، منتهية عن غيها، وذلك لأن النفس المطيعة ملك صاحبها، أما إذا عصته فقد ملكته ولم يملكها، ومن لم يملك نفسه تعذر عليه أن يملك غيرها، لذا قال بعض الحكماء: (لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره ونفسه ممتنعة عليه).

فالعاقل هو الذي يتحكم في نفسه الشريرة فيتهمها دائماً ولا يطيعها في شيء بل يعمل عقله في كل أمر قبل أن يقدم عليه متجنبا في ذلك الأهواء والرغبات.

الثاني: ألفة جامعة تتعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها:

لأن الإنسان إذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطفته أيدي حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مُدَّة- أي لم يصف له زمان- ويقول الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه (المؤمن آلفٌ مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس).

لذا فإنه ينبغي على الناس أن يرتبطوا بروابط متينة من المحبة والتعاطف والتراحم، يجب أن تجمعهم ضرورات الحياة وحتميتها على الحب لا الكره، وعلى المودة لا القطيعة.



الثالث: مادة كامنة تسكن نفسُ الإنسان إليها ويستقيم أَوَدُه بها: إن حاجة الإنسان لأزمة لا يعرى منها بشر قال الله تعالى {وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين} فإذا عدم المادة التي هي قوام نفسه لم تدم له الحياة ولم يستقم له دين، وإذا تعذر شيء منها عليه لحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه لأن الشيء القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله، وقد شاء الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يجعل سد حاجة عباده من وجهين:

مادة وكسب:

فأما المادة فهي حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها، قال الله تعالى {وأنه هو أغنى وأقنى} أي أغنى خلقه بالمال وأقنى أي جعل لهم قنية وهي أصول الأموال.

وأما الكسب فيكون بالأفعال الموصلة إلى المادة والتصرف المؤدي إلى الحاجة وذلك عن طريق الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الأفعال المكسبة.

عمرو ابن معد يكرب الزبيدي

إذا كانت حياة هذا الفارس الشاعر تبدأ باليمن وتنتهي بفارس، فإنها في الوقت نفسه قد عرفت بداية عمرو كفتى مائق أحمق، فقد ظل فترة من شبابه لا يعرف إلا الإسراف في الطعام، والجري وراء النساء، إلى حد أنه أطلق عليه من القبيلة اسم "مائق بني زبيد". ولقد كان كل من حوله يسخر منه، ويعجب من أمره (١). وقد ظل على هذا الحال حتى شاع في القبيلة الزبيدية أن قبيلة "خثعم" تريدهم، وأنها تُبَيِّت أمراً لإبادتهم، ولما كان كل من في القبيلة يستعد لهذا الأمر، فإنهم لم يضعوا عمراً في حسابهم استهانة به. ولكن الأمر تغير فجأة. ذلك لأن عمراً دخل على أخته وهو يهدر: أشبعيني إني غداً لكتيبة! وكان أن ضحكت الأخت لأمره، ويجئ الأب على صوتها متسائلاً. فتستمر في الضحك ثم تقول: هذا المائق يقول: أشبعيني إني غداً لكتيبة، فلا يوجه الأب النظر إليه، وإنما يقول لابنته: سليه ما يُشبعه، ويردُّ عمرو: فرق من ذرة، وعنز لم تبلغ عامها الرابع، ويقول الأب: افعلي ما طلب، وتصنع الأخت الطعام، ويجلس إليه فيستوفيه جميعاً؟

ثم يأتي الصباح، ويكون هجوم قبيلة خثعم، ويدخل عمرو المعركة فيرى لواء أبيه قائماً، ثم تمضي فترة وإذا لواء أبيه قد زال، وهنا ينتفض عمرو -كما يقال- كأنه سرحة محرقة، ثم يتوجه إلى أبيه المهزوم، فيقول له: إنزل عنها فاليوم ظلم، ويسخر الأب من الابن قائلاً: إليك يا مائق، وهنا يعترض شيوخ بني زبيد، ويقولون: خَلِّه أيها الرجل وما يريد، فإن قُتل كُفيت مئونته، وإن ظهر فهو لك!

وهنا يستجيب الأب للنصيحة، ويُلقي إلى عمرو سلاحه، وإذا بعمرو يرمي "خثعم" بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم، ثم كر عليهم وفعل ذلك مراراً، وهنا تشجعت بنو زبيد، وحققت نصراً بعد هزيمة، ومن هذا اليوم أصبح عمرو يسمى "فارس زبيد" وكان من الطبيعي أن يحقق عدداً من الانتصارات لقبيلته، وقد هزل لدخوله المعركة بعد المعركة، وكان أن نحل كطبيعة الفرسان العرب -بعكس صورة الفارس اليوناني-(٢) وكان أن تمدح بهذه الصفة فقال

أعاذلُ.. إنما أفنى شبابى
إجابتي الصريخَ إلى المنادى
مع الفتيان حتى سُلَّ جِسْمي
وأقرحَ عاتقى حملُ النِّجار

وقد أرسله النعمان ليخطب أمام كسرى فأجاد (٣) .. ولكن الإسلام يجئ، وتتغير الموازين، وتكون مناصرته "للأسود العنسي" الذي قام بأول ثورة ضد دولة المدينة، والذي رأيناه يمنع عمال الصدقات المسلمين من ممارسة أعمالهم، وكيف أنه زحف إلى صنعاء وطردهم، وبعد فترة يكون لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين عمرو، ففي عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك إلى المدينة المنورة، نرى عمراً يدبر لهذا اللقاء في المدينة، وكان أن بادر الرسول صلى الله عليه وسلم في لقائه به قائلاً: حيَّاك الله إلهك، أبيت اللعن، وكان أن قال الرسول فيما قال: آمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر، ويسأل عمرو: وما الفزع الأكبر؟ فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه فزع ليس كما تحسب وتظن، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات، إلا ما شاء الله من ذلك، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نُشر، ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض، وتخر منه الجبال، وتنشق السماء انشقاق

القُبْطية الجديد ما شاء الله في ذلك - والقبطية ثياب مصرية رقيقة بيضاء - ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء، ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه. أين أنت يا عمرو؟ ويرد عمرو: إنّي أسمع أمراً عظيماً، ويقول الرسول: يا عمرو أسلم تسلم، وهنا يسلم عمرو ويبايع لقومه على الإسلام في رجب من سنة تسع!

ولكن الإسلام لم يدخل بعمق في قلبه، ذلك لأن "فروة بن مسيك"حين قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في وفد مذحج استعمله الرسول على قبائل مراد، وزبيد، ومذحج، وكان أن غضب عمرو وارتد عن الإسلام، (٤) ودخل في صراع مع من أرسلهم الرسول إليه، وفي هذه المعارك فقد سيفهُ المعروف باسم الصمصامة (٥)، وسُبِيَتْ أختهُ ريحانه في موقف مؤثر: فقد كانت تصرخ عليه: ياعمرو "وهي تسير في موكب الصمة بن بكر، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، ومن هنا صرخ في حزن:

أمِنْ ريحانة الدّاعي السميعُ
يُؤرِّقُني، وأصْحابِي هُجوعُ
سَبَاهَا الصّمةُ الجشمي غَصْبا
كأنَ بياضَ غُرّتها صديعُ
وحالتْ دونها فُرْسَانُ بَكْر
تكشّفُ عن سواعدها الدّروعُ
إذا لم تَسْتطعْ شيئا فَدَعْهُ
وجَاوِزه إلى ما تستطيعُ!

وعلى الرغم من أن "عمراً" عاد إلى الإسلام إلا أن عودته كانت بطيئة على نحو ما نعرف من حديثه مع عُيينة بن حصن، وكيف أنهما تسامرا في ليلة على الشعر والشراب، مما جعل عُيَيْنة يقول في هذه الليلة التي أكرمه فيها عمرو

جُزيتَ أبا ثور جزاء كرامة
فَنعم الفتى المزدارُ والمتضيِّفُ
قَرَيْتَ فأكرَمْتَ القِرى وأفدْتنا
نخيلة علم لم يكن قط يعرف
وقلتَ: حلالٌ أن تدير مُدامة
كلون انعقاق البرق والليل مُسْدِفُ



أ.د. عبده بدوي - يرحمه الله

مصر

وقدمْتَ فيها حُجةً عربيةً
تردُ إلى الإنصاف من ليس يُنصف
وأنتَ لنا ولله ذي العرش قدوة
إذا صدّنا عن شُربها المتكلّف
نقولُ: أبو ثور أحَل حَرامها
وقولُ أبي ثور أشدَ وأعرفُ (٦)

وقد كان لا يطيق إلا أن يكون في الصدارة، ومن هنا رأيناه يقترب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويبدي رغبة في شهود حرب القادسية، وقد رأينا عمر يكتب إلى سعد بن أبي وقاص: إني قد مددتك بألفى رجل، عمرو بن معد يكرب، وطليحة الأسدى، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً، ولقد كان عمر يعجب من جسمه، فكان إذا نظر إليه يقول:

الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً! وفي هذه الموقعة أبلى بلاءً حسناً، فقد رويت الأعاجيب عن فروسيته، على الرغم من أنه كان قد بلغ من السن مائة وعشرا، ولقد كان صاحب فكرة التغلب على الفيلة في القادسية، فقد قال: ألزموا خراطيم الفيلة السيوفَ فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها، ثم نراه يشد في المعركة على "رستم" وهو على الفيل، بعد أن ضرب خرطوم فيله فسقط، وكان أن تم انتصار المسلمين في هذه المعركة، وقد شهد له سعد بن أبي وقاص فقال: لقد كان له موطن صالح يوم القادسية، "إنه عظيمُ الغناء، شديد النكاية للعدو (٧).

وقد ظل فترة في مغازى فارس، حتى وصل إلى الرَّي، ودستبى، وحين نزل خاناً في "روذة" مرض فجأة، وفلج، ودفن على الطريق، فقالت امرأته ترثيه:

لقد غادر الركبُ الذين تحمّلوا
بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غُمرا

فقل لزُبيد، بل لمذْحج كلها

فقدتم أبا ثور سنانكُم عمرا

فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم

ولكن سلوا الرحمن يُعقبُكم صبراً

وهكذا عاش "عمرو بن معد يكرب الزبيدى" حياة صاخبةً في الجاهلية وفي الإسلام، وكيف أنه لم يصل إلى الفروسية إلا بعد الخوض في العبثية، ولم يهتد إلا بعد عصيان، ولم يصل إلى الوعي الجمالي في الشعر إلا بعد المزج بين ما هو روحى وما هو حسى، في إطار ظاهرة البطولة، على حد قوله:

ليس الجمالُ بمئزرٍ

فاعلم وإن رُدِّيت بُردا

إن الجمال معادن

ومناقب أورثْنَ مَجْدا

أعددتُ للحدثان سا

بغة، وعداًء علنْدا

نهْداً وذا شغب يَقُـ

دُ البيضَ والأبدان قدّاً

وعلمتُ أني يوم ذا

ك منازلاً كعبا ونهدا

قوم إذا لبسوا الحد

يد تنمروا حلقاً وقدا

كل امرئ يجري إلى

يوم الهياج بما استعدا

لما رأيتُ نساءنا

يفحصن بالمعزاء شداً

وبدتْ لميس كأنها

بدرُ السماء إذا تبدّى

وبدت محاسنها التي

تُخفَى، وكان الأمر جِدا

نازلت كبشهم ولم

أر من نزال الكبش بُدا (٨)

ويبدو أن شعره في الفترة الأخيرة قد رق وسلس وأصبح ذا منظور واسع، واقتدار على التصوير، في موسيقى عذبة شديدة التأثير بالبحور القصيرة، والقوافي المركبة، ثم إن عناصر النص يدعو بعضها بعضاً، فالعناصر الأولى تكون اختيارية، ولكنها تفرض الحقل الدلالي المتسق معها، ويلاحظ هنا التصريح باسم الحبيبة "لميس" ووصفها على غير عادة العرب (٩) في الكتمان والكناية كما استشهد له بتنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم كقوله "أجرتْ" بمعنى أجرته، أي شقت لسانه (١٠) .

الهوامش :

(١) الأغاني ٢٤/١٤

(٢) الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام ص٤٤. د. فؤاد المرعى الأبجدية. دمشق

(٣) الجزء الخاص بوفود العرب من العقد الفريد

(٤) الشعر والشعراء ٢٨٩/١

(٥) يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل يوماً أي سيوف العرب أمضى، فقيل له: صمصامة عمرو، فبعث إليه أن أرسل سيفك، وحين جرّبه وجده دون ما قيل عنه، فكتب إليه في ذلك. فرد عمرو: إني إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث له بالساعد الذي يضرب به- الفروسية العربية في العصر الجاهلي. د. سيد حنفي ص٤٤ط. دار المعارف بالقاهرة.

(٦) ديوانه تحقيق مطاع الطرابيشى ٢٠ ط دمشق.

(٧) يحكى أنه في يوم أرمـات - وهو أول يوم من أيام القادسية - مر يُحضِّضُ الناس على القتال، وبينما هو كذلك خرج إليه أعجمي ورمى بنبله فما أخطأ ما رمى، فما كان من عمرو إلا أن التفت إليه، وحمل عليه، ووضعه بين يديه، ثم كسر عنقه، ووضع سيفه على حلقه وذبحه، ثم ألقاه وقال: هكذا فاصنعوا بهم، أيام العرب في الإسلام ط٣ ص٢٦٧، ٢٦٨.

(٨) ديوانه تحقيق مطاع الصفدي ص٦٣ ط دمشق، الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام ص١٠٢ د. فؤاد المرعي. ط الأبجدية. دمشق.

(٩) **عطفتُ على أسمائكم فكسوتها**

قميصا من الكتمان لا يتخرق

أكنّى بغيرك في شعري وأعنيك

تقية وحذاراً من أعاديك

- مصارع العشاق للسراج ١٦١/٢

(١٠) المقصود بأجر أجرتني لأنه لا يتصور أن يكون ها هنا شئ آخر يتعدى إليه - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ١٧٩

الشريف أحمد بن مسعود

عبدالله بن أحمد الشباط - السعودية

هذا أمير غدر به الزمان وحرمه من حقه في السلطان.. فساح في البلاد وتغرب حاكيا حال أبي فراس وابن المقرب.. باذلا في بلوغ أربه كل نفيس معزيا نفسه بقول امرئ القيس:

بكى صاحب لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبكي يا صاحبي إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أما اسمه فهو الشريف أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نُمّي كان يرى نفسه أحق بإمرة مكة المكرمة من غيره إلا أنه لما رأى الإجماع على تولية عمه الشريف إدريس لم يخالف الإجماع وصار من جملة الأعوان والأتباع ظنا منه أنه سوف ينال مراده وأن يعود الحق إلى نصابه.. إلا أنه رأى منه جفوة وتقصيرا في حقه فقال:

رأيتك لا توفي الرجال حقوقهم
توهم كبرا ساء ما تتوهم
وتزعم أنى بالمطامع أرتضي
هوانا ونفسي فوق ما نلت تزعم
وما مغنم يدنى لذل رأيته
فيقبل إلا وهو عندى مغرم
واختار بالاعزاز عنه منية
لأني من القوم الذين هم هم

فلما آل الأمر إلى الشريف محسن بن الحسن.. عمه الثاني نزع منه السقيا والوفادة التي كان منوطا بها وحرمه من وظائفه التي كان يقوم بها علم أن الأمور لا تأتي إلا بالمهادنة وبالتهديد حينا وبالتعريض حينا آخر..

ولم يتحقق له ما يريد إذ رأى ابن عمه أحمد بن عبدالمطلب يسعى لدى الوزير أحمد باشا الذي يساعده على دخول مكة المكرمة والاستيلاء عليها بعد إخراج الشريف محسن منها.. فيجد أديبنا أحمد أنه لابد له من السعي لدى الحكام والسلاطين للاستعانة بهم لاسترداد حقه.. فيغادر الحجاز إلى اليمن.. ليلتقي بالإمام محمد بن القاسم فيمدحه بقصيدة طويلة فلم يحصل منه على طائل.. فيغادر اليمن متوجها إلى الأستانة وفي الطريق مر بساحل الشام ونزل بطرسوس وأقام بها مدة نظم خلالها قصيدة يستنجد فيها بالنبي

محمد صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

أدرك.. أدرك ذا غـربـة وانفـراد
وسـهـاد ومـدمـع مـبـجـوس

فقد لقي من حصائد النفي مالا
قى كليب فيها غداة البسوس

الوحي الوحي فذلك ملهو
ف يناديك من ورا طرسوس

يا نبياه.. ياولياه.. ياجدا
ه ياغوث ضارع موطوس

أنت إن أعضل العضال وأعيى
كل آسٍ دواء جالينوس

وييمم وجهه شطر الأستانة عاصمة الدولة العثمانية حيث السلطان مراد فيلقى في سفره وغربته ما جعله يلهج بمأساته.. متذكرا شتات شمله فيقول:

أتتني سلمى وهي غضبى أسيفة
تساقط ياقوتا على فضة النحر

تقول أما هذا المقام ببلدة
غريبا على سخت النوائب والسحر

أما نذكر البطحاء والبيت والصفا
ومنزلة الوفاد بين بنى فهر

فقلت لها والطرف تدمي كلومة
ومنزلة الوفاد بين بنى فهر

ألا فاربعي عنّي وعي القول واسمعي
ولا توجعي المحزون باللوم والهجر

إذا جاء نصر الله والفتح بعده
فَتَبَّتْ يد الأحزاب في زمن الكفر

واني على بُعْدِ المزار وقربه
عزيز على هام السماكين والنسر

وبعد أن يصل إلى الأستانة ويحط رحله في رحاب الخلافة يرفع للسلطان مراد قصيدة طويلة يطلب منه العون والمدد لتخليص الحجاز من يد ابن عمه أحمد بن عبدالمطلب يقول فيها:

فيا ملك الملوك ولا أحاشى
ولا عذرا أسوق ولا احتشاما

أنفت بأنني ألقاك منهم
بمنزلة الرجال من الأيامى

إلى جدواك كلفنا المطايا
دواما لا نفارقها دواما

وجبنا أيها الملك الموامى
إلى أن صرنا من هزل هياما

وذقنا الشهد في معنى الترجي
وذقنا الصبر من جوع طعاما

صلينا من سموم الغيظ نارا
تكون بنورك السامي سلاما

وخضنا البحر من ثلج إلى أن
حسبناه على البيد الكماما

وجاوزنا العنان على عنان
تسير بنا ولم تلبث شآما

نؤم رحابك الفيح اشتياقا
ونأمل منك آمالا جساما

ومن قَصَد الكريم غدا أميرا
على ما في يديه ولن يضاما

لكن يا ترى هل استجاب السلطان لهذه الرغبة؟ وهل أنجد ذلك الشريف المستنجد؟ عبدالملك العصامي يقول إنه حباه بالكثير من الهدايا والصلات لكنه لم يستجب لمطلبه.. أما

المحبى في نفحة الريحانة فإنه لا يجزم بشيء من ذلك وإنما هو يستعمل كلمة قيل في مكانين. الأول: فقيل إنه أجابه للتمسه ومراده وأرعاه من مقصده أخصب مراده ولكن مدت إليه يد الهلك قبل أن ينال الملك.

والثاني: وقيل: بل أجزل عطاه فقط فقد طمعه عما تمناه وقط..

وسواء صح هذا أو ذاك فإن أديبنا الأمير لم يبلغ مراده حيث وافاه الأجل المحتوم وهو في طريق عودته.

وللأمير الشاعر مقطعات شعرية أثبتها المحبى في نفحة الريحانه تدل على شاعرية خصبة وعبارة رائعة كما في قوله من القصيدة التي رفعها إلى السلطان مراد:

نام الطفل النبت في حجر البغامى
لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمى أغصان النقا
فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى
وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثمل
قد سقته راحة الصبح لثاما
حول الزهر كؤوس قد غدت
مسكة الليل عليهن ختاما

ومن شعره يصف حاله:

كيف العزاء والفؤاد ملتهب
والحي زمت لبينة النجب
والعين عبرى والجسم ممتقع
والنفس حرى والعقل مضطرب
وهذه أربع بكاظمة
عفت قديما فندبها يجب
وابك رفاتا بها انفا
عنى فقد أذهلتني النوب

ومن شعره في الغزل يتذكر أيام اجتماع الشمل:

أفي المضارب أسياف وأجفان
تصول أم هي ألحاظ وأجفان
أحدو العيس أم نوح الحمائم أم
نسيم نجد توالت منه أشجان
لا بل هو الشوق يدعو الصب نحوهم
فيستجيب لهم قلب ووجدان
وكيف وهو قوى القلب لا سيما
وجنده فرد عنيد وغزلان
طاب الزمان به والعيش وابتهجت
أوقاتنا وكذا الأيام تزدان
هم الأحبة إن جاروا وإن عذلوا
وهم حلول فؤادي أينما كانوا

أما تاريخ وفاته فإن المحبى يقول إنه توفي في سنة ١٠٤١هـ أو في سنة ١٠٤٢هـ.. غير أن العصامي يؤكد أنه توفي بعد سنة ١٠٤١هـ لأنه في أواخر شوال سنة ١٠٤١هـ دخل الأستانة ورفع قصيدته ومظلمته إلى السلطان مراد..

ثم يقول وفي سنة ١٠٤٢هـ أو في السنة التي بعدها توفي الشريف أحمد بن مسعود وهذا ما يؤكد أن وفاته كانت في أوائل سنة ١٠٤٢هـ رحمه الله وغفر له.

الليدي بيرد جونسون...

مابين صناعة الطائرات المقاتلة وعشق الزهور البرية

في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر يونيو ٢٠٠٧م وهو اليوم الذي يتشاءم منه الأمريكيون دفنت الليدي بيرد جونسون بمدينة أوستن إلى جوار زوجها الرئيس السادس والثلاثين ليندون جونسون، الذي وقف يوماً في الكونجرس يعارض تقديم الإسناد الجوي للقوات الفرنسية، التي كانت تخوض معركة (ديان بيان فو) في فيتنام بنصائح أمريكية.

يقتلون البشر بالطائرات ويعتذرون بالزهور





أ. د. أنور ماجد عشقي
رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية القانونية - جدة

بيع السـلاح و(تجـارة الحـرب) يمارسـها أصحاب القرار أنفسـهم..

كان جونسون الديمقراطي يعارض هذا الإسناد القتالي ويرفع صوته قائلاً: إننا يجب أن لا نساهم في هذه الحرب القذرة، وبذلك حال رجال الكونجرس يومها دون إنقاذ الجيش الفرنسي عن طريق الإسناد الجوي. فتركوا فرنسا وحدها تتجرع الهزيمة المرة في معركة ديان بيان فو، وتخسر أكثر من مائة ألف مقاتل، وهذا الموقف لم تغفره فرنسا لحليفتها حتى اليوم. وهو ما يؤكد لنا أن الديمقراطيين حينما يستلمون السلطة فإنه ليس من المتوقع أن يوقفوا الحرب في العراق وربما زادوها اشتعالاً.

فالرئيس جونسون عندما تولى الرئاسة الأمريكية لم يوقف حرب فيتنام التي خاضتها أمريكا، بل زاد من تصعيدها كي يفرض على الجيش الأمريكي في فيتنام شراء ألفين وستمائة طائرة مروحية من نوع (بل تيكسترون) التي قرر الخبراء أنها تابوت طائر، فسقطت كلها بالجنود الأمريكيين، إما من قبل الفيتناميين أو بسبب قدرة الطائرة، ولم يبق في نهاية الحرب إلا ستون طائرة وهو ما جاء في تقرير (أرسنال ١٩٨٠م) وما ذلك إلا لأن زوجته الليدي بيرد جونسون كانت من أكبر المساهمين في هذه الشركة.

لقد كانت الليدي بيرد جونسون مع زوجها نائب الرئيس في عربة خلف عربة الرئيس جون كنيدي، في موكبه الذي كان يسير في مدينة دالاس بولاية تكساس عند اغتياله.

وقتها وجدت الليدي بيرد جونسون نفسها قد دخلت دوراً لم تكن مستعدة للدخول فيه، وفيما كان العالم منشغلاً بهذا الحادث المروع، كانت الليدي بيرد جونسون تسترجع الذاكرة، بعد أن وجدت



نفسها في موقع السيدة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية.

تذكرت أن اسمها الحقيقي هو كلوديا تيلور، لكنها بسبب جمالها ورقتها، أطلقوا عليها اسم الليدي بيرد بمعنى (الدعسوقة) أي الخنفساء الجميلة الطائرة، هذا الاسم جعلها تعشق البيئة، فروجت أثناء ولاية زوجها لمائة تشريع لحماية البيئة، وتزعمت حملة لتجميل الطرق في واشنطن العاصمة، ونزعت كثيراً من الإعلانات التي كانت تحجب المناظر الطبيعية الجميلة، كما زينت العاصمة بالزهور البرية البيضاء، حتى أن سكان

العاصمة يتذكرون في فصل الربيع، هذه المرأة التي اهتمت بجمال الربيع.

وخلال رئاسة الرئيس جونسون، أضافت الليدي بيرد إلى مكتبها السكرتير الصحفي، ورئيس هيئة الموظفين، وكتاب خطب، وموظفين، للتواصل مع الشعب وتولت اختيارهم وتعيينهم، كما عززت الاتصال بالكونجرس، فكان لها دور ينم عن خبرة طويلة في السياسة امتدت إلى عشرات السنين، وهكذا كرست طاقتها الهائلة في حماية البيئة والاهتمام بالحقوق المدنية والحرب على الفقر.

لقد وقفت هذه السيدة في مواجهة المعارضة الجنوبية لقانون الحقوق المدنية، وقامت بجولتها الأولى وهي عبارة عن سلسلة من الزيارات السياسية القصيرة، أطلق عليها (قطار الليدي بيرد الخاص)، فشملت الزيارة الولايات الجنوبية، وتحدثت فيها بلهجتها الجنوبية إلى الناس عن أهمية التشريع.

لقد كان لها تأثير بالغ، رفع من رصيد زوجها الشعبي، لكن هذا التأييد سرعان ما انهار بفعل حرب فيتنام، أما هي فقد استطاعت أن تقر المساعدات التعليمية والغذائية، لأبناء الأسر الفقيرة، فكانت الرئيسة الفخرية للبرنامج.

كان لزواجها من الرئيس ليندون جونسون الذي عرف بحدته وسرعة غضبه عام ١٩٣٤م عندما كانت تعمل موظفة مساعدة في الكونجرس الأثر الأكبر في نجاحه، فكانت مخلصة له، فجسدت دور الزوجة المثالية في التأييد والإخلاص.

لقد كانت من أسرة غنية، وهذا ما مكنها من إنفاق جزء كبير من ميراثها، على تمويل أول حملة له لخوض انتخابات الكونجرس، كما كانت صاحبة أعمال استقلت بها وابتاعت محطة للإذاعة، فجعلت منها محطة إذاعية ناجحة كما عملت في تجارة العقار والاستثمار.

حرب وقتال ودماء في فيتنام.. واهتمام بالزهور والبيئة في أمريكا!!

لقد كانت تقول: إن من مسؤوليتها أن تهيئ الجو المريح لزوجها كي يؤدي فيه أفضل أعماله، ومع هذا فقد كانت مستقلة بذاتها، لقد أشاد بها الرئيس بوش في مناسبة وفاتها من خلال بيان أصدره البيت الأبيض في ١١ يوليو ٢٠٠٧م يذكر الشعب الأمريكي قائلاً: (إن الزهور البرية التي تنتشر اليوم على جوانب الطرق وتزهر، هي جزء من إرثها، لقد كانت صديقة حميمة لنا وامرأة دافئة المشاعر، كريمة الخلق).

لقد ظلت الليدي بيرد جونسون صديقة للبيئة منذ عام ١٩٧٣م يوم مات زوجها، فشاركت في تأسيس المركز الوطني لأبحاث الزهور البرية في أوستن بتكساس، الذي يحمل اسمها اليوم، لقد ظل المركز يقوم بإجراء الأبحاث على الزهور البرية، والأعشاب الضارة، والقضايا التي تتعلق بالحفاظ على البيئة، ويشارك في مشروع بنك الألفية العالمي للبذور.

لقد تركها زوجها جيلاً كاملاً ليسبقها إلى الدار الآخرة، حصلت خلال هذه السنوات على أعلى الأوسمة، من أهمها وسام الحرية الذي منحها إياه جيرالدفورد عام ١٩٧٧م كما منحها الرئيس رونالد ريجان وسام الكونجرس الذهبي، وبعد أن خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً، توارت تحت الثرى إلى جوار زوجها بعد أربع وثلاثين سنة من وفاته، لتنسي الشعب ما ارتكبته في حرب فيتنام بالزهور البرية التي غطت عليها، لأننا لا نجد خيراً من الزهور أسلوبا للاعتذار عن ما اقترفناه من أخطاء.



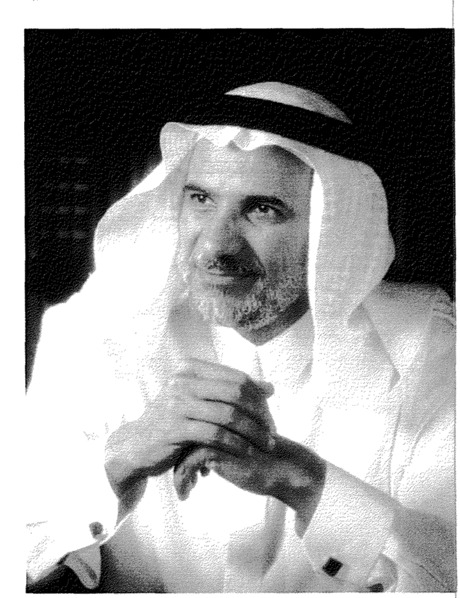
عبدالحميد محسن سليمان
- الكويت -

حروف المعجم

هذي حروف المعجم — أشدو بها ملء الفم
لغتي التي أحيا بها — منذ القديم الأقدم
إني إلى آبائها — وإلى بنيها أنتمي
قلبي يهيم بحبها — ويهيم كُلُّ متيَّم
إني لحرمة خدرها — أحمي حماها بالدم
وأصون عهد غرامها — عهد الوفيِّ المسْلِم
وأعوذ من أعدائها — بالله حتى تحتمي
فهو الذي أوحى بها — وحي النبي الأكرم
وبها أتى قرآنها — بالنور قبل الأنجم
فمحت بنور صباحها — ظلمات جهل مظلم
وبعذب ماء فراتها — أحلت أمَرَّ العلقم
فغدت لنا بين الورى — حقا أداة تفاهُم
كانت ولا زالت لنا — في العلم خير مُعلِّم
لغتي بغيرك لم أكن — ولأنت سر تكلمي
أيكون شاعر أمة — بلسان فاه مُلجَم
ما الحسن في طير شدا — لولا بديع ترنُّم
لا تجعليني صامتاً — أوحي إليَّ وألهمي
لغتي أحبك فاعلمي — وعِمِي سلاماً واسلمي

د. سعد بن عطية الغامدي..

شاعر يحمل مشاعل التجديد في الشعر الفصيح



ما زال الشعر الفصيح هو ديوان العرب الذي يوحد العرب إلى كلمة سواء

يعترف كثير من شعراء العربية أن الشعر تراجع في هذه الأيام وأن رواده يشحون وأنه لم يعد يحفل به الكثير من القراء الذين جذبهم الشعر الشعبي من ناحية ثم جذبتهم الفضائيات والانترنت والكليبات بمختلف أشكالها وألوانها وأنغامها وأطيافها ..

ولكن قليلاً من القراء المحبين للشعر الفصيح يقولون إن الشعر لم يتراجع، وإنما الذي تراجع هم الشعراء الذين لم يستطيعوا أن يأتوا بما أتى به الأوائل، فحينما رحل مجموعة الشعراء الكبار وكان آخرهم الأمير عبد الله الفيصل ونزار قباني ومحمد حسن عواد وحمزة شحاته وقبلهم جيل شوقي وحافظ..لم نعد نقرأ شعراً عربياً فصيحاً يدغدغ العواطف ويناغي الأحاسيس والمشاعر، بل بتنا نقرأ شعراً محنطاً بليداً يفتقد الروح ويفتقر

إلى الصور الجميلة التي كان الرواد ينحتونها نحتاً من وجدانهم فتصل مباشرة إلى وجدان القراء وتحتل على مدى العمر مكانة أثيرة في نفوسهم .. وإذا كنا لا نريد أن نظلم القراء فإننا أولاء لا نريد أن نظلم الشعراء ..

نحن لا ننكر أن الشعر فقد الفرسان في كل الساحات العربية، فلم يعد في السعودية من يخلف عبد الله الفيصل وشحاته والعواد وأحمد قنديل وعبد الله بن خميس وعبد الله بن إدريس، ولم يعد في مصر من يخلف أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ثم محمود حسن إسماعيل وكامل الشناوي وعبد الصبور، ولم يعد في لبنان من يخلف الأخطل الصغير، ولم يعد في سوريا من يخلف سليمان العيسى ونزار قباني، ولم يعد في تونس من يخلف أبا القاسم الشابي ولم يعد في العراق من يخلف شاكر السياب والرصافي ونازك الملائكة ..

ولكن في الأسبوع الماضي وقعت في يدي مصادفة مجموعة دواوين شعرية للشاعر الدكتور سعد بن عطية الغامدي وتصفحتها ثم قرأتها بإمعان حتى توقفت على درر من الشعر الرصين تذكرني بالدرر التي كنا نقرأها ونطالعها في شعر شعراء الرعيل الأول ممن ذكرت سلفاً أسماءهم، وساعتذاك قلت إننا نظلم الشعر السعودي الفصيح إذ كنا نرميه بالسطحية والإسفاف، وأن الأمانة العلمية والإنسانية تقتضي أن نبحث عن الشعر الرصين في أرفف المكتبات الورقية التي فقدت بريقها بسبب الانترنت والفضائيات التي جذبت الشباب وقضت على أوقات فراغهم وشغلتهم بمغرياتها وتجاذباتها، ويعبر الشاعر الدكتور سعد الغامدي عن رأيه في الشعر فيقول:



د. أمين ساعاتي

-جدة-

الشعر الحي هو الذي ينبض بالحياة، ويزخر بالحركة ويموج بإيقاعات الوجود من حولنا، شأنه في ذلك شأن الأحياء الذين يتجاوبون مع ما حولهم، وليس غريباً أن تأتي بعض القصائد حادة الانفعال، شديدة التأثر، والبعض الآخر يأتي باهت الانفعال بارد العواطف، كما يكون الانفعال حاداً أو بارداً، وكما تهب الريح عاصفة أو يمر النسيم رخاء، وكما تفرغ غيمة محتواها عنفواناً أو تبعثه ديمة في أناة. ويمضي الدكتور الغامدي في توصيفه للشعر فيقول:

الشعر هو الخيال الفسيح الذي ينطلق فيه الفكر عبر اللغة وعبر أدوات الشعر من وزن وقافية، وهما الموسيقى التي لا يمكن أن يقوم بغيرهما، ولكنهما ليستا كافيتين وحدهما في أن يقول الشاعر شعره، بل لا بد من روح تسري في النص لتنتقل به عبر الأثير وعبر الصحائف، كما تنتقل كائنات هذه الحياة، والقضية الشعرية تكبر أو تصغر بحسب ما يمور في نفس صاحبها وما يكتنف وجدانه لحظة الوحي الشعري، فهي كبيرة في الرؤية الأكبر، صغيرة في الرؤية الأصغر وليس هناك من ميزان توزن به الرؤى إلا من خلال

■ ■ ■

الشعر الشعبي، والفضائيات أضعفا حركة الشعر الفصيح..

اهتمامات المتفاعلين مع نص الشاعر فمنهم من يرى الحياة من نافذة تطل على مساحة ضيقة من الأرض ومنهم من يرتقي قليلاً أو كثيراً لتتسع أمام ناظريه المساحة التي يستطيع أن يشاهدها ويصدر من خلالها أحكامه ويعمل موازينه .. إلى أن يقول:

إن الشعر يصلح لأن يكون واحداً من عوامل بناء الحياة وصناعة التاريخ والانفتاح على آفاق واسعة من هذا الكون الفسيح، بل إنه يصلح لربط جوانب مختلفة من الزمان تستقي الأجيال منه زادها وتمارس فيه نشاطها ودورها على مسرح الحياة الكبير في انطلاقه إلى حياة هي الأبقى والأرجى والأصفى.

هذا هو مفهوم الشعر عند الشاعر الدكتور سعد الغامدي الذي ندرس جانباً من شاعريته وشعره في هذا المقال.

إن الشاعر الدكتور الغامدي يرى بأن كل مناحي الحياة يمكن أن يعبر عنها شعراً، وأنه لا يستعصي على الشاعر المطبوع أن يلج تلك المناطق العلمية الوعرة التي تعلمنا في مدارسنا بأنها لا تدغدغ الوجدان ولا تداعب المشاعر فينظم قصيدته اللامعة التي اختار لها مصطلح "العولمة" عنواناً فأنشد فيها:

هم ينشرون بساحتنا

العولمة

هم يغرسون بأذهاننا

العولمة

هم يأخذون الرجالات من بين أهليهم

لكي يحقنوا فيهم العولمة..

يقضون أوقاتهم في"جنيف"

يرصون أجسادهم في صفوف

وبالتهنئات تمس الكفوف الكفوف

وتعلوا أنوف وتدنوا أنوف

هنالك يسقى الضعاف الحتوف

بأرض الحياد

يقام التنازل

والحكم

والمحكمة

أعادوا إلينا دهاليز"سايس وبيكو"

وأوراقها المظلمة

وأحداثها المرة المؤلمة

يروحون..يأتون..

يروحون..يأتون..

وفي ذات يوم،

يطلون قد لبسوا"عمة المعلمه"

ولكنها عمة موهمه

ينادي رجال الكراسي في لهفة

هلموا هلموا

فإنا حجزنا كراسي في جنة العولمه..

ونسأل نحن وما العولمه؟!

واسأل..تسأل..يسأل.

ما العولمه..؟!

وما كان أدرى الذي لم يلقن ما العولمة!!

وتسمع همساً هنا وهنا

هو الهمس؟!

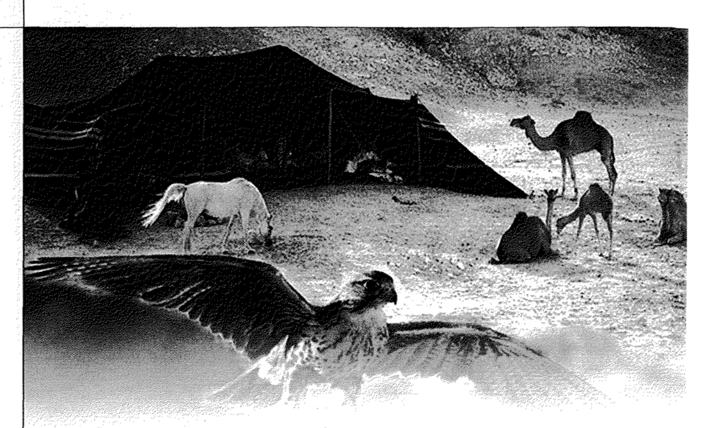
لا بل هي الهمهمه

هي الدولره؟

ربما..

هي الغربنه؟

الوزن والقافية والموسيقى، والروح السارية في النص.. مفاتح الإبداع..



ربما..

هي الرسمله؟

ربما..

ويأوي الذين يحاسبهم أهلهم

إلى مخرج آمن

فيسعفهم مخرج"اليورنه"

إن هذه القصيدة التي أسماها الشاعر "العولمة" تستحق أن تعطي الشاعر لقب أمير الشعراء، فلقد لخص فيها هموم العرب منذ مؤامرة سايس وبيكو وحتى مؤامرات اليوم بل حتى ما بعد كل يوم بأسلوب ندي ورصين يصعب على كثير من كتاب النثر أن يكتبوا عن العولمة بهذا المستوى من التلخيص والتركيز، لخص شاعرنا في قصيدة العولمة كل التعريفات التي وضعتها المنظمات الدولية وحتى عشاق العولمة ..

■ ■ ■

الشعر واحد من عوامل بناء الحياة وصناعة التاريخ..

أما القصيدة التي يتحدى فيها المناطق الوعرة على الأحاسيس ليؤكد موهبته الشعرية العالية على خوض غمار المناطق التي لا تترقرق فيها المشاعر فهي قصيدة "الأوائل" التي يغني فيها:

يعلي الصروح من الشباب أوائل

ويصونها شم الأنوف بواسلُ

ويقيمها في الناس منهج حكمة

من همهم قيم سمت وفضائل

ليسود في الناس السلام وتمحي

لجج الظلام.ويستقيم المائل

ويطل فجر بالهداية باسم

ويغيب ليل بالغواية حافل

ويعز عدل في الدنا وشريعة

ويصان ميزان، ويزهق باطل

ويقوم في الناس التآلف والهدى

ويطيب عاجل أمرهم والآجل

من كل محمود الصفات مثقف

كرمت لديه معارف وشمائل

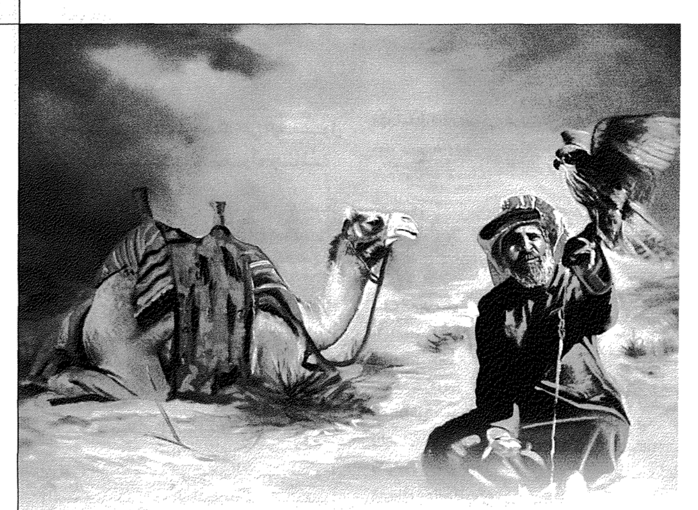
أمـضى على رصـد العلوم نهـاره
ومـضى به في الليل شـغل شـاغل
وسـمـا فكان على الأوائل أولاً
والأولـون من الرجـال قـلائـل
عـدوا ومـا عـاب الدراري أنهـا
عـدت، فـأتبعـهـا خـيـال ذاهـل
وتسنموا القمم البعيدة بعدما
سهروا.. وصال لذي العزيمة صائل
فـهـم لنا عطر الحـيـاة ونورها
وهم النمـوذج للبناء الكامـل
وهم التنافس في استـبـاق للعلا
وهم العـلا إن كـان ثم تفـاضـل
وهم لنا الفـرح الكبـيـر تزفـه
أشـواقنا وتحـفـه وتسـائـل
ونظل ندنو منـه..نلثم صـبـحـه
ونفـاخـر الدنيـا به ونسـاجـل
ونقيم حـفـلاً حين يكتمل الضحى
ويزول من كـبـد الظهـيـرة زائـل
حـفـلاً حـفـيـاً بالمعـارف والنهى
بالأكـرمين تبـاشـروا وتفـاءلـوا
وزهت بفـرحـتنا السـراة وغـردت
وترنمت نجـد وغنى السـاحـل
والموج يبـعـث بالأثيـر رذاذه
وشـذى الخـزامى بالعـبـير يبـادل
ولكم يصـوغ المجـد كل قـصـيـدة
وبكم نسـالم للعـلا ونقـاتـل
وإليـكـم مـدت يـديهـا درة
في الجـامـعـات تقـول إني آمـل
صـور من المجـد البـهي تليـده
وطريفـه.. قـامت عليـه دلائـل

الشاعر المطبوع لا يستعصى عليه الولوج في المناطق العلمية الوعرة..

لمعت على غـرر الزمـان شـمـوسـهـا
وصفت جـداول عندها وخـمـائل
وتألقت في فـتـنـة مـسـكـوبة
تجلوا العـيـون زواهر وأوافـل

إلى أن يقـول الشـاعـر في قـصـيـدة الأوائل الرائعـة؛
وتلمسوا الخلق الجميل يكن لكم
حصناً إذا اخترم الصفوف نوازل
مـا كل من جـمـع المسـائل عـالم
أو كل من خـبـر المسـالك عـامل
أو كل من بسط الموائد حـاتم
أو كل من جـمـع الدروع مـقـاتل
لا يـرتـقـي درب المكارم تـافـه
أو يبلغ العليـاء يومـاً جـاهـل
لكنه عـزم يبين ونيـة
تعلى وحـال يسـتـبين وصـاقـل
ومـعـارف تصـفـو لصـاحب همـة
لتنير آفـاق الحـيـاة مـشـاعـل
إن كـان في الدنيـا نعـيم يـرتجى
فنعـيـمـهـا الغـرر الكرام أوائـل

وواضح في هذه القصيدة قدرة الشاعر على الدخول في دهاليز القضية التي يعبر عنها شعراً، ورسم صوراً شعرية أخاذة لكل فكرة وكل محطة من محطات الأوائل.
والشاعر الدكتور الغامدي لا ينتمي إلى مدرسة واحدة في الشعر، وإنما هو شاعر في كل مدارس الشعر وقادر على أن يقف في كل محطات القريض،



فهو رومانسي حينما يعيش الرومانسية، وهو واقعي حينما تشده الواقعية، وهو رمزي حينما تطلبه الرمزية ..

وفي قصيدة "إغسلي الطين" يحلق في الرومانسية حتى يبلغ سنام نزار القباني ويشدو:

أطلق الأشواق واستدن الفكرُ
وابعث الأنفاس في ذكرى سمر
وانثر الأحلام في أسرارها
يزدهي النجم ويختال القمر
هذه أمسية "طاف بها
طيف نجوى وخيال وصور
ورؤى أسكرها من خمره
عبق الورد فراحت تنتشر
ذوبت في عطرها أشواقنا
سهراً يمضي بنا نحو سهر
وحديثاً كان صمتاً نحتسي
منه صفو الروح أو نعمى النظر
وحنيناً كان في أعماقنا
همس وصل أو هتافات سفر
ونداء عارماً يوقظنا
ذات يوم في مسافات العمر
أيقظيني الآن إني غارق
في طموح ليس يخبو مستتر
واملئيني منك شوقاً ربما
أرتقي منه لآفاق أخر
واغسلي الطين الذي يثقلني
عن سماء الروح أو يعمى البصر
وامنحيني نشوة تسكنني
في حداء الريح أو لحن المطر

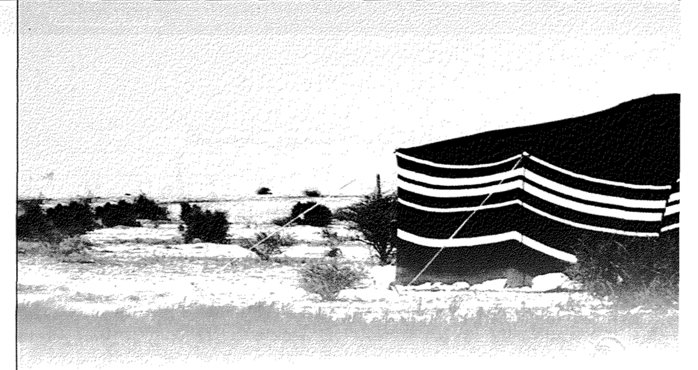
ثم يختصر شاعرنا الغامدي كل مشاعره الرومانسية في قصيدة السكن التي يقول فيها:

د. الغامدي.. أبدع حتى في الحقول التي يعتبرها الشعراء جافة..

لا يسكن القلب إلا عند فاتنة
تمزق الشوق عند الوصل تمزيقا
تذيب إحساسها في كأس فتنتها
وتسكر الصب من ثغر الحلا ريقا
تريك ما تفعل الأنثى إذا اشتعلت
فيها الأنوثة تجميعا وتفريقا
خذ الصفاء.. حلالاً في مـتارفه
ودع حراماً يذيب النفس تحريقا

إن نبرة الهوية عالية في شعر الغامدي فنجدها واضحة في قصائده الوطنية المعجونة بالعقيدة الإسلامية والعروبة، ولنقرأ قصيدة "قاتلوهم" التي يطلقها في عصر ما يسمى بعصر الإرهاب الذي تم توصيفه بالمقاس على المقاومة الوطنية الباسلة في كل بلاد العروبة والإسلام يقول الشاعر:

قاتلوهم
واقتلوا الباطل فيهم
واقتلوهم
واصبروا إن طال للنصر صباح
هو آت عن قريب
فاقهروهم
طاردوهم
واطردوا الدجال فيهم
واطردوهم
واعلموا أنهم أجبن خلق الله
فاستشروا عليهم..
وخذوهم
إنهم أسطورة الإرهاب في الأرض
فصولوا..وارهبوهم
إنهم جرثومة الإفساد
في الدنيا
ومعيار الخطايا
فانفروا واستأصلوهم
غرهم طاغوتهم
منحوهم من يمين وشمال
وتداعوا حولهم كي يرفعوهم
فعلوا زوراً..وبهتاناً
وكم قد حرقوهم
واعتلوا فوق حمير البغي
والبطش
وكم قد ركبوهم
ثم ساقوهم إلى كل بلاء
سافر
واستعبدوهم
والطواغيت هي الأدنى
وأمر الله أعلى
فاسألوه العون
واستعلوا
وسيروا واحصدوهم
واسجدوا لله في كل صباح ومساء
والعنوهم
إنما المجرم من مال إليهم فارجموه
وارجموهم
لستم أول شعب
سامه مستعمر خسفا وجورا
فاصمدوا كي تخرجوهم
أنسيتم في ذرا الأوراس
مليون شهيد



ألهبوا ظهر الفرنسيين حتى هزموهم

إنهم شذاذ آفاق

وأنتم أهل أرض وقداسات وطهر

فاحرسوها

وامنعوهم

جبنوا أن يدخلوها

حين ناداهم كليم الله..لكن

قذفوا في التيه دهراً..

فاقذفوهم في سراب التيه عنها

وادفعوهم

واجعلوا التكبير

إيذاناً بنصر الله..

وامضوا في سبيل الله

فرساناً..

وقوموا..

كبروا الله..

وسموا..

واذبحوهم..

وفي النهاية يريد الشاعر أن يغسل كل شيء حتى تلك الأفكار السائدة في الشارع العربي التي تقول بأن الشعر الفصيح قد ولى زمانه وأنه لم يعد هو ديوان العرب، وهو رمز ألسنتهم ووحدتهم، ففي قصيدة "إغسلي الطين"، - السابقة الذكر -يريد أن يغسل الأفكار الواهمة من عقول الناس.

وهذا الشعر الذي ينظمه شاعرنا الغامدي من صميم ديوان العرب الذي يوحد ويجمع الأمة إلى كلمة سواء ولن يحل محله شعر شعبي أو نبطي يعبر عن إقليمية محدودة تفرق ولا تجمع، تبعثر ولا تسود، تعزل ولا توحد ..

ومع كل إعجابي بشعر الدكتور الغامدي إلا إنني في هذه الدراسة لم أنصفه، لأن دراسة شعره تحتاج إلى سلسلة مقالات تغوص في حدائقه وبساتينه الوارفة بالجمال لننتقي منها شعراً أخاذاً رائعاً، ولذلك فإنني أرجو أن يكون هذا المقال هو دعوة إلى إعادة قراءة الشعر السعودي الفصيح قبل أن نصدر أحكاماً جزافاً نظلم بها هذا الشعر الأصيل ونظلم شعراءه المبدعين وهكذا فإن شعر الدكتور سعد الغامدي هو الذي يأخذنا إلى الحكم الصحيح عن الشعر العربي السعودي الفصيح الصحيح.

الغرب يخترع ويصنع والعرب تختلف في المصطلح

المصطلح النقدي العربي.. الواقع، والحلول، والآفاق

فريد أمعضشو - كلية الآداب وجدة - المغرب

بالرغم من التطور الذي شهده مصطلحنا النقدي كما وكيفا، إلا أنه ما زال يعاني في اللحظة الحضارية الآنية جملة من الإشكالات، وتعترض سبيله مجموعة من المعيقات تحول دون بلوغه المستوى المنشود. وقد كان للثورات اللسانية والنقدية والمنهاجية الحديثة أثر بالغ في هذا الصدد، إذ يقول الباحث العراقي فاضل ثامر: "أثارت الثورة اللسانية والنقدية التي شهدها هذا القرن (١) والتي مثلت الستينيات أبرز منعطفاتها وبؤرها المتفجرة مشكلات كبيرة في مجال وضع المصطلح اللساني والنقدي وترجمته وتعريبه أمام الباحثين واللسانيين والمترجمين والنقاد العرب"(٢).



إن الإشكال الذي يتخبط فيه المصطلح العربي متعدد الأوجه، متنوع المظاهر. وسنقف في هذه الدراسة- أساسا- عند قضايا التوليد والتحديد والتوحيد، بوصفها أبرز إشكالات الواقع المصطلحي العربي الراهن.

يقول عصام نور الدين: "تعاني اللغة العربية، اليوم، إشكالية وضع المصطلحات العلمية اللغوية، وتعريبها، وترجمتها، وتحديد معانيها، ورسم مجالاتها وحدودها، وتعيين حقل كل منها... في نسق منهجي واضح، يعتمد التقابل بينها، وينفي التماثل، ويميزها من بعضها ومن مصطلحات العلوم الأخرى..."(٣). ويبدو أن هذه الإشكالية أبرز إشكاليات هذه اللغة على الإطلاق، وتظهر خطورتها - بصورة أجلى - في كونها تسهم في إيجاد حالة من الفوضى المصطلحية.

إن الأصل في تسمية المفهومات وصياغة المصطلحات أن يُجْعَلَ أمام كل مفهوم أو شيء مصطلح أو رمز لغوي واحد يكون محل تواطؤ أهل الاختصاص. وإذا كان للمفهوم الواحد عدة أسماء أو كان الاسم الواحد دالا على عدة معان، فإن "التواصل الفكري يضطرب، بل يختلط الحابل بالنابل، وينعدم التفاهم بين الناس!" (٤).

ولكننا إذا ألقينا نظرة- ولو عجلى- على واقع المصطلح العربي، فإنا واجدوه يمتاز بسمة بارزة هي "التعددية"، أي تعدد المصطلحات العربية الموضوعة للمفهوم الواحد (الأجنبي خاصة). والأمثلة على هذه التعددية كثيرة جداً، سنكتفي بذكر بعضها.

لقد اقترح المعجميون والمصطلحيون العرب للفظة الفرنسية "Frein" عدة مقابلات عربية. إذ سبق أن ترجمها مجمع اللغة العربية القاهري بمصطلح "كماحة"، واقترح لها معجم عسكري عربي "الموقف" مقابلاً، وترجمها معجم عسكري آخر بـ"المكبح" و"الماسك"، ووضع لها المعجم العربي التجاري اسم "اللجام"، وجعل لها أحد الكتب الصناعية العربية مقابلاً اصطلاح "الميقف"، وترجمت اللفظة ذاتها ضمن مجموعة المصطلحات التي أقرها مجمع القاهرة بمفردة "المعوقة"، وهناك من يترجمها بـ"الحصار"، وهي على ألسنة الكثيرين "الفران".

ويستخدم النقد العربي للدلالة على مفهوم "Romanticisme" عدة مصطلحات؛ من مثل: الرومانسية، والرومانتيكية، والرومنطيقية، والرومانتية، والابتداعية... ومن الواضح أن أشيع هذه المصطلحات في نقدنا الحديث هو المصطلح الأول، الذي يرى د. إحسان عباس أنه خطأ، ويقدم حجته على ذلك في قوله: "لقد حار الدارسون في ترجمة أو تعريب "Romantic"، فبعضهم قال "رومنتي"، وبعضهم قال "رومنتكي"، وفريق ثالث قال "رومنطيقي"، ثم ترك كل ذلك وشاع استعمال "رومانسي". ومع التقارب في أصل الكلمتين، فإن البون بينهما واسع: "Romantic"، نسبة إلى "Romanticism"، وهي حركة أدبية بدأت في أوربا عند نهاية القرن الثامن عشر تتميز بالتعبير عن المواجد الذاتية... بينما "Romance" تعني سرداً قصصيا طويلاً شعرا كان أو نثراً للتغني بالحب والبطولة لدى أبطال ذلك النوع من القصص، ومع ذلك لم يأبه الكتاب في الأدب والنقد لهذا الخطأ، ولم يحتج عليه القراء، ولو حدث مثل هذا في العلم لكان حوبا كبيراً"(٥).

ولمفهوم "Poetique" في المشهد النقدي العربي المعاصر عشر ترجمات على الأقل، وهي الشعرية، والإنشائية، والشاعرية، وعلم الأدب، والفن الإبداعي، وفن النظم، وفن الشعر، ونظرية الشعر،

اشكالية تعدد المصطلح الواحد، ترجع لتعدد مناهج البحث عندنا..

والبويطيقا، والبويتيك(٦). وذكر المسدي في قاموسه اللساني ثلاثة وعشرين مقابلا عربياً للمصطلح الأجنبي "Linguistique"(٧). ويضع النقد العربي مصطلحات عديدة لمفاهيم "Semiotique"(٨)، و"Structuralisme"(٩)، و"Phoneme"(١٠)، ولغيرها.

ولاشك في أن ثمة أسباباً كثيرة تقبع وراء تعدد المصطلح العربي، وقد حصرها الباحث محمد ممدوح في خمسة (١١)، وهي:

أ- تعدد الجهات التي تضع المصطلح في الوطن العربي، بحيث تتولى أمر التوليد المصطلحي عندنا مجامع اللغة العربية المنتشرة في عدد من العواصم العربية، والجامعات، والاتحادات العلمية، والمنظمات العربية، وكذا الأفراد من المعجميين والأكاديميين والصحافيين والمترجمين والباحثين. ويرى الباحث نفسه أن تعدد المصطلح ليس مقصوراً على تعدد هذه الجهات، بل إنه "قد يتعدد المصطلح الواحد حتى عند الجهة الواحدة الواضعة للمصطلح. فقد وضع مجمع عربي لمصطلح جغرافي أجنبي واحد مقابلين عربيين، ووضع معرب بارز لمصطلح طبي أجنبي واحد ثلاث مقابلات عربية" (١٢). ومن الطبيعي جداً أن تختلف هذه الجهات -مؤسسات وأفراداً- في فهم المصطلحات الوافدة عليها، وفي اقتراح المقابلات العربية لها.

ب- تعدد مناهج التعريب نتيجة تعدد جهات التعريب. وهكذا نلفي بعض المعربين يؤثر اللجوء إلى المصطلح التراثي لتسمية المفاهيم، وآخرين يفضلون اعتماد آلية الاشتقاق، وهناك من يعمد إلى النحت في وضع الاصطلاحات العربية الجديدة. وتتشدد بعض المناهج التعريبية إزاء المصطلحات الدخيلة والعامية، في حين نجد أخرى تتساهل في هذا الصدد... وكان طبيعياً، أمام هذا الوضع، أن يتعدد المصطلح العربي المسمي للمفهوم الواحد.

ج- تعدد مصادر المصطلح. فالدارس أو الناقد العربي ينقل المفاهيم والمصطلحات من لغات أجنبية كثيرة، أظهرها الفرنسية والإنجليزية. وكل من هاتين اللغتين يضع المصطلح انطلاقا من فهمه لمدلوله،

المصطلح الوارد من اللغة الأم الأجنبية يحدد طبيعة مقابله في العربية

وتبعاً لضوابط التسمية فيها. وعندما يعمد العرب إلى النقل عن اللغتين، فإنهم يتأثرون- بالضرورة- بمفهوم اللغة المصدر، وبمنهجها في التوليد المصطلحي. ولعل أوضح مثال على هذا الأمر تسمية الدارسين العرب لمفهوم الحاسوب، ذلك بأن "الذين ترجموا عن الفرنسية تأثروا بالجذر اللغوي الذي اشتق منه المصطلح الفرنسي لذلك الجهاز؛ وهو "ORDINATEUR" الذي يعني "الترتيب والتنظيم"، فسموه "نظامة" و"رتابة"... والذين نقلوا عن اللغة الإنجليزية تأثروا بالجذر اللغوي الذي اشتق منه ذلك المصطلح؛ وهو "COMPUTER" الذي يعني "الحساب"..."(١٣).

د- عدم الالتزام بمصطلحات السابقين، وذلك نتيجة غياب التنسيق بين واضعي المصطلح في العالم العربي، وعدم قيام الإعلام بواجبه في التبليغ ونشر المصطلحات المتفق عليها... ويقود هذا الأمر إلى تضييع الوقت، والخوض في أشياء سبق الخوض فيها. ومن الأمثلة التي يسوقها ممدوح في هذا السياق أن المجمع اللغوي المصري كان قد أقر ترجمة مصطلح طبي بعبارة "تضغاط شرياني"، وجاء بعده معجم طبي عربي، واقترح نقل هذا المصطلح إلى العربية تحت اسم "فرط توتر شرياني".

هـ- بطء الاستجابة للمصطلحات الجديدة، إذ نعلم جميعاً أنه تظهر في العالم سنوياً آلاف المصطلحات في شتى الحقول المعرفية، إلا أن استقدامها إلى الثقافة العربية يتم بوتيرة بطيئة جداً. وذلك ما يفوت عليها الإفادة منها في حينها، ويسهم في تخلفها عن اللحاق بالركب الحضاري الغربي المتسارع.

إن المشكلة التعددية هذه "لا تحض أبناء الثقافة العربية في ما يستوردونه من إنتاج القريحة الغربية، بل تشمل حتى أبناء هذه القريحة الذين ترتفع

أصوات بعضهم منادية بتوحيد المصطلح النقدي (مثل الجدل الذي أثاره مصطلحاً "Semiotique" و"Semiologie"). لكن حجم المشكل عندهم محدود مقارنة بحجمه عند من أخذ عنهم"(١٤).

ويبدو أن تخصيص المصطلح الواحد للمفهوم الواحد، وحصول الاتفاق العام عليه أمر مثالي غير محقق؛ كما يؤكد بيير غيرو (P. Guiraud) في كتابه "Les mots savants". وذلك راجع إلى تعدد بيئات الوضع المصطلحي في العالم، وإلى تباين فهوم الناس ومستوياتهم في الاجتهاد... وعليه، فإن السعي وراء تحقيق هذا المبدأ غير مجد.

ولتجاوز أزمة الوضع التي رأينا- آنفا- بعضا من تجلياتها، عقدت لقاءات متعددة، وندوات كبرى في أنحاء متفرقة من الوطن العربي. ولعل من أبرزها تلك التي نظمها "مكتب تنسيق التعريب" بالرباط أيام ١٨-١٩-٢٠ فبراير ١٩٨١؛ بناء على اقتراح من وزارة التربية الوطنية المغربية، واستجابة لدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وموضوع هذه الندوة- التي ستشكل، فيما بعد، مرجعا لا غنى عنه للمشتغلين بالشأن المصطلحي العربي- هو "توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي". وقد شاركت فيها عدة هيئات ومنظمات ومؤسسات ثقافية عربية، وخرجت بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات والمبادئ المتعلقة بكيفية اختيار المصطلح العلمي وتوليده(١٥).

ومما يعاب على المصطلح العربي أنه غير دقيق، وأنه غامض وقاصر، أحياناً كثيرة، عن تأدية معناه المطلوب. وهذه الإشكالية، حسبما يؤكد ممدوح خسارة، "ليست مقصورة على العربية فحسب، بل هي عامة بين جميع اللغات. ليس صحيحاً ما يدعيه بعضهم من أن الألفاظ الاصطلاحية العربية كثيراً ما تتسم بالميوعة وعدم الدقة، وأن مصطلحات الفرنجة قد اكتسبت ثباتاً ودقة وتحديداً ينتفي معه كل لبس أو خلط. فالواقع أن ما من لغة إلا وتعاني من لبس أو غموض أو نقص أو دقة في مصطلحاتها، وأن المصطلح الأعجمي نفسه كثيراً ما يقصر عن أداء ما يدخل فيه من المعاني"(١٦).

آلاف المصطلحات تطرحها الحقول المعرفية العالمية.. مما يعجز علماؤنا عن متابعتها..

واصطباغ مصطلحنا النقدي بعدم الدقة وعدم الوضوح من الأسباب المباشرة التي تسهم في تعميق إشكالية النقد الأدبي في الثقافة العربية.

إن المصطلح النقدي غير المحدد يثير، في أحايين كثيرة، الخلاف والجدال بين الباحثين والناقدين؛ ذلك بأن "غياب التحديد مدعاة للسقوط في العجز عن التبليغ. ويبقى تحديد المصطلح النقدي مهما كان مؤقتا أو عابرا؛ أي خاضعا للتجريب ضرورياً لكل قراءة تريد تجنب ما يمكن تجنبه من زلل في معالجة القضايا وفق وضوح نظري ومنهجي"(١٧).

لقد أثارت إشكاليتا الوضع وعدم التحديد المصطلحيين إشكالية أخرى على قدر هام من الخطورة؛ ويتعلق الأمر بـ"التوحيد المصطلحي". فكما هو باد للعيان، يعاني المصطلح النقدي العربي فوضى عارمة و"طوفانا" فيما يخص كم المصطلحات التي توضع عندنا لتسمية مفهوم بعينه. وقد مثلنا، سابقاً، لبعض المفاهيم التي حار الدارسون في إيجاد مقابلات عربية موحدة لها. وقد دعت هذه الوضعية جهات الوضع العربية إلى التفكير- بجدية- لتجاوزها، ولتنسيق المصطلحات على الصعيد القومي. وسعيا وراء تحقيق هذا المبتغى عمليا، بادر المسؤولون العرب إلى إنشاء مؤسسات لتولي أمر التنسيق، وأبرزها -بلا ريب- "مكتب تنسيق التعريب" الموجود مقره بالرباط، والمنبثق عن مؤتمر التعريب الأول (١٩٦١). ومن مهامه الأساسية التي ورد التنصيص عليها في نظامه الداخلي، الصادر بتاريخ: ٢٧ يناير ١٩٧٣م، "تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، ولتوحيد المصطلح

الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة"(١٨). ويتبع هذا المكتب في مسعاه التنسيقي منهجية "تأخذ الواقع العربي في الاعتبار، وتستفيد من تجارب المكاتب المماثلة في أقطار مختلفة من العالم" (١٩). وتقوم هذه المنهجية على الأسس الآتية(٢٠):

* جمع المقابلات العلمية العربية الموضوعة للمصطلح الأجنبي الواحد الوافد، والعمد إلى التنسيق بينها، ومقارنتها بالمصطلح التراثي.
* عقد ندوات مصغرة بين أهل الاختصاص، تروم مراجعة المصطلحات العربية المقترحة، ومقارنتها بمقابلاتها الأجنبية في ضوء مداليلها العلمية.
* استكمال النقص في المصطلحات العربية في ضوء ما يرد عليها من الغرب.
* الإعداد لمؤتمرات التعريب؛ بهدف النظر في المصطلحات المنسقة، وتوحيدها، وتعميم استخدامها على الصعيد العربي.

ويحتاج مكتب تنسيق التعريب وغيره من الهيئات المهتمة بالمصطلح توليدا وتحديدا وتوحيدا إلى وسائل وآليات مساعدة وضامنة لانتشار اجتهادها، واعتماده في مجالات الحياة؛ حتى لا يظل مجرد حبر على ورق، وحتى ينتقل من حيز النظر والوجود بالقوة حيز التطبيق والوجود بالفعل. ومن أهم هذه الوسائل سلطة الإلزام السياسي.

إن إشكالية التوحيد؛ أي تخصيص المصطلح الواحد للمفهوم الواحد في الحقل المعرفي الواحد، إشكالية قديمة حديثة، وقضية عامة تخيم بظلالها على أمم المعمورة كلها، بل "هي في البلدان المتقدمة أكثر وضوحاً وحدة"(٢١) والمناداة بضرورة التوحيد متأتية من إحساسنا بفوضى مصطلحاتنا، ولكن هذا التوحيد "ليس من الحلول السحرية التي تجعلنا ندخل رحاب العلم من أبوابه الواسعة"(٢٢). ويرى محمد النويري أن للتوحيد المصطلحي انعكاسات سلبية على البحث العلمي، إذ يقول في مقال له: "إن طرح مسألة توحيد المصطلح يصبح خطيرا، لأنه في بعض أبعاده حكم على البحث العلمي بالجمود. والعلم إنما يجد تربته الخصبة في الاختلاف الخلاق، أما الثابت الذي لا يأتيه الباطل فهو خارج عن طريق الإنسان"(٢٣).

ورغم كل الإشكاليات التي يعانيها المصطلح النقدي العربي اليوم، فإن للبحث المصطلحي عندنا آفاقا رحيبة، ويمكن بتضافر جهود الباحثين العرب أن يتجاوزوا كثيراً من تلك الإشكاليات، ويتخطوا عديداً من العقبات الكأداء... وتظل اللغة العربية قادرة- على الدوام- على مسايرة ما يستجد في الساحة العلمية العالمية من مخترعات ومفاهيم وألفاظ من الناحية المصطلحية، وما يبدو من قصور في هذا الصدد فإنما هو راجع، في المحل الأول، إلى أهل هذه اللغة وأصحابها، وليس من صميم اللغة العربية ذاتها. يقول أحدهم: "إن دوحة العربية، التي وسعت كتاب الله، ما هي بعاجزة، كما قال حافظ إبراهيم، عن أن تعي أسماء لآلات ومخترعات لولا أن أهلها يكبلونها بقيود كثيرة، ويرمونها بما هو ذنبهم"(٢٤)... إن اللغة العربية تحتاج منا جميعاً إلى أن "تبذل جهدا أكبر في خدمتها وترقيتها نحوياً، وإملائياً، ومطبعيا، ومصطلحاتيا"(٢٥).

وبترقية اللغة العربية تحصل -لزاما- ترقية مصطلحها النقدي وغير النقدي. فهذا المصطلح يمكن أن يتبلور أحسن، وأن يغنى وينضج أكثر. وليس هذا الأمر بعزيز على أبناء هذه اللغة وباحثيها الشباب ورجالاتها المجدين. وكل ما يلزم ها هنا هو الصبر، والبحث، وتنسيق المجهودات قطريا وعربيا، والسعي إلى تحقيق هدف عام واحد يسمو على كل الأهداف الثانوية؛ ونقصد خدمة المصطلح النقدي والعربية عموما. وحتى لا تحرم هذه اللغة وهذا المصطلح من الإفادة من ثمرات التكنولوجيا الحديثة، يدعو أحد أقطاب المصطلحية العربية المعاصرة إلى استثمار خدمات الحاسب الإلكتروني في شتى جوانب درسنا المصطلحي، وذلك لما له من أهمية كبيرة وأكيدة في هذا الشأن، بحيث يقول: "وأنا إذ أدعو المعنيين في الأمة العربية إلى استخدام الحاسب الإلكتروني في خزن المصطلحات

العلمية والتقنية، وترجمتها، وتنسيقها، وتوحيدها، إنما أفعل ذلك إدراكاً مني لأهمية توفير المصطلح العلمي والتقني في لغتنا العربية بوصفه من متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي نطمح إليها، وإدراكاً مني بأن ذلك سيتم بصورة أفضل باستعمال الحاسب الإلكتروني" (٢٦).

الهوامش

١- المقصود به القرن العشرون.
٢- "اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح" لفاضل ثامر، المركز الثقافي العربي (البيضاء)، ط١ (١٩٩٤)، ص:١٦٩.
٣- "نحو وضع معجم المصطلحات اللغوية الحديثة" لعصام نور الدين، مجلة "الفكر العربي"، ع ٩٥، س٢٠، شتاء ١٩٩٩م، ص:١٢٣.
٤- "دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب" لشحادة الخوري، تق.: عبدالحكيم اليافي، دون طبعة ودون تاريخ، ١٧٢/١.
٥- نقلا عن مقال "نظرة في مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه" لعبدالنبي اصطيف، مجلة "الوحدة"، ع ٩٧، س٨، أكتوبر ١٩٩٢م، ص:١٤٥، هامش رقم ١٠.
٦- "مفاهيم الشعرية" لحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط ١٩٩٤، ص: ١٨.
٧- "قاموس اللسانيات"، لعبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب (ليبيا- تونس)، ط١ (١٩٨٤)، ص: ٧٢.
٨- "المنهج السيميائي" لفريد أمعضشو، مجلة "ضفاف"، وجدة، ع ٦، فبراير ٢٠٠٤، ص:٦٨.
٩- "نظرة في مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه" لعبدالنبي اصطيف، ص: ١٤١.
١٠- "إشكالية التعددية في المصطلح العلمي العربي: الواقع والحلول" لمحمد ممدوح، مجلة "البيان"، الكويت، ع ٢٩٩، يونيو ١٩٩٥م، ص: ١٠.
١١- نفسه، ص ص: ١٢-١٣.
١٢- "إشكالية التعددية في المصطلح العلمي العربي: الواقع والحلول" لمحمد ممدوح، م. س، ص:٩.
١٣- نفسه، ص: ١٢.
١٤- "نقد الشعر: في البحث عن المصطلح" للطاهر الهمامي، مجلة "علامات"، مكناس، ع ٢١، ٢٠٠٤م، ص:٨٢.
١٥- يمكن الاطلاع على هذه المبادئ والاقتراحات في كتاب "المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها" لمحمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط١ (١٩٨٦م)، ص: ١٢٢-١٢٥.
١٦- "إشكالية الدقة في المصطلح العربي" لممدوح خسارة، مجلة "التعريب"، المركز العربي، ع ٧، ١٩٩٤م، ص: ٤٣.
١٧- "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية" لمحمد بنيس، دار العودة (بيروت)، ط١(١٩٧٩م)، ص: ٣٩.
١٨- "جهود مكتب تنسيق التعريب.." لأحمد شحلان، مجلة "اللسان العربي"، ع٤٤، دجنبر ١٩٩٧م، ص٧٣.
١٩- "مقدمة في علم المصطلح" لعلي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط٢ (١٩٨٧م)، ص:١٢١.
٢٠- نفسه، ص ص: ١٢١-١٢٢.
٢١- "المصطلح العلمي وقابلية اللغة العربية لتوليده" لسليمان حسيكي، مجلة "الفكر العربي"، بيروت، ع٩٥، س٢٠، شتاء ١٩٩٩م، ص:٨٠.
٢٢- "مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر" لعبدالمحسن بدر، مجلة "فصول"، القاهرة، ع٣، أبريل ١٩٨١م، ص:٢٤.
٢٣- "المصطلح اللساني- النقدي من واقع العلم وهواجس توحيد المصطلح" لمحمد النويري، علامات في النقد، ١٩٩٣م، ص: ٢٤٨.
٢٤- "الاصطلاح: مصادره ومشاكله وطرق توليده" ليحيى عبدالرؤوف جبر، اللسان العربي، ع ٣٦، ١٩٩٢م، ص: ١٤٩.
٢٥- "اللغة العربية من خلال نظرة عصرية" لعبد الملك مرتاض، مجلة "نزوى"، سلطنة عمان، ع٩، يناير ١٩٩٧م، ص:٢٢٥.
٢٦- "مقدمة في علم المصطلح" لعلي القاسمي، م.س، ص: ١٧٣.

لا يعرف الشعر إلا من يعالجه:

(أمير الشعراء) .. في تلفزيون أبو ظبي

أبارِكُ في البداية ما قام به تلفزيون أبو ظبي لخدمة الشعر العربي، وشَدَّ أنظار الجماهير إليه مدة طويلة، بتقديمه برنامج "أمير الشعراء".

ورغم كل ما قيل ويقال فيه منذ خطواته الأولى إلى ما بعد إسدال الستار على حلقته الأخيرة التي وزعت فيها الجوائز على الفائزين، فإن العملية جملة وتفصيلاً مما يذكر فيشكر.

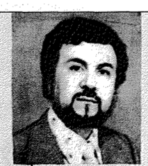
سعدت بفكرة هذه الجائزة، وأتمنى استمراريتها بخطة أكثر إحكاماً..

وفي البداية أود أن أذكر أني شاهدت قبل انطلاق هذا البرنامج، منذ بضعة أشهر، على شاشة تلفزيون "أبو ظبي"، بعض حلقات من مسابقة

أحمد شوقي

أجرتها نفس القناة بين شعراء الملحون (وهذه التسمية التي أطلقها المؤرخ التونسي الكبير عبدالرحمن بن خلدون في "مقدمته" على الشعر الذي يُكتب باللهجة العامية في زمانه، وما زالت مستعملة في تونس إلى الآن تطلق على الشعر الشعبي، وأما في الأقطار العربية الأخرى فإنهم يطلقون عليه أسماء أخرى أشهرها في الخليج العربي "الشعر النبطي".

وأثناء مشاهدتي لبعض تلك الحلقات تمنيت أن يفكر المسؤولون عن إدارة تلك القناة في إجراء مسابقة على نمطها في الشعر الفصيح، لأن الشعر الشعبي يبقى محدود الانتشار لا يفهمه ولا يتذوقه كما ينبغي إلا من قيل بلهجة بلاده، وربما تعذر على أهل الجنوب أن يفهموا شعر أبناء أهل الشمال من نفس القطر الواحد، ومن باب أولى وأحرى أن يستعصى فهم شعر أهل الخليج على أهل المغرب العربي الكبير والعكس بالعكس، وقد ظلت هذه الأمنية تراودني حتى سمعت، منذ بضعة أشهر، بأن تلفزيون أبو ظبي قد أعلن عن مسابقة في الشعر العربي الفصيح على غرار مسابقته السابقة في الشعر النبطي التي نالت إقبال المشاركين والمشاهدين على النطاق المحلي وربما الخارجي، وقد تأكدت من أن مسابقتها في الشعر الفصيح ستلاقي إقبالاً على الصعيد العربي الكبير من الخليج إلى المحيط، وقد سعيت شخصيا لتحريض من أعرف أنهم يستطيعون أن يثبتوا في هذا الميدان ممن تتوفر فيهم الشروط من الشعراء الشباب التونسيين لأنه قد وقع قصر المشاركة في هذا البرنامج على الشعراء الذين لم تتجاوز



أ.د. نورالدين صمود

تونس

أعمارهم الخامسة والأربعين، وهذا الاختيار قد يلاقي معارضة ممن تجاوزوا هذه السن وهو أمر لا نناقش فيه المشرفين على هذه القناة لأنه معقول. وإزاء الإقبال الذي وقع على البرنامج في دورته



بشارة الخوري

هذه بعض السلبيات نذكرها ليقع تلافيها في المستقبل..

ملاحظات وتعليقات لجنة التحكيم كانت عمومية هامشية فضفاضة صالحة لكثير من النصوص..

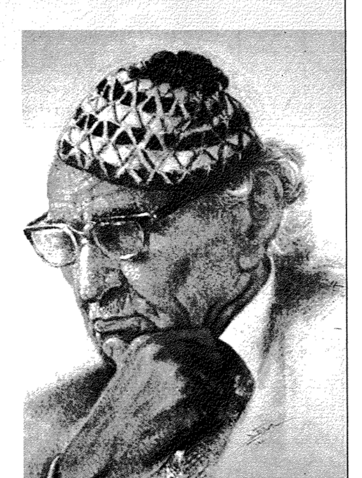
كبار العلماء والمحققين، ذلك البلد الذي ظل يحافظ على أصول الشعر العربي أكثر مما حافظ عليها المشارقة الذين حاولوا تجاوز أساليب الشعر العربي بحجة الحداثة والتطوير والتجديد وتقليد الغرب في الخروج على عمود الشعر وأصوله بمعايير غربية غريبة عن لغتنا لا تتماشى مع عبقرية شعرنا، إذ لكل لغة ملابساتها وخصائصها.

لمحة تاريخية عن إمارة الشعر

عندما سمعت في البداية بالفكرة ناقشت الاسم الذي أطلق على المسابقة، ثم قبلته إذ لا مشاحة في الأسماء، وليس من الضروري أن ينطبق الاسم كل الانطباق على حامله فكم من شخص سماه أبواه، باسم أثبتت الأيام أنه لا ينطبق عليه، لذلك قبلت اسمه رغم النقد الذي ناقشه كثيراً من المتتبعين له.

وأود أن أقول، لمن لا يعرف، أن لقب "أمير الشعراء" كان قد أطلق على أحمد شوقي في مصر وبايعته عليه وفود من البلاد العربية في مهرجان عظيم عقد في دار الأوبرا الملكية لتكريمه سنة ١٩٢٧م ، وقد حمل شوقي هذا اللقب إلى أن توفي فجأة في ١٩٣٢/١٠/١٣م وظل أميرا للشعراء باستمرار كلما وقع الحديث عنه أكثر من لقب البكويه الذي أسند إليه رسميا، وكأن هذا اللقب جزء من اسمه.

وقد وقع تقليد مصر في إسناد هذا اللقب "أمير الشعراء" حيث أطلق الشعراء التونسيّون لقب "أمير



محمد مهدي الجواهري

الأولى تأكد الجميع أن اللغة العربية هي التي تربط العالم العربي ويستقطب شعرها أسماع المهتمين بفن العربية الأول الذي يحبه العرب كافة، بدليل أنني لم أر في الحلقات التي شاهدتها من المسابقة الأولى شاعرا من المغرب العربي الكبير أو من مصر أو الشام الكبير، بينما رأينا، في المسابقة التي أجريت بين شعراء الفصحى، شعراء من جميع الأقطار العربية، وقد يكون من باب المصادفة العجيبة أن نال المرتبة الأولى شاعر من الخليج ونال المرتبة الثانية شاعر من أقصى المغرب العربي الكبير من بلاد المليون شاعر: موريتانيا أو بلاد شنقيط التي أنجبت

الشعراء" على (محمد الشاذلي خزنه دار) الذي ولد في السنة التي استعمرت فيها تونس ١٨٨١م وتوفي قبل استقلالها بسنة واحدة، في ١٩٥٤/١/١٤م وتمت هذه المبايعة في تونس في نفس الحقبة التي بويع فيها شوقي تقريبا، وقد أرسل إليه شاعر القيروان الكبير صالح السويسي قصيدة بايعه فيها بالإمارة وقال له فيها ذلك الشطر الذي سار مسرى الأمثال، فقد رأى أن إمارته حقيقية وأن هذا الأخير جدير بتشكيل الوزارة لهذه الإمارة، حيث قال: "وإني بتشكيل الوزارة أجدر" كما جاء في كتاب زين العابدين السنوسي "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر الهجري" ج١ ص ١٤٩ الصادر سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٧م، في ترجمة محمد الفائز القيرواني.

أما هذا الشاعر الأخير فقد سبق الأحداث وتنبأ لخزنه دار بهذه الإمارة قبل وقوعها بوقت طويل، عندما أنشد أمامه قصيدة قال عنها صاحب الكتاب: (بايع بها أمير الشعراء محمد الشاذلي خزنه دار في حفلة تكريمه التي أقامها له الأدباء يوم ١٦ من ذي القعدة ١٣٤٤هـ على ربوة قرطاجة بمناسبة ظهور الجزء الثاني من ديوانه) كما ورد في كتاب السنوسي السابق ج١ ص١٥٨ ، وذلك التاريخ الهجري يوافق ١٨ مايو ١٩٢٥م أي قبل مبايعة شوقي بإمارة الشعر في مصر بسنتين، والملاحظ أن الجزء الأول من ديوان خزنه دار كان قد ظهر قبل الأول بعامين سنة ١٣٤٢هـ.

■ ■ ■

تمنيت أن لو قامت لجنة التحكيم بتحليل بعض القصائد والحديث عن عروضها ومبناها..

وقد قال محمد الفائز القيرواني في تلك المبايعة من هذه القصيدة:

أمير القوافي وحارسها

وبلبل تونس شيخ البيان

تقبل هناء يقدمُه

لدست الأمير فتى القيروان

فهذا اللواء بكفك أضحى

يُظل الرعية في كل آن

وأنت على التخت تحدو القوافي

فتأتيك طوعا بدون امتنان

فأنت الهزار بخضرائنا

تفاخر مصر بيوم الرهان..

وظل هذا اللقب يطلق على خزنه دار إلى الآن في تونس كأنه جزء من اسمه، وقد سبق أن كتبتُ مقالا بينت فيه عدة وجوه شبه بين هذا الشاعر وشوقي ليس هنا مجال تفصيل القول فيها.

ثم بقي منصب إمارة الشعراء شاغرا في العالم العربي إلى أواسط سنة ١٩٦١ حيث أقيم في لبنان حفل تكريمي بايع فيه الشعراء العرب بشارة الخوري الملقب بالأخطل الصغير أميرا للشعراء العرب، وشارك في هذه المبايعة عدة شعراء في مقدمتهم أمين نخلة من لبنان الذي ما زلت أحفظ من قصيدته مطلعها البديع:

أيقولون أخطلٌ وصغيرُ؟

أنت في عالم القوافي أمير

ومنها قوله البديع الذي برّأ فيه الأخطل الصغير من الخطل، وهو الخطأ في الرأي أو ضعف العقل، ونفى عنه الصغر، ونفى عن نفسه أن يكون قد صدر منه ما صدر من جرير في هجاء الأخطل "غياث بن غوث" الذي عاش في العهد الأموي:

المتسابقون تفاوتوا في قصائدهم إجادة وضعفا، وتمنيت لو تحدثت لجنة التحكيم عن شيء من هذا..

يبايع بهذه الإمارة فإنهم لم يترددوا في مبايعته شعرا والتنويه بقيمته الشعرية التي رشحته لإمارة الشعراء.

وقد حُمل بشارة الخوري المتوج بإمارة الشعر نحو منصة الإلقاء حملا، ووقع اقتياده نحوها اقتيادا لأنه لم يعد قادراً على المشي وأمسى فاقدا للبصر تقريبا، لكنه كان قادراً على التحليق في سماء الشعر نافذ البصيرة في قول الشعر، فألقى كلمة جمع فيها بين الشعر والنثر حيًّا فيها وفود المبايعين وختمها بقصيدة قصيرة مركزة مازلت أحفظ مطلعها، وهذه هي:

أيوم أصبحتُ لا شمسي ولا قمري؟
من ذا يغني على عود بلا وتر؟

ما للقوافي إذا جاذبتُها نفرتْ
رعت شبابي وخانتني على كبري؟

كأنها ما ارتوت من مدمعي ودمي
ولا غذَتْها ليالي الوجد والسهر

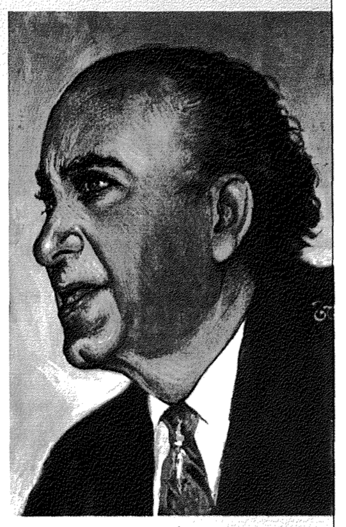
❖ ❖ ❖

أين القصائد تندى من جوانحها
ريحانة السفح أو أغنية النهر؟

شِعْر كما شاءه الإبداعُ مبتكَر
تدفقت فيه أمواج من الصور

غنّى العروبة ألحانا مجنحة
من دمعة الليل أو من بسمة السحر

مِنْ سحر لبنانَ مِنْ شلال قمته
وما تسلسل من آياته الكُبَر



عمر أبو ريشة

حسبُ حظي في المجد أني أخو الأخـ
ـطل، فانظر هل جاء مني جرير؟

وممن بايعه على هذه الإمارة عدة شعراء من سوريا عمر أبو ريشة، ومن العراق محمد مهدي الجواهري ومن مصر صالح جودت، ومن لبنان جبران خوري وجورج تقلا سركيس وجورج غريب وغيرهم من كبار شعراء العالم العربي، ورغم أن معظمهم يستحق أن

❖❖❖

من لي بأضوع ما في الروض أنثُره

على المفارق من إخواني الغُرر؟

صُغتُ القريض... وما لي في القريض يدٌ

يد الطبيعة فيه... أو يد القدر

إن المواهبَ لا فضل لصاحبها

كالصوت للطير أو كالنَّشْر للزهر

وقد قفز إلى ذاكرتي، يوم تتويج بشارة الخوري، قولُ الشاعر القديم في تلك التي كان يحبها في شبابه ولم تجُد عليه بالوصل إلا عندما بلغ من العمر عتيا، أو بعد معركة حربية دامية واجه فيها ريب المنون:

أتتْ وحياضُ الموت بيني وبينها

وجادت بوصل حين لا ينفع الوصلُ

وقد تمثل بهذا البيت محمود بيرم التونسي عندما نال جائزة الدولة الثقافية الكبرى في أخريات حياته.

والملاحظ أن إمارة الشعر، في جميع هذه الحالات، جاءت تسعى إلى أصحابها سعيا ولم يسعوا إليها لأنهم كانوا جديرين بها ولم يزاحمهم فيها غيرهم ممن لا يقل شاعرية عنهم، بل باركوا تتويجهم بقصائد رائعة.

هذه لمحة موجزة عمن بويعوا بإمارة الشعر في العصر الحديث، مهدت بها للحديث عن المسابقة التي أجراها تلفزيون "أبو ظبي" وهي لا تقلل من قيمة الشعراء الذين شاركوا في برنامج "أمير الشعراء بتلفزيون أبو ظبي" من الفائزين وغير الفائزين، ولا تنقص من قيمة هذه المسابقة التي استمرت على امتداد تسع حلقات، لم أشاهد منها للأسف إلا الحلقة الأخيرة، وقد استقطب هذا البرنامج اهتمام المشاهدين في جميع الأقطار.

رأيي في البرنامج

لقد طلب مني أكثر من واحد أن أبدي رأيي في هذا البرنامج قبل أن أشاهد الحلقة الأخيرة منه وبعدها، فقلت لمن سألني بعد انتهائه: "رغم كل ما قيل وما يمكن أن يقال عنه، منذ انطلاق فكرته إلى أن وقع تنفيذه وأعلنت نتائجه، فإن إيجابياته أكثر من سلبياته لأن "رضا الناس غاية لا تدرك" في معظم الأشياء، ورغم ما قيل في تسميته باسم "أمير الشعراء" الذي يمكن أن ينتقد من عدة جهات منها: ما هو مصير اللقب بالنسبة إلى الفائز في الدورة السابقة إذا فاز به شخص آخر في الدورة اللاحقة، فهل نسمي الفائز في كل سنة باسم تلك السنة فنقول: (أمير الشعراء سنة ٢٠٠٧) وهكذا. متمثلين بتلك القولة القديمة التي رأيتها منقوشة على مدخل قصر إمارة الكويت وهي: (لو دامت لغيرك لما وصلت إليك) وكذلك يمكن أن يقع تأنيث اللقب إذا فازت به امرأة، وبالمناسبة فإني لا أعتقد أن عدم فوز المرأة بهذا اللقب سابقا أو لاحقا قد تأثر أو سيتأثر بالحديث أو القول المأثور: (لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة) أما عدم فوز أصغر المشاركين - فيما أظن- باللقب رغم استقطابه لاهتمام المشاهدين فلا أعتقد أن صغر السن هو الذي حال دون ذلك، لأني مؤمن وأعتقد أن لجنة التحكيم تؤمن وتعي بأن النبوغ في الشعر لا يحتاج إلى تقدم في السن، فنحن جميعا نعرف، أن كثيراً من الشعراء، في كافة العصور وفي كافة اللغات، قد نبغوا في

الشعر ومات بعضهم في سن الشباب، وأشهر دليل على ذلك الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد الذي قال عنه بديع الزمان الهمذاني في المقامة "القريضية": "هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تُفتح أسرار خزائنه"، ومن المحدثين أبو القاسم الشابي الذي بقي ذكره راسخاً في أذهان المشارقة والمغاربة وغطى اسمه في المشرق العربي على أسماء الشعراء التونسيين الذين جاؤوا بعده حتى وقع تشبيهه بالشجرة التي غطت الغابة، فقد ذاعت شهرته في الآفاق وخلّف آثارا أدبية رائعة شعرا ونثرا ومات في الخامسة والعشرين من عمره، وهكذا نرى أن صِغَر السن لا يعتبر في ميدان الشعر، وأنا أعتقد أن الشاعر إذا لم يقل شعرا جيدا قبل العشرين من عمره فلن يقول شعراً جيداً بعد ذلك، لأن الشعر موهبة مثل الرسم والغناء وبقية الفنون لا تكتسب بطول العمر، إذا لم تكن موجودة في أصل التكوين، وهكذا فإن ما قام به تلفزيون أبو ظبي في تحديد عمر المشاركين، معقول ومشروع وهام ومناسب لإبراز مواهب الموهوبين من الشعراء، وتقديم المبرزين الذين يستحقون الإبراز والتنويه، الجديرين بالتتويج في حفل بهيج.

عود على بدء

بعد تقديم لمحة عن تاريخ إمارة الشعر ومن أسندت إليهم في القرن العشرين وذكر إيجابيات الدورة الأولى التي قام بها تلفزيون أبو ظبي في برنامج أمير الشعراء أود أن أبدي بعض الملاحظات حول الحلقة الأخيرة منه وهي الوحيدة التي شاهدتها من هذا البرنامج.

لقد كان كل شيء على أحسن ما يرام، فهذه الإمكانات الضخمة وهذا البرنامج الثقافي الهام جدا الذي شد أنظار المشاهدين في العالم العربي وغير العربي ممن يعرف العربية في معظم أنحاء العالم الغربي يضم لجنة من الدكاترة والأساتذة الجامعيين وأهل الذكر في النقد والتقويم أو التقييم وحسن الإلقاء ومواجهة الجمهور، لكن كل هذه الإيجابيات تقابلها سلبيات عديدة يحسن أن نذكرها ليقع تلافيها في المستقبل، فقد قال عمر بن عبدالعزيز: "نضر الله وجه امرئ أراني عيوبي".

فمن هذه العيوب نشير إلى أن أكثر ملاحظات وتعليقات لجنة التحكيم كانت عمومية هامشية فضفاضة صالحة لكثير من النصوص من مثل قول بعضهم لأحد المتبارين: "شعرك ينهمر مثل المطر" و"أنت تمشي على حبل مشدود" و"آخر مقامات العشق" و"أنتِ شاعرة جميلة وإضافة مهمة لحركة الشعر في السودان" و"أنتَ جميل يا محمد" و"الخرائب التي لا نريد أن نفسرها على الهواء" وأمثال هذه التعليقات ناتجة عن انطباعات شخصية لا تستند إلى قواعد علمية أو نظريات نقدية واضحة المعالم، إلى جانب أخطاء من مثل قول أحد أعضاء اللجنة للشاعر الموريتاني المرشح لنيل لقب أمير الشعراء: "استمر وستكون أحد الشعراء في موريتانيا" فهو أحد الشعراء البارزين في بلاده باعتراف اللجنة التي رشحته لنيل هذا اللقب، فكيف يطلب منه في هذه الملاحظة المرتجلة الاستمرار في كتابة الشعر ليكون مجرد أحد الشعراء في موريتانيا؟ إضافة إلى أخطاء أخرى مثل قول أحدهم للشاعرة السودانية التي بقيت من الخمسة المرشحين لنيل اللقب: "فهل أنت

لجنة التحكيم لم تصحح ما وقع فيه المتسابقون من أخطاء عروضية أو نحوية أو لغوية..

إلا كبيرات الشاعرات العربيات؟" وقول أحدهم لنفس الشاعرة: "من أجل أن تقدمين..." وقوله أيضاً: "فلتهنك هذه القصيدة العصماء!" و"مآزق حقيقية!" إلى جانب لجوء بعضهم إلى "السجع" المتكلف المكتوب الذي لا معنى لبعض كلماته، وكأني بصاحبه قد أعده قبل انطلاق البرنامج ليقوله عند الاقتضاء، وأراد أن يجاري به الشعراء في "قوافيهم" حتى يكون كلامه بليغاً جالبا لتصفيق الجماهير.

كما أود أن ألاحظ أن بعض المشاركين قد وقعوا في أخطاء لغوية أو نحوية أو عروضية طفيفة لكن أعضاء اللجنة لم ينبهوهم إليها وكأني بهم قد وافقوهم عليها وأقروهم على صحتها.

ورغم أني لم أناقش أصحاب البرنامج في جميع اختياراتهم الشكلية فإن لي ملاحظة لا تعبر عن وجهة نظري وحدي فقد سألني كثير ممن شاهدوا الحلقة الأخيرة من البرنامج عن رأيي في شأنها وهي طريقة إبعاد أو إقصاء أو حذف أو حرمان الشاعر العراقي من المشاركة في الحلقة الأخيرة، ورغم أن ذلك مطابق لتنظيمات المسابقة، لكن كان على مقدم البرنامج أو على المنظمين أن لا يظهروه أمام الجمهور الحاضر والجمهور المشاهد الذي يعد بالملايين وأن يحفظوا له كرامته وماء وجهه، بعدم إظهاره والاكتفاء بذكر سبب عدم مشاركته في الحلقة الأخيرة، ولذلك خُيِّل إلى كثير من المشاهدين أن العملية كان المقصود منها إقصاء العراق برمته من الجائزة والسهرة، ولا أخال أنهم قصدوا ذلك.

غياب أكبر مقومات الشعر

وأخيراً فإن أكبر مقوم من مقومات الشعر كان غائباً من خلال مشاهدتي للسهرة الختامية "لأمير الشعراء" فقد قيل منذ أقدم العصور، في تعريف الشعر إنه "الكلام الموزون المقفى الدال على معنى" وهذا المعنى الذي يشتمل عليه "الشعر" يجب أن يكون شعريا خياليا مجنحا مثل قول الشابي في إرادة الحياة:

فلا النحل يلثم ميْتَ الطيور
ولا الأفقُ يحضنُ ميتَ الزهَرْ

أما إذا كان الكلام منظوما مقفى في معنى علمي بأسلوب تقريري جاف من نوع المنظومات العلمية التي ليس فيها خيال شعري مثل قول ابن ملك في ألفيته التي "نظم" فيها قواعد النحو:

مبتدأ زيدٌ وعاذرٌ خبَرْ
إن قلت: زيدٌ عاذرٌ من اعتذرْ

فلا يمكن أن نعده من الشعر، لذلك قالوا في مثل هذين النموذجين: هذا شعر وذاك نظم، وكل هذا أمر واضح لدى كل من يعرف علم العروض وأوزان الشعر وموسيقاه، ولا أعتقد أنه كان غائبا عن أذهان المنظمين أو لجنة التحكيم، ولكنني لم أسمع خلال كامل السهرة الختامية كلمة واحدة لها صلة بعلم العروض وأوزان الشعر وموسيقاه، فلم يشر أحد منهم إلى اسم البحر الذي كتب عليه هذا

الشاعر أو ذاك، وبحور الشعر الخليلية، كما هو معروف ستة عشر، وهي التي اكتشف الخليل بن أحمد خمسة عشر منها وجد الشعر العربي يكتب عليها، وقد أضاف تلميذه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البحر السادس عشر، أو على الأصح وجد شعرا على مقلوب المتقارب فسماه "المتدارك" وخيل إليه أنه تداركه على أستاذه الخليل، وكان الخليل قد اعتبره مهملا مع جملة بحور من مقلوبات البحور المستعملة الأخرى، لأنه لم يجد عليها شعراً فيما كان شائعاً في وقته من الشعر العربي، وليس للأخفش فضل اكتشاف هذا البحر بل له فضل العثور على نماذج منه، وقد عثرت شخصيا على بيت واحد على هذا الوزن منسوبا إلى امرئ القيس في ديوانه في كل ما قرأت من الشعر الذي قيل قبل الخليل بن أحمد، ثم كثر عليه الشعر فيما بعد منذ أن قال أبو الحسن الحصري القيرواني قصيدته الشهيرة:

يا ليل الصب متى غده

أقيام الساعة موعدهُ؟

واستساغ وزنها الشعراء فعارضها كثير منهم بقصائد وقطع تجاوزت المائة، من أشهرها معارضة أحمد شوقي التي غنَّى بعضها عبدالوهاب:

مضناك جفاه مرقده

وبكاه ورحَّم عُوَّدُه

ولم أسمع خلال مشاهدتي للحلقة الأخيرة من مسابقة "أمير الشعراء" من أي عضو من أعضاء اللجنة ملاحظة تتعلق باسم البحر تاما أو مجزوءً أم تفعيليا حرًا، ولم يذكر نوع قافيته أهي مقيدة، وهي سهلة ميسورة، أم مطلقة، وهي أعسر من الأولى بكثير خاصة إذا كانت مردفة بهاء أو بكاف، ولم تقع الإشارة إلى مدى إحكام القوافي وتمكنها، إذ أن بعض القوافي تأتي في محلها لا يغني عنها سواها ويكاد يسبق السامع الشاعر إليها، وبعض القوافي مما يجتلب اجتلابا ويؤتَى به قسرا لمجرد تسديد فراغ وتوفير الروي والنغمة المطلوبة، ولم أسمع ملاحظة تتعلق بالقافية أو الروي إذا كان من القوافي الذلُل التي يمكن أن يجد منها الشاعر العشرات، أم القوافي النُّفُر التي لا يجد منها الشاعر إلا العدد المحدود أم أنها من القوافي الحُوش التي يستثقلها السمع، وكل هذه الأنواع لا يُحسن استعمالَها إلا من كانت له ثروة لغوية طائلة وذوق أو حس لغوي وموسيقي، فيعرف السامع مدى توفق الشاعر في اختيارها، كما لم يقع التنبيه إلى أن صاحب هذه القصيدة قد التجأ إلى الإيطاء، وهو تكرار الكلمة الواحدة في القافية قبل انقضاء سبعة أبيات، وهو يعبر عن فقر لغوي لدى الشاعر، كذلك لم تقع الإشارة إلى سهولة بعض القوافي وصعوبة بعضها الآخر، وهكذا يتفاضل الشعراء في اختيار البحر والقافية والروي، فمن ترى يستطيع، من الشعراء المعاصرين، أن يكتب شعرا على البحر المنسرح أو المديد أو المقتضب؟ إلى جانب صعوبة الكتابة على بعض ضروب البحور الشائعة الاستعمال مثل "الكامل الأحذ" أو الضرب القليل الاستعمال من الخفيف. فهل لاحظ أحد أن الشاعر الشاب الموهوب تميم بن الشاعر الكبير مريد البرغوثي قد كتب قطعته الشعرية، التي طلب منه أن يكتبها أثناء السهرة عن "الليل"، على البحر المنسرح الذي يتهيبه الشعراء ويهربون منه إذا كتبوا شعرهم في متسع من الوقت، فكيف غامر وركبه في ذلك الوقت المحرج القصير؟ من مثل قوله، الذي أرجو أن

يكون حفظي صحيحاً، لعجزين من أعجازها وهما: (في كل صبح سنبتني بلدا).. (أكرم به والدا وما ولدا) = (مستفعلن مفعُلاتُ مفتعلن) وأشهر ما شاع بين الناس على المنسرح من الشعر قصيدة صفي الدين الحلي التي غناها عبدالوهاب، والحاء في "كحلت" غير مضعفة للوزن:

قالت: كحلت الجفون بالوسن

قلت ارتقابا لطيفك الحسن

فلماذا لم تقع الإشارة إلى تميز هذه القصيدة في هذه النقطة بالذات، والإشادة بها والتنويه بصاحبها على الأقل لأنه ركب مركبا صعبا لم يركبه إلا بعض كبار الشعراء المعاصرين، فيما أعلم، مثل الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري، والشاعر التونسي مصطفى خريف وغيرهم بقلة، وبهذه الملاحظة على الأقل يكون وضع صاحب قصيدة "الليل" في المرتبة الخامسة غير منصف البتة.

بينما لم تقع الإشارة إلى أن القصيدة التي كتبت عن "الصقر" ليلة السهرة الختامية، قد كتبت بطريقة الشعر التفعيلي الحر المتفاوتة الأطوال، وأن قوافيها قد وقع فيها اضطراب وخلل، لم تنبه لجنة التحكيم إليه، إذ لا يجوز أن تختلف حروف الروي إذا كانت القافية مردفة بهاء أو بكاف لأن الروي الحقيقي، في مثل هذه الحالة، هو الحرف الذي قبلهما، ويجب توحيده وتوحيد حركته، فلا يجوز أن تكون القوافي كما جاءت في تلك القصيدة هكذا: (من علمك/... من قد قال لك/ في الدرك/ ما أعظمك/ ما أجملك)... فالقوافي هنا مختلة لأن الكاف فيها لا يمكن أن تكون قافية بل يجب التزام الحرف الذي يسبقها، وهي هنا غير موحدة فهي ميم ثم لام ثم راء ثم عودة إلى الميم وعودة إلى اللام.. وهذا اختلال كبير لا يجوز في الشعر القديم والحديث، أضف إلى كل ذلك فإن اللجنة لم تشر إلى أن تلك القطعة ليست من الشعر العمودي لعدم وجود تساو بين الأشطر، فيما أذكر من سماعها مرة واحدة، فلماذا لم يقع التنبيه إلى ذلك أو التلميح إليه؟

وهكذا نرى أنه إذا كان بعض الشعراء عموماً يركبون المراكب الصعبة ويكتبون شعرهم على البحور العويصة، فإن منه من يلجأ إلى البحور السهلة مثل الرجز الذي كان يلقب "بحمار الشعراء" في القديم، لكثرة ما يجوز فيه من زحافات، حتى اختص فيه الرجّاز مثل العجّاج وابنه رؤبة وحفيده عقبة الذي وقعت بينه وبين بشار حول هذا البحر مواجهة فأفحمه ابن برد وأخمله وأخمل رجزه في خبر طريف أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني أثناء ترجمة بشار ابن برد، وقد تجنب هذا البحر كثير من الشعراء، وقد حل محل الرجز، بحر المتقارب ومقلوبه المتدارك اللذان يشيعان في شعر الشباب المعاصر لسهولتهما، وكثيرا ما خلط الذين يكتبون عليه شعرهم الحر خاصة، بينه وبين المتدارك، لضعف سليقتهم وحسهم الموسيقي، وعدم معرفتهم بهذا الفن المسمى بالعروض.

إن الشعر يوزن بميزان دقيق يحسب فيه لكل حرف حساب حتى سمّى السيد أحمد الهاشمي كتابه في العروض "ميزان الذهب في صناعة أشعار العرب" أما برنامج "أمير الشعراء" فقد غاب فيه "ميزان الشعر".

لقد نُسب إلى ابن المعتز هذان البيتان في صعوبة الشعر، ولم أعثر عليهما في ديوانه:

إن ذا الشعر فيه ضيق نطاق
ليس مثل الكلام ومن شاء قالا
يُكتفى فيه بالخفيّ من الوحي،
ويحتال قائلوه احتيالا

فإذا كان هذا هو الشعر وهذا جهد الشاعر فيه على حد تعبير ابن المعتز الذي تولى الخلافة التي لم تدم له إلا يوما واحدا، وألف كتاب "طبات الشعراء" فدام له، فلماذا وقع إهمال الجانب العلمي في تقييم الشعر ولم يقع التنويه فيه بمن يستحق التنويه بكلام علمي صحيح لا بكلام فضفاض يصلح، بل لا يصلح، لكل نص، فهل تعمدت اللجنة ذلك أم أن ذلك جاء بسبب خلوها ممن يجيد علم العروض.

قد يقول قائل: لا قيمة لكل هذه التدقيقات العلمية المضنية، لأن كثيرا من الشعراء يقولون الشعر دون احتياج إلى معرفة بعلم العروض، كشأن الشعراء الذين عاشوا قبل ضبط الخليل لأوزان الشعر وقواعد العروض، إلى جانب وجود شعراء في كل عصر يكتبون الشعر دون معرفة بهذا العلم أو الفن، وأجيب من يقول هذا الكلام بأن كل فن له قواعده التي لا يدركها إلا المختصون فيه، فنحن نرى أهل كل فن يتكلمون فيه وعنه بذكر أسمائه، فأهل الموسيقى مثلا لا يتكلمون عن أغنية أو قطعة موسيقية كلاما علميا إلا إذا حددوا اسم النغمة التي وضعت فيها مثل النهاوند أو البياتي أو محير عراق أو بعض النغمات التونسية مثل الإصبعين أو الحسين أو المزموم إلخ وإذا جاز للمبدع أن يبدع دون معرفة بالقواعد فإنه لا يجوز للناقد أن ينقد دون علم ومعرفة ودراية في جميع الفنون، بل نراهم يذهبون إلى أكثر من هذا فيقول العارفون منهم: إن نغمة المزموم والأصبهان يحسن أن يكونا في موضوع الشجاعة والإقدام والنشاط، وأن السيكاه أو السيكة تحسن في اللوعة والشجن، وأن نغمة الصَّبا لا تكاد تكون إلا في الحزن والفراق، لذلك يتشاءمون منها ويتجنبونها...إلخ

هذا بالنسبة إلى الموسيقى، وهذا هو الشأن في كل فن، وكان الشعراء القدماء يدركون ذلك بالسليقة وقلما يكتبون قصيدة حماسية جادة على الرجز: حمار الشعراء، ولا يقولون قصائدهم في مدح العظماء إلا في البحور الرصينة الطويلة مثل الكامل والطويل والبسيط، الذي لا ينطبق عليه اسمه لأنه ليس بسيطا البتة، وتفعيلاته تساوي تفعيلات الطويل، وقد نبه سليمان البستاني في مقدمة تعريبه لإلياذة هوميروس شعرا إلى مدى صلاحية كل بحر لكل معنى، وقد استوحى هذا الرأي من اليونانيين الذين لا يكتبون جميع المعاني على كل البحور بل يحددون لكل معنى بحرا لا يكون إلا فيه، وقد نقل الدكتور صفاء خلوصي من العراق هذه الفكرة عن سليمان البستاني في كتابه "فن التقطيع الشعري والقافية"، ولم يشر إلى أنه أخذها عن البستاني إلا مرة واحدة في الهامش.

ومن يرد أن يعرف هذا الأمر فليعد إليه في كتاب "فن الشعر" لأرسطو طاليس الذي جمعه من الترجمات العربية القديمة ورتبه وعلق عليه الدكتور عبدالرحمن بدوي، وإلى كتاب أرسطو طاليس "فن الشعر" نقلا عن أبي بشر متى بن يونس القنائي الذي نشره محققا أستاذنا الدكتور شكري محمد عياد، مع ترجمة حديثة لكتاب فن الشعر ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية،

وقد أشار كل أولئك إلى مناسبة البحور للمعاني، كما أشار حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" إليها، أما العالم السوداني الدكتور عبدالله الطيب فقد بين في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" التناسب بين البحور ومعانيها مستنتجا ذلك من تتبعه لأوزان الشعر العربي بطريقة تدل على سعة اطلاع وعمق معرفة بالشعر العربي القديم والحديث، وقد كتب مقدمة كتابه هذا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي أبدى إعجابه بالكتاب وبصاحبه، وقد نشرتُ بدوري مقالاً تحت عنوان "مناسبة البحور الشعرية للمعاني" مدعما بالمصادر والمراجع حول هذا الموضوع، في الجزء ٢٨ المجلد السابع من مجلة "علامات" التي يصدرها نادي جدة الأدبي بالسعودية بتاريخ صفر ١٤١٩هـ يونيه ١٩٩٨م ص٣٧٧/٤٠٨ .

أما الشعراء المحدثون فإنهم يكتبون كل المعاني على كل البحور، لأن معظم شعرهم يدور على بحور محدودة دون وعي بخصائص كل بحر، وهذا موضوع يحتاج إلى كثير من البحث والدراية والتأمل، ونحن لا نلزم به الشعراء ولا نعفي منه الدارسين، وأتساءل في الأخير: هل يوجد بين أعضاء لجنة التحكيم شاعر واحد يستطيع أن يواجه بشعره الجمهور الحاضر والجمهور المشاهد عبر القناة المنظمة لهذه المسابقة، إذ أنه:

" لا يعرف الشِّعْر إلا من يعالجه

ولا الكتابةَ إلا من يعانيها"

مع الاعتذار للشاعر الذي قال:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقد ذكر ابن رشيق القيرواني خبرا يؤيد ما ذهبت إليه، خلاصته أن البحتري، قيل له عندما فضّل أبا نواس على مسلم بن الوليد: "إن أحمد بن يحيى ثعلبا لا يوافقك على هذا".

فقال: "ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دُفِع إلى مضايقه" وقد قال مثل هذا القول قبله أبو نواس حين فضل الفرزدق على جرير، في خبر أورده ابن رشيق القيرواني عن غير واحد من المؤلفين، في "عمدته" ٢/٧٣٤ .

كل هذا لم يتوفر في السهرة الأخيرة التي شاهدتها من ذلك البرنامج، بدليل أني لم أسمع خلالها واحدا من أعضاء اللجنة استشهد ببيت واحد من الشعر العربي القديم أو الحديث، فمن يزن بغير ميزان؟ و"من ذا يُغَنِّي على عود بلا وتر". كما قال آخر أمراء الشعر في العصر الحديث بشارة الخوري؟

إني أعتقد أن المشرفين على هذا البرنامج الناجح والساهرين على حظوظه سيتلافون الأمر ويدعمون لجنة التحكيم مستقبلا، بالمتخصصين في علم العروض وأوزان الشعر وموسيقاه، ممن يمارسون كتابة الشعر لا من الذين يعرفون القواعد والزحافات الجائزة وغير الجائزة، دون أن يمارسوا كتابة الشعر، ليكون كلامهم معتمداً على العلم الصحيح، والذوق السليم والتجربة والمعاناة، فليس كل عروضي شاعراً وليس كل شاعر عروضيا، وقلَّ ما يجتمع الشعر والعروض في واحد، يدرك الأوزان بالذوق والإحساس لا بالتقطيع ووضع العلامات، التي تنطبق على التفعيلات المساوية للأبيات بالرموز والإشارات.

صمت الحكاية!

د. عبدالله بن أحمد الفيفي

جامعة الملك سعود - الرياض

الصمت أبلغ من كلام في دمي ... لم يرعَوِ عنّي ولم يتكلَّم!

وهل اللغات سوى هُراءٍ إن غدت ... في أُذْنِ سامعِها لساناً في فم؟!

لغة القلوب هي القلوب، فدع إذن ... حُفَراً يدورُ بها الهواءُ ويرتمي!

* * *

تَعِب البيان يصُوغني معنى، فمن ... لي بالبيان المارد المستسلم؟!

والناس تبني وَهْمَها من زرقة ... الإبحار شعرا في ابتناء الأوهَم!

من مُدَّعٍ يزهو بغير حروفه ... أو رامحٍ في حَرْفه مُستلثم!

الكل في دنيا الهوى متشاعر ... يَهْذِي بصاحبة الوشاح الأنعم!

والحب أنفاس، إذا ما مازجت ... نفسا، براها الله غَيْما ينهمي!

يُروي بقايا أعظُمٍ في تُربِها ... فتهُبُّ غُصنا يانعا لمَ يهرَم!

لـولاهُ مـــــا رف الجـنـاح بـطـائـر ... كـــلاً، ولم تُعْـشِب حُـروفُ المعجم!

لولاه مـا رشـفـت غـزالـة خـافـقـي ... سَـحَـرا، ونامت مـقـلتـاها في دمي!

الحبُ كُــونٌ من دخــان عُــيُــوننا ... يبني الجديدَ كـقُـبْلة من مَـبْـسم!

يسـري مـصـابيحـا بشـارع عـمـرنا، ... ويعــيــدُ رسم خــرائطِ لم تُرْسم!

* * *

يا كُلَّ شــعـــري إن تـنـاثـرت الرؤى! ... يا كُلَّ نثـري في القـصـيـد المحكَم!

فُضّي قوافي الشمس، تسقي مشرقي، ... مُـدّي عـروق الأرض، تروي مَنْجَـمي!

قــالوا: لهـذا الشـعــر واد واحـد، ... فَـجَـعَلْتِـهَـا مِلْيُـون وادِ مُلْهم!

قــالوا: إمـارةُ ذا الكلام حــصـيـنـة، ... فـفـتـحـتـهـا من ناظرَيْك بأسْهُم!

يا نُورَ هذا الكون، إمَّـــا ينطفي ... من كَـهْرُبـاءِ الشّـعْـر حـبـر الأنجُم!

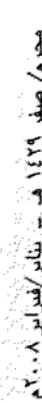
يا مـاء "بسم الله" في شَـفَـةِ الظّمـا، ... هلّي سـحـابَ العـمـر.. ثوري زمزَمي!

لُمي جـراحـاتي التي أبدعـتـهـا ... ولْتَـجْـرَحِـيني في الْتِمَـامي المؤلم!

لك كُلّ مــا تَهْـوَيْـنَ، منْكِ أبتـدي ... مــشــواريَ الأقــصَـى، وأنْهِي مَـأتَمي!

* * *

أدري بأني- يا أمــيــرةُ - دائمــا ... في (اللُّعبـة الحـوّاء) رقْمٌ آدمي!



كل الضحايا في يديها آدم، | ذا خاتمٌ، أو ذا سِوارُ المعصم!

لا لوعة العشّاق تشعلها، ولا | آهاتُ وَجْدٍ شفَّ ماءَ الأعظُم!

ما بين بارق ثغرها وبنانها | تُطفي قناديلَ الهوى المتضرِّم!

تنسى رسائل كالسماء عيونُها، | وكأنّ شيئًا لم يكُن أو يُحلَم!

قولي، لماذا لم تكن ليلى كقيـ | ـسٍ في الهوى، كَبِدًا، ولم تتتيَّم؟

قولي، لماذا كالحرائق لحنُه | يغشى الأصابعَ وهي لم تترنمِ؟

بالعقل يشري مِنْ هواها قبضة | لتبيعهُ للذّاريات بِدرهم!

قلبُ تجاريٌّ، وحُبٌّ والغ | في حَمْأة استنزاف قلب مُعدم!

هي لو تحبُّ، فلا سوى مرآتها؛ | لترى التي فتكَتْ بقلب الضّيغم!

من قال: "أنثى.. يا لَوَاهية القُوى"؟! | والفيلسوفُ نبيُّ من لم يَفْهَم!

يتوكأ الأوهامَ في رأد الضُّحى، | ويَهُشُّ ما يَخْشَى، كعملاقٍ قمي!

* * *

لله يا قلبًا تساقطَ نبضُه | ما في ثراهُ من سُؤال مُفعم!

هل كالكتابة تلتقي أنفاسُنا | كنُفُوسنا؟ أم ذاك محضُ توهُّم؟

يوم التقى القلبان سَلَّم قلبُها | والقلب منّي كَفَّه لم تعلم!

وأنا أطوف في الملامح هائماً،
يا وَجْهَهَا الأشهى، ويا طرفي العمي!

رحماك بي- يا من تراني حيثما
شاءت- أما شاء الهوى أن ترحمي؟!

لا عشتُ إن عاش الخيال مُحلّقا
وهويتُ وحدي في الثرى كالمعدم!

* * *

قالت: حبيبي، لن تراني.. بيننا
رَمْلُ الصحاري في فؤادي المغرم!

إني الأنوثة في خِضَمِّ قيودها،
وَحُدُودِها، ووجودِها المتحكِّم!

فاسمي ورسمي سَوْءَةٌ موءودة،
قُتِلَت بسيف الجاهليِّ المُسلِم!

لا رأي لي فيما أحبُّ، وليس لي
إلا بأن أحيا بعَقْدٍ مُبرم!

البنت تولد حُرَّةً لكنها
سرعان ما تَدْري إلى من تَنْتَمي

سرعان ما تدري بجنس آخر
مَحْفُوفَةٍ آفاقُه بجهنّم!

أتظنُّ دمع الورد لا يجري على
آثام شوكِ الوردِ حول البُرْعُم؟!

هذا الذي جَنَتِ الذكورة! لا تلم
إلاكَ أنتَ هُنا، ولا تتظلَّم!

* * *

يا من تنفَّسك اشتياقي، ليس لي
فيما أحاولُ غيرُ صوت تحطُّمي!

يا من إليك هربتُ منك، ولم أجد
بسوى "أحبُّكَ" رُقْيَةً لتلعثُمي!

إني عـشـقـتك! كلُّ ثانيـة أرى
فـيـهـا حـبـيـبي مـثلَ طفلٍ توأمي!

يلهـو بأشـيـاني، ويركض ضـاحكا،
فـيـضـمُّـهُ صدري، ويلثُـمُـهُ فـمي!

وروت حكايا، أيقظت بنمـيـرِهَا
ينبـوعَ تَحْنَانِي بديواني الظَّمي!

* * *

ألقت حـمـامـة دارنا كـأسـا على
كـأسٍ، وطارتْ في الأثيـر المشئمِ!

منهـوكـة النجـوى، على أهدابهـا
شفقُ الفواكـه كـالعُيُـون اليُـتَّم!

ناحت من الوقت الجَـزُور فـواصـلا،
كـانت لنا وطنا، وكـأس تندُمُ!

بين اهتـيـاج الدُّرِّ في ثَدْيٍ على
شـفـة الرَّضيع، وجُـوع من لم يُفْطَم

كـالزهر فـتَّح كُلَّ أحـداق الندى
ليضُمَّ ضاحـيـةَ الجَـمَال الموْسِمي!

والفـأسُ تنهشُ عُـرضَـهـا في طُولهـا
ولُهَـاثُـهـا ملءُ الفـضـاء الأعظَم!

مـا ضَـرَّ لو أضْحَتْ قـصـائدُ عـمـرنا
لُغَـةَ الخلود بعـمـرنا المتـصـرِّم!

مـا ضَـرَّ لو طالت مُنًى ومـبـانيـا
وتقـاصـرتْ بمنيَّـةٍ وتهـدُّمِ؟!

* * *

غُـفْـران أنثى الشِّـعْـر، عـقلي ناقم
منهـا خـيـالي، والخـيـالُ مـتـرجـمي!

مـا الشِّعْرُ؟!.. لا مـا قـيل يبني حُلْمَنا
أبـداً، ولا مـا نيلَ منه بقَـيِّم!

الشِّعْرُ: كأسُ الرُّوحِ إلا أنَّها ... كأسٌ مزاجُ سُلافِها من علقَمِ!

تَسْبيك منك بغثِّها وسَمينها، ... وتُريكَ فيك الحُرَّ عبدَ توهُّمِ!

والشِّعر: كلُّ بصيرة عمياء، عا ... ذ فصيحها من عيه بالأعجمِ!

منه إليه أغنياتي تلتجي، ... إذ يلتجي بي بعضُه من مُعظمي!

كالأكسجين، تلفُّنا أغلالُه ... من حيثُ لا ندري بما لا نحتمي!

كالماء، ليس بصفوه تحيا الحيا ... ةُ جميعُها، إن جاد غيثُ المنعمِ!

فردوسُه كجحيمه: أغصان برْ ... قٍ لاحَ في كفِّ الخيال الملهمِ!

تطوي عيون الرَّمل منها لوحة ... ألوانُها عصفُ الرؤى في مَرْسَمي!

* * *

تلكُمْ حبيبةُ أحرفي.. تنأى إذا ... ناديتُها نأيَ الصَّدى المتهشِّمِ!

تلكُمْ حروفُ حبيبتي.. تندى إذا ... ناجيتُها صُبحَ الوضوح المبْهَمِ!

وجهان في وجه: هطول سحابة ... وطَفاء.. في ظمإ اللَّمى المتفحِّمِ!

وكذا الحياة- خصيبُها وجديبُها- ... من يرتقي ماءَ السماءِ بسُلَّمِ!

سنعيشها لتعيشَنا: ترحاً على ... فرحٍ، وبَدْراً يحتسي مِنْ مُظلمِ!

أسرجتُ في صمت الحكاية مُهجتي ... وعدوتُ وحدي قافلاً في مَقْدَمي!

الهمز و اللمز

الحمد لله، وصلى الله على محمد ومن ولاه، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وهداه.

وبعد: فلا شك أن العطف يقتضي المغايرة، ومن هذا فإن أهل اللغة يحارون حين يجدون كلمتين متقاربتي المعنى جاءتا مع بعضهما، صحيح لو أن كل واحدة جاءت بعيدة عن الأخرى لأمكن تفسير إحداهما بالأخرى لكن ما العذر وقد جاءتا معاً في كلمة واحدة؟ كيف يفسرون كلا منهما؟.

ومن ذلك كلمتا الهمز واللمز في قوله تعالى {ويل لكل هُمَزَة لُمَزة}(١)

جاء في تفسير القرطبي: أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن قيس، وكذلك نزلت فيه آية أخرى، وإليك قوله بنصه: قوله تعالى {ومن الناس من يُعْجِبُك قَوْلُهُ} لما ذكر الذين قصرت همتهم على الدنيا في قوله {فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا}(٢) والمؤمنين الذين سألوا خير الدارين (٣). ذكر المنافقين؛ لأنهم أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، قال السدي وغيره من المفسرين: نزلت في الأخنس بن شريق، واسمه أبي، والأخنس لقب لُقِّب به؛



لأنه خنس يوم بدر بثلاثمئة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم... وكان رجل حلو القول والمنظر، فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال: الله يعلم أني صادق، ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر؛ فأحرق الزرع وعقر الحمر، قال المهدوي، وفيه نزلت {ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم}(٣) و{ويل لكل همزة لمزة}(٤).

وقد نقل القرطبي في تفسيره بيانا لمعنى الكلمتين عن المفسرين من الصحابة ومن بعدهم فقال: قال ابن عباس رضي الله عنه "هم المشّاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب} فعلى هذا هما بمعنى، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) :" شرار عباد الله تعالى المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب". (٥)

وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً: أن الهمزة القتات (٦) واللمزة العياب، وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبي رباح: الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة الذي يغتابه من خلفه إذا غاب، ومنه قول حسان:

همزتك فاختضعت بذل نفس

بقافية تأجج كالشواظ

واختار هذا القول النحاس، قال: ومنه قوله تعالى {ومنهم من يلمزك في الصدقات} (٧) وقال مقاتل - ضد هذا الكلام- إن الهمزة الذي يغتاب بالغيبة، واللمزة الذي يغتاب في الوجه. وقال قتادة ومجاهد: الهمزة الطعان في الناس، واللمزة الطعان في أنسابهم. وقال ابن زيد: الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوري: يهمز بلسانه، ويلمز بعينيه.

وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه.

وقال مرة: هما سواء، وهو القتات الطعان للمرء إذا غاب.

وقال زياد الأعجم:

تُدلي بوُدّي إذا لا قيتني كذبا

وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة



أ.د/ ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الهوامش:

(١) أول سورة الهمزة.

(٢) ٢٠١ البقرة.

(٣) يقصد الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٢٠١ البقرة.

(٤) تفسير القرطبي ١٤/٣

(٥) مسند الإمام أحمد برقم ٢٧٦٧٠

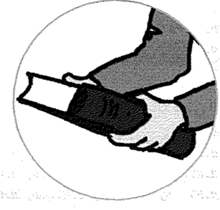
(٦) أي النمام

(٧) التوبة

د. موضي بنت حميد السبيعي - مكة المكرمة

الدكتورة موضي بنت حميد السبيعي أهدت المنهل دراستها العلمية القيمة المعنونة (المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرف) دراسة استقرائية من خلال (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري..
وتوسيعا لدائرة الإفادة من هذه الدراسة رأت المنهل نشر صفحات منها في أعدادها المتتالية..

المعاني الصرفية للفعل الثلاثي المزيد بحرف



- باب الدال - (تكلمة..)

جـود: "أَجَدْتُ الشيء فجاد... وقد قالوا: أَجْوَدْتُ كما قالوا: أطال وأطْوَلَ،..."، في اللسان "الجَيِّد نقيض الردئ"(١)، جعلته جيداً.

"أجدْتُهُ النَقْدَ: أعطيته جياداً، جعلته ذا نقودٍ جيدةٍ.

حصد: "أَحْصَدْتُ الحبلَ: فَتَلْتُهُ"، في المعجم: حَصِدَ الحبلُ ونحوه حَصَداً: اشتد فتله أو صنعه".(٢)

حفد: "الحَفْدُ السُرْعة: تقول حَفَدَ البعير والظليم حَفْداً... وهو تدارك السير. وأَحْفَدْتُهُ: حملته على الحَفْد والإسراع".

حقد: "الحِقْدُ: الضغن، حَقَدَ عليه: يَحْقِدُ حقْداً،... وأَحْقَدَهُ غيرهُ".

خلد: "الخُلْدُ: دوام البقاء. وتقول: خَلَدَ الرجل

يخلُدُ خُلُوداً. وأخْلَدَهُ الله".
خمد: "خَمَدَت النار تَخْمُدُ خُمُوداً... سكن لهبها ولم يطفأ جمرها وأخْمَدْتُها أنا".
ذود: "ذُدْتُ الإبل... سقتها وطردتها. وأذدتُ الرجل: أعَنْتُه على ذياد إبله"، التعدية للمفعول الثاني.
رشد: "الرَشَادُ: خلاف الغَيِّ، وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً،... وأرْشَدَهُ الله".
رعد: "الارتعاد: الاضطراب يقال: أرْعَدَهُ فارتعد. والاسم الرِعْدة"، جعله يرتعد.
رغد: "عيشة رَغَدٌ... أي: واسعة طيبة. تقول رَغِدَ عيشهم ورَغُدَ عيشهم، بكسر الغين وضمها، وأرغدوا مواشيهم: تركوها وسومها".
رقد: "الرُقَادُ: النوم. وقد رَقَدَ يَرْقُدُ... وأرْقَدَهُ: أنامه".
رمد: "رَمِدَ الرجل بالكسر يَرْمَدُ رَمَداً: هاجت عينه وأرْمَدَ الله عينه".
سأد: "أسْأَدْتُ السير؛ إذا جَهَدْته" جعلته ذا سَأْدٍ، وهو المشي.
سدد: "يقال: طلبت أمراً فأسْدَيْتُهُ أي: أصبتُه وإن لم تصبه قلت أعمسته"، يبدو أنه قد حدث إبدال وأن الأصل: أسددته، من السداد ففي اللسان: وقد أسددت ما شئت أي: طلبت السَّداد والقصد أصبته أم لم تصبه". فأبدل أحد المضعفين ياء، مثل أملَلت وأمليت، والمعنى الصرفي التعدية في اللسان، وسد قوله يَسِدُّ، بالكسر، إذا صار سديداً".(٣)
سعد: "السَعْدُ: اليُمْن. تقول: سَعَدَ يومنا؛ بالفتح يَسْعَدُ سُعُوداً، وأسْعَدَهُ الله".
سفد: "السِفَادُ: نَزْوُ الذكر على الأنثى... وسَفَدَ بالفتح... وأسْفَدَهُ غيرهُ".
سند: "السَنَدُ: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح... وسَنَدْتُ إلى الشيء أسْنُدُ سنُوُداً، وأسْنَدْتُ غيرى".
"الاسنادُ في الحديث: رفعه إلى قائله"، جعله مُسنداً.
شهد: "الشَهادة: خبر قاطع. تقول منه: شَهِدَ الرجل على كذا وأشْهدتُه على كذا فَشَهِد عليه، أي: صار شاهداً عليه".
"شَهِدَهُ شَهوداً، أي: حضره... وأشْهَدَني إملاكه، أي: أحضرني"، التعدية للمفعول الثاني.
صرد: "صَرِدَ السهم... عن الرميَّة، أي: نفذ حَدُّه. وأصْرَدَهُ الرامي".
صعد: "الصَعُودَ من النوق: التي تُخدجُ فتُعطَفُ على وَلَد عام أوَّل: وأصْعَدْتُها أنا"، جاء في اللسان جعلها صعوداً. (٤)
طرد: "وفلان أطْرَدَهُ السلطان، أي: أمر بإخراجه عن بلده"، جعله طريداً.
"قال ابن السكيت: أطْرَدْتُهُ إذا صيرته طريداً".(٥)
عبد: "التعبيدُ: الاستعباد، وهو أن يتخذه عَبْداً... والإعبادُ مثله"، المعنى الجعل والتصيير.(٦)
عتد: "أعَتَدهُ إعْتَاداً، أي: أعَدَّهُ ليوم ومنه قوله تعالى: "وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأ".(٧)
عدد: "وأعَدَّهُ لأمر كذا: هيأه له، جعله مُعداً له".
عقد: "عَقَدَ الرُبُّ(٨) وغيره، أي: غَلُظ، فهو عقيد: وأعْقَدْتُهُ أنا".
"قال الكسائي: يقال للقطران والرُبِّ ونحوه: أعْقَدْتُهُ حتى تَعَقَّدَ".
فرد: "يقال: جاءوا فُراداً وفُرادَى... أي: واحداً واحداً وأفْرَدْتُهُ: عزلته" في المعجم "فَرَدَ فُروداً: انْفَرَدَ وتَوحَّدَ".(٩)
"وأفردتُ إليه رسولا" جعلته مفردا
فسد: "فَسَدَ الشيء يَفْسُدُ فساداً،... وأفْسَدْتُهُ أنا".
فيد: "الفائدةُ: ما استفدت من علمٍ أو مالٍ. تقول

منه: فَادَتْ له فَـائدةٌ أبو زيد.... أفَدْتُ المال: أعطيته غيري... وأفَدْتُه... اسْتَفَدْتُه".

قعد: "قَعَدَ قُعُوداً ومقعداً، أي جلس. وأقْعَدَهُ غيره".

المُقْعد: الأعرج، تقول منه: أُقْعِدَ الرجل".

قـود: "قُدْتُ الفرس وغـيـره أَقُودُهُ قـوداً ومَـقَـادَةً... وأَقَدْتُكَ خَيلاً، أي: أعطيتك خيلاً تَقودها"، التعدية للمفعول الثاني.

"القَوَدُ: القصاص، وأَقَدْتُ القاتل بالقتيل، أي: قتلته به، يقـال: "أَقَادَهُ السلطان من أخيه"، الجـعل، أي: جعله يُقاد.

كمد: "أَكْمَدَ القَصَّارُ الثوبَ، إذا لم يُنَقِّه"، وفي المعجم "كَمِدَ الثوب: أخلق فتغير لونه".(١٠)

كهد: "كَهَدَ الحمار كَهَدَاناً، أي: عدا، وأَكْهَدْتُهُ أنا".

لبد: "اللَّبَدُ: الصوف... وأَلْبَدْتُ الفرس...، إذا شددت عليه اللبْدَ" جعلته ذا لِبْد.

"وأَلْبَدْتُ السرج، إذا عملت له لِبْداً"، جعلته ذا لِبْدٍ".

"أَلْبَـدْتُ القـربة: جـعلتـهـا في لَبِيـدٍ، وهـو الجـوالق الصغير".

لهد: "أبو عمرو: أَلْهَدْتُ به: إذا أمسكت أحد الرجلين وخليت الآخـر عليـه. وهـو يقـاتله" الجـعل، ولكن لما ضُمِّنَ معنى أمسك عُدِّي بالباء.

مدد: "أَمْدَدْتُ الرجلَ، إذا أعطيته مَدَّةً بقلم" جعلته ذا مُـدٍّ... وهو اسم مـا اسـتـمـددت بـه من المداد على القلم".

مغد: "الإمغادُ: إرضاع الفصيل وغيره. تقول المرأة: أَمْغَدْتُ هذا الصبي فَمغَدَنِي، أي: رضعني"، جعلته يمغدها.

نشد: "اسْتَنْشَدْتُ فلانا شعره فأَنْشَدَنِيهِ"، جعلني ذا نشيد.

نفد: "نَفِدَ الشيء بالكسر نَفَاداً: فَنِي، وأَنْفَدْتُهُ أنا".

نهـد: أَنْهَدْتُ الحـوض: مـلأته، وهو حـوض نَهْدَانٌ، جعلته ذا نُهُود.

وجـد: "وَجَـدَ مطلوبه يَجِدُهُ وُجُـوداً ويَجُـدُهُ أيضـا بالضم، لغة عامرية... ... وأَوْجَدَهُ الله مطلوبه، أي: أظفره به".

"ووَجَدَ في المال وَجْداً ووِجْداً وجِدَةً، أي: استغنى... وأَوْجَـدَهُ، أي: أغناه، يقـال الحـمـد لله الذي أَوْجَدَنِي بعد فقر، وآجَدَنِي بعد ضعف، أي: قَوَّانِي"، جعله ذا وَجْد.

"وُجِدَ الشيء عن عدم...، وأَوْجَدَهُ الله".

ورد: "وَرَدَ فلان وُرُوداً: حضر. وأَوْرَدَهُ غيرهُ،...أي: أحضره".

وسد: "أَوْسَدْتُ الكلب. أغريتُه بالصيد، مثل آسَدْتُهُ، جعلته مثل الأسد".

وصد: "الوَصِيدُ: الفناء وأوصَدْتُ الباب وآصَدْتُهُ، إذا أغلقته، جعله ذا وِصادُ: أي مطبقاً".(١١)

وفـد: "وَفَـدَ فـلان على الأمـيـر، أي: ورد رسـولا... وأَوْفَدْتُهُ أنا إلى الأمير، أي: أرسلتُه".

وقد: "وَقَدَت النار تَقِدُ وُقُوداً بالضم... أي: تَوَقَّدَتْ وأَوْقَدْتُها أنا".

الهوامش:

١- جـ٣، ١٣٥ العمود/ ٢ مادة جود.

٢- جـ١، ١٧٧ العمود/ ٣ مادة حصد.

٣- اللسان، ٣، ٢١٠ العمود/ ١، ٢ المادة من سدا ذكرتها في سدد بسبب الإبدال.

٤- انظر اللسان، ٣، ٢٥٥ العمود/٢ مادة صعد.

٥- انظر اصلاح المنطق، ٢، ٢٣٥ .

٦- انظر اللسان، ٣، ٢٧١ العمود/ ٢ مادة عبد.

٧- آية ٣١، من سورة يوسف.

٨- الرُّبُّ: عصارة التمر المطبوخة، وما يطبخ من التمر والعنب، المعجم الوسيط، جـ١، ٣٢١، العمود/٢، مادة ربب.

٩- جـ٢، ٦٨٦ العمود/ ٢ مادة فرد.

١٠- جـ٢، ٨٠٤ العمود/ ١، مادة كمد.

١١- اللسان، جـ٣، ٤٦٠ العمود/ ٢ مادة وصد.



«ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين»

الماء عصب الحياه

فحافظوا عليه ولاتهدروه

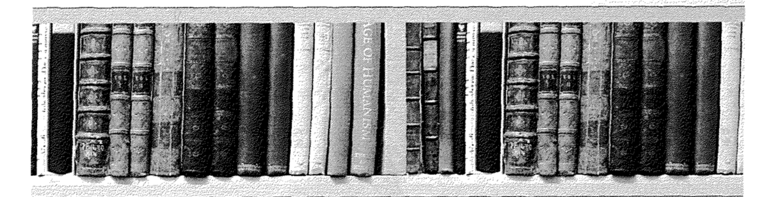
المنهل

مجلة للأداب والعلوم والثقافة

مع تحيات .. دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥ - هاتف : ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

البريد الإلكتروني : E-mail: info@al-manhalmagazine.com عنوان الموقع : WWW. al-manhalmagazine.com



على فراش الموت

ألَّف الأستاذ الطناحى هذا الكتاب بهذا الاسم في طبعته الأولى ثم سماه "ألحان الغروب" في طبعته الثانية ثم سماه "الساعات الأخيرة" في طبعته الثالثة مع زيادات في الفصول لعله اطلع على موادها من بعد، والكتاب رائع الجدوى مغزى ومعنى وتعبيراً، فقد علم المؤلف كما يعلم الناس جميعاً، أن الموت حق واقع لا مفر منه، وأن جلَّ الناس يهابونه ويرهبونه، فرأى أن يتحدث عن هذا الخطر الدائم في بدء الكتاب بما يهوِّن وقعه، ناقلاً من الأقوال والأعمال ما ينحو هذا النحو، ثم دخل في صميم موضوعه حين اختار طائفة من كبار المشهورين ليتحدث عنهم في لحظاتهم الأخيرة قبل أن يودعوا الحياة، وهو اختيار جيد المرمى،

على فراش الموت

بقلم

طاهر الطناحي

دار الهلال بمصر

سنة ١٩٣٩

تأليف: الأستاذ طاهر الطناحى

وقد جعل المريض في لحظاته الأخيرة يتذكر مواقفه السالفة في غابر حياته، ومنها المبهج السار، والقاتم الحزين، فيكون قد أطلع القارئ بهذا التذكر على موجز بليغ لحياة المتحدث عنه، وتلك طريقة مشوقة تدفع القارئ إلى استيعاب الحقائق دون ملل، والذي يطرد الملل في حديث الموت كاتب بارع حقاً.

والمؤلف أديب بارع أشرف على مجلة الهلال وما يتبعها من كتاب الهلال وروايات الهلال أمداً طويلاً جعل هذه السلاسل تأخذ نصيباً من الازدهار على يده، وقد أفادته الصحافة من ناحية هامة إذ مكنته من الاتصال الشخصي بصفوة مختارة من أعلام الأدب والفن في العصر الحديث فشافه نفوسهم، ودرس أحاسيسهم وحلل منازعهم، واستطاع أن يكتب عنهم ما يعتبره النقاد مادة صحيحة لجانب من تاريخنا الثقافي المعاصر

وقد جمع بعض هذه الفصول في كتابيه (ساعات من حياتي) و(حديقة الحيوان) هذا غير مقدماته الحافلة لبعض سلسلة كتب الهلال حين يسلط الضوء على المؤلفين في مهارة واقتدار

وقد حاول المؤلف أن يخفف وقع الموت على النفوس- وليته استطاع - حين ذكر أن الحياة الأخرى حياة معنوية روحية طالما اشتهاها الكثيرون إما رغبة.. في ثواب، وإما خلاصاً من عذاب مستشهداً بقول أبي العلاء:

ما أعدلَ الموت من آت وأستره

فهيِّحيني فإني غير مهتاج

إذا حياةٌ علينا بالأذى فتحت

بابا من الشر لاقاه بإرتاج

وأبو العلاء حاضر مستعد في هذا الموقف، فمن السهل أن يستشهد المؤلف بالكثير من أبياته، تابعاً ذلك بقوله (والموتُ يُطَهِّر الحياة، كما ينقل الأطهار إلى حياةٍ أرقي، وهو في جلاله الرهيب، ووقاره المهيب، وسلطانه الشامل يتجلّى في أروع مظاهره، وأبلغ عظاته حين يضرب أطنابه على فراش عاهل عظيم، أو زعيم كبير، أو مفكر جليل، هناك ترى من روعة الموقف ما تقترن به عظمة الموت بعظمة الميت، ومن رهبة المأساة ما يمتزج فيه جلال المصيبة بجلال المصاب، فتشعر النفوس بأكبر وجود للفقيد، وترى من شخصيته في مماته ما حجب عنها أيام حياته، وتفهم من معنى الخلود ما لم تفهمه أيام وجوده وكأنما الموت قد خلع عليه حياة جديدة هي خير وأبقى من هذه الحياة الأولى، وقد قال برنادشو: إذا كانت الحياة لا تسوِّي بين الناس فإن الموت يُبرز فضل ذوي الفضل)



أ.د. محمد رجب بيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

وهذا حق لاشك فيه، فنحن نرى كثيراً من المجاهدين قوبل كفاحهم الباهر بكثير من الجحود في حياتهم، وتعرضوا لضروب من النقد الهاجم من خصومهم وكأنهم أشرار لا مصلحون، ثم تحين ساعة رحيلهم فكأن شمساً مشرقة بددت غياهب هذه الأراجيف، ويتلاقى الخصوم والأشياع على تقديرهم في مقالات ضافية الذيول، كما نعلم ممن ذكرهم المؤلف ما لحق بمثل الإمام محمد عبده والزعيم مصطفى كامل، والسيد توفيق البكري من أراجيف ظالمة عانوا منها أشد البلاء ثم جاء الموت فأحق الحق وأبطل الباطل، وهذا ما عناه الأستاذ علي الجارم حين قال في رثاء قاسم أمين

رُبَّ من كنتَ في الحياة له حرباً

شققتَ الثياب عند غيابه

وتحديت شمسه فإذا ولَّى

تمنيت لمحة من ضبابه

لم يفز منك مرة بثناء

فنثرت الأزهار فوق ترابه

وقد بُدِيء الكتاب بفصل جيد عن أثر الموت في الشعوب القديمة، ومما قاله عن قدماء المصريين أنهم كانوا يعتقدون بخلود الروح، ويضعون للميت في قبره ما يحتاج إليه من الملابس والمآكل وكل ما كان يهواه في حياته من أنواع الملاذ كما اعتقدوا أن الحياة السعيدة في الآخرة تتوقف على العمل الصالح في الدنيا، وأن في الآخرة مجلساً يتكون من اثنين

وأربعين قاضياً يرأسهم الإله (ايزوريس) وهو المسمى بإله الموتى ليؤدي المجلس واجبه في الحساب منتهياً إلى الثواب أو العقاب ـ وتلك معتقداتهم وهي معتقدات باطلة- أما ما ذكره المؤلف في الفصل المعنون بقوله (لماذا نخاف الموت) فهو بحث تحليلي يعرض ما قاله بعض الفلاسفة في القديم والحديث عن هذا الخوف ومبرراته، ومحاولة القضاء عليه بما يفرضون من آراء تقنع العقل وقد لا تُرضي العاطفة، وللفيلسوف الإسلامي الكبير ابن مسكويه باب رائع عن أسباب الخوف من الموت مع الرد العقلي على هذه الأسباب، وقد استعان به المؤلف فيما كتب، وأذكر أني كتبت عنه بحثا ضافيا في المجلة العربية، لأن ابن مسكويه أبلغ من سار في هذا الطريق الشائك، وكأنَّ المؤلف شاء أن يرفِّه عن قارئه في هذا المجال الضيق فكتب فصلا تحت عنوان (الحب والموت) معترفا بأن الحب كالموت كلاهما غامض لا يدرك مرماهما الدقيق، وغاية التعريف بهما تقف عند الأعراض والأسباب دون أن تنتقل إلى الجوهر الخالص مما يجعل القارئ لا يرسو على صخرة ذات صلابة واستقرار، ثم أخذ يوجز قصصاً للحب قد انتهت بالموت مع ما قيل فيها من الشعر، والقصص المشار إليها مذكورة في كتب التراث ولكنه ساقها مساقاً جديداً، وحين تحدث عن المعاصرين ممن اختارهم في ساعتهم الأخيرة بدأ بالخديوي إسماعيل، وكان الكاتب مؤثراً مشجيا لا فيما ذكره عن ساعاته الأخيرة فحسب بل فيما ذكره عن ساعة خلعه من العرش، وهي ساعة عسيرة تشبه ساعة الموت في روعتها وعاقبتها، بل هي في صميمها موت آخر. وقد صَوَّره الكاتب وهو يقرأ خطاب السلطان الخاص بخلعه، وقد أمسك بالكتاب في اضطراب، ثم قرأه وطرحه، وعاد إليه مرات ومرات، ورماه أخيرا فوق كرسيِّ العرش، متذكراً أنه كان قبل لحظات يجلس على هذا الكرسي في أبهة بالغة، وحواليه من أنواع النعيم ما لم يحلم به أحد من قبل، فلا مجالس الرشيد، ولا

المريض على السرير الأبيض يختلي بنفسه، ويتذكر كلّ شئ.. إنها فرصة للمراجعة والإنابة..

أبهة كسرى بلغت مبلغ ما أحاط به نفسه من مظاهر الأبهة والجلال، وقد حاول أن يستمسك ولكنه لم يستطع لأنه بشر، وهكذا تتوالى الفصول فصلاً فصلاً..

والكتاب بعد ذلك متنوع الأهداف حتى ليصعب على القارئ أن يميل به إلى ضرب واحدٍ من ضروب الفنون، فللقارئ أن يحسبه كتاب أدب، أو أن يدرجه في مصنفات التاريخ أو أن يميل به إلى كتب الأخلاق، وهو في كل ذلك مصيب، لأنه جمع هذه الشجون المختلفة جمعاً واضحاً لا مشقة في تناول حقائقه بل اليسر كل اليسر.

فإذا نظرنا إلى الناحية الأدبية فإننا نعجب حين نرى الكاتب يعمد إلى محاكاة كل أديب يتحدث عنه، فهو في حديثه عن حافظ إبراهيم يتقمص اتجاهه حين عاش في جوه وتملأ من سيرته، وأتى بما يكشف عن فكاهته وسلاسته، وأوقف القارئ على خصائصه الفكرية ومنحاه الأدبي، وتلك مقدرة لا تنكر، لأن المؤلف قد يتعرض لأديبين يختلفان منحى وطريقة، فيتحدث عن كل أديب بلغته وأسلوبه، وقد يكون أحدهما نهراً يسيل، والآخر طودا يجثم، ومع ذلك فالكاتب المبين قدير على أن يجمع بين الشتيتين، ويؤلف بين النقيضين

يتحدث الطناحى مثلاً عن مصطفى لطفي المنفلوطي، وهو صاحب السلاسة الممتعة، والعذوبة الشفافة، والانطلاق الحر، فيقول مصورا يوم وفاته وقد صادف هذا اليوم الاعتداء على الزعيم الخالد سعد زغلول فشُغِل الناس بالخطب في الزعيم عن تشييع الراحل الكبير مما عبر عنه شوقي في مفتتح رثائه للمنفلوطي حين قال:

اخـتـــرت يوم الهـــول يوم وداع
ونعاك في عصف الرياح الناعي
هتف النعاة ضُحى فأوصد دونهم
جـرح الرئيس منافـذ الأسـمـاع

يقول الطناحى بهذا الصدد مقلدا أسلوب المنفلوطي في بيانه الشهير (لكأن هذه الحمائم الساجعة في رياضـهـا وهذه الأزاهر البـاسـمـة في أفنانها، وهذه الآرام الراتقة في فيافيها، وهذا النسيم المختال في خطراته، المدل بلثماته، وقد سمعت بموته، وتحطيم فيثارتـه، فوجمت الحمائم، وردت الأزاهر، واعـتـقلت الفجيعة فيه الآرام فسقطت شجية بخطبه يوم شغل الناس عنه بإصابة سعد، فنسوا كل شئ حتى هذا الخطب الجسيم، فـحملت الهول عنهم تلك الطيور الوفية التي طالما ناجاها، وتلك الأزهار الندية التي طالما استوحاها، وتلك الظباء الرشيقة الآسرة التي تحاكي أسلوبه ورشاقته وسحره وأثره في القلوب

ويقـول الطناحى عن الشيخ علي يوسف مـصطنعـاً أسلوبه في صحيفة المؤيد، حين تخيل الكاتب محادثة بينه وبين صـاحب الأمـر في البـلاد، إذ حـدثه عن اعتزاله الصحافة لأنه مريض قدين، فقال الطناحي مصورا ذلك وكأن الشيخ هو الذي يقول:

"نعم يا مولاي، لقد خدمت بلادي نحو ربع قرن ذائداً عنها، مدافعا عن حقوقها، مجاهداً في سبيل الإسلام والمسلمين، حـتى فـقـدت المال وهو عـمـاد الحـيـاة، وأضعت الصحة وهي تاج السعادة، وانتابني مرض القلب فـحـرمني كل راحـة، وأضـعـف مني كل أمل، وكنت أشعر بأن لي قلباً يحملني إلى المجد، فصرت أشعـر بأن أحمل قلباً يسوقني إلى الموت، وما أظن إلا أني خـافق بين خـفـقـاته، وراحل في صدفـة من صدفاته "

والشيخ علي يوسف من بين أرباب السـيـاسـة والقلم في مصر قد حُرِم من يكتب عنه بعد رحيله بإفاضة وإشباع، إذ كان زعيماً سياسيا لا يقل عن زعماء عصره الكبار، وكاتباً أديباً يذكر في طليعة الأدباء، ورجل له هذا المجد في ناحيتين هامتين همـا الأدب والسياسة كان جديرا أن تصدر عنه المؤلفات المختلفة كما صدرت متحدثه عمن هم دونه، ولكن الأقلام التي نشأت في كنفه قد عقته ولعل ذلك لخصومة سياسية كـانت بين المؤيد جـريدة علي يوسف واللواء جـريدة الزعيم مـصطفى كامل، فـعمل أشـيـاع الزعيم على إطفـاء آثاره، مع أن الشـيـخ علي يوسف قـد ودع مـصطفى وداعاً حـاراً نقله الأسـتـاذ الطناحى فكان مما قال

"أيها الصـديق القديم، أرسل لك تحـيـة الحـزين من سويداء قلبه إلى أعماق قبرك، ذاكراً لك تلك السنين الثماني عشرة التي قضيناها معاً في خدمة الوطن، على مـا تخلل صلاتنا من جفاء، إذ كنا متناظرين، أقرب منا إلى أنفسنا متناصرين، لا تحفل إلا بما أكـتـب، ولا اهتم إلا بما تقـــول، ولكن الصـــلات الشخصية كثيرا ما يعتريها بين الأخوين من الأبوين، فضلاً عن الصديقين فلول ثم تزول"

فـإذا تحـدث الطناحى عن السـيـد توفـيق البكري صـاحب السـجـعات المنمقة، والفواصل المنسقة، والغرابة والسلاسة مـعـاً، والاصطياد لأوابد اللغة وشواردها، إذا تحدث عنه حاكَى أسلوبه فقال (يا ما أحلى الوحدة والريف، وذلك المشتى والمصيف، والجو السـجـح والظل الوريف، مـالي وللناس، ولأمـيـرهم العباس، وقد مارستهم أشد مراس فلقيت منهم الغدر والياس!!" وتدور فـصـول الكتـاب على نحـو من ذلك، فـيـخرج قـارئه، وقد ألم بخصائص كل أديب وتابع التطور العقلي والأسلوبي لدى الكاتب فأغناه ذلك عن قول النقاد

هذا من الناحـيـة الأدبية، أما الناحـيـة السـيـاسـيـة فالكتاب سجلٌ لأحداث معاصرة، وشخصيات مؤثرة فـعـالة، إذ أن قـارئ سـيـرة الخديوي إسـمـاعـيل

والخديوي توفيق والسلطان حسين والملك فؤاد ومصطفى كامل ومحمد عبده وعلي يوسف وتوفيق البكري سيلمّ بالأدوار السياسية لهؤلاء، ويعرف كيف أدى كل منهم واجبه على النحو الذي اختاره. كما يعرف تيارات متعارضة هبت على مصر، فسار كل سياسي في الاتجاه الذي يراه موصلاً إلى أهدافه وفي هؤلاء السابقين من قاوموا الطغيان السياسي والاستعمار الأجنبي والإقطاعي مقاومة تكشفت عن غنائم حافلة للإنسانية، وسعادة شاملة للوطن العزيز

ويجيء الحديث عن الفائدة الخلقية لهذا الكتاب ليجدها القارئ أكبر من أن تحد، لأن اختيار الكاتب أبطاله الأفذاذ، من عمالقة الأحرار، قد ضرب المثل الأعلى للرجولة والكرامة في مواقف صريحة بشجاعتها النادرة، تلك الصراحة الباهرة التي تغني عن كل تعقيب.

من هذه المواقف ما ذكر المؤلف عن الأستاذ الإمام محمد عبده حيث قال:

نشب النزاع بين الخديوي عباس والأستاذ الإمام في السنوات الأخيرة من حياته، وقد بدأ أولا بوشاية الواشين، ثم حدث أن خلت كُسوة التشريف العلمية بموت أحد كبار العلماء، فبعث الخديوي عباس إلى شيخ الأزهر السيد علي البيلاوي يُبَلّغه أمر سموه بمنح هذه الكسوة للشيخ محمد راشد مفتي المعبه، فلم ينفذ هذا الأمر، فلما اجتمع العلماء بالخديوي في التشريفات، قال الخديوي لشيخ الأزهر، ألم يصلك أمرى بإسناد الكسوة إلى الشيخ محمد راشد؟

فتلعثم شيخ الأزهر، ونهض بالجواب عنه الشيخ محمد عبده فقال ما قرره مجلس إدارة الأزهر إنما هو تنفيذ لأوامر أفندينا لأنه هو ما نص عليه القانون المتوج باسمكم، أما الأوامر الشفوية فلا يستطيع المجلس أن يعتمد عليها، فإذا أراد أفندينا أن تكون كساوى العلماء بمقتضى إرادته الشخصية، فليصدر بذلك قانوناً آخر ينسخ هذا القانون، أو مادة قانونية نصها "كساوى

الكتاب وضع بين يدي القارئ نماذج بشرية منها نعتبر..

العلماء تمنح بأمر منا" تلك إحدى البطولات التي رصدها الكتاب، وفي سير تولستوى ومصطفى كامل وإسماعيل صبري ضروب من الشجاعة الأدبية، لا ينكر رصيدها الخلقي في خزائن الرجولة والمواجهة وهي مناط للقدوة المبتغاه!

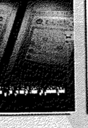
أما العزاء النفسي فقد وجدتُ نافذته المريحة في خلال هذا السفر، فأنت تقرأ مثلا موضوع لماذا نخاف الموت، وقد أشرت إليه من قبل فتلمس ما قد يريحك، ثم تجد في غضون الكتاب ما يؤكد هذا المعنى ويقويّه، فمحمد صلى الله عليه وسلم يسمع ابنته فاطمة تصرخ في احتضاره قائلة: واكرباه! فينتبه من إغمائه، وينظر إليها، ثم يقول بصوت خافت: لا كرب على أبيك منذ اليوم! ويرى المسلمين يتأوهون لمرضه، فيتحامل على نفسه، ويصعد على المنبر قائلاً: أيها الناس إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله!

هذا عن النبي الكريم، أما الشاعر الكبير إسماعيل صبري فيقول:

مقابرُ من ماتوا منازل راحة
فلا تك إثر الهالكين جزوعا
وإن تبكِ ميْتاً ضمّه القبر فادّخر
لميتٍ على قيد الحياة دموعا

ويقول فكتور هوجو "لو لم أكن أومن بالروح لما استطعت أن أعيش ساعة واحدة" وأقوال أخرى لإدجار الن بو الأديب الأمريكي وغيره، بل في الكتاب أقوال أثرية وجدت على التماثيل قبل أن يُنشَأ الورق، وفيها عبرة لمن يعتبر! وإن كتابا يقدم ذلك كله في نسق مطرد أنيق لجدير أن يعاود القارئ قراءته ليتثقف ويقتدي وينشد العزاء.



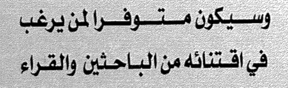






ترقبوا

كشاف المنهل الشامل

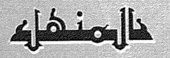
على (CD)






وسيكون متوفرا لمن يرغب

في اقتنائه من الباحثين والقراء



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

مع تحيات .. دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي (جدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥

هاتف: ٦٤٣٢١٢٤ - فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

البريد الإلكتروني: E-mail: info@al-manhalmagazine.com

عنوان الموقع: WWW. al-manhalmagazine.com

عواقب السكوت عن خادمات البيوت!

- حدثنا ابن ماما(١) قال:
ما نُقش في ذاكرتي يوم من أيام صباي الآنائق، ولا طلعت الشمس على أجمل من ذلك اليوم الذي شهد نزول كوكبة من الأعيان ببلدتي أصبهان، فخرجت البلدة كلها مرحبة مزغردة، وكنا ساعتئذ في الكُتّاب، فتركنا الشيخَ عند الباب، وشمرنا عن سيقاننا، وعدونا حتى وافيناهم في ساحة الجامع الكبير، فإذا خيام قد نُصبت، وإذا أسرة قد وضعت، وإذا نفر من الضيوف قد لبسوا البياض، وتعمموا بعمائم كأنها الياسمين والأقحوان، وعلى صدورهم آلات تتدلى!





د. أحمد عطية السعودي

الأردن

فلما سألنا عن خبرهم وخطبهم قيل لنا: إنهم أطباء قدموا من حلب الشهباء، يعالجون الناس لوجه الله، ويجوبون الأمصار بهذا المشفى المتنقل السَّيار!

فتوافد الناس عليهم، وجعل الأطباء يُفرغون وسعَهم في تشخيص الأدواء، وصرف الدواء، وإرشاد المرضى إلى أساليب التوقّي والنَّجَاء، فإذا عالجوا صبياً من صبيان الكتاب عرضوه على عميدهم كُشاجم الرَّمليّ،(٢) فيسأله ويمتحنه، فإذا آنس منه النباهة والنجابة حملوه معهم إلى حلب، وعلموه الطب والأدب!

ولما فرغ من معالجتي أحالني إلى خيمة أبي الفتح كُشاجم الرَّمليّ، فإذا شيخ شديد بياض الشعر، شديد بياض الثياب، متربع على أريكة، وبين يديه أوراق وأقلام، فابتدأتُ بتحية الإسلام، وقد ارتفعت رئتاي إلى حلقي من هيبته، فحياني وأدناني، ومسح شعري، وأعطاني قطعة حلوى، ثم قال: يا صبي هل سكتَ وجيبُ قلبك، وسكنَ ثائر أعصابك؟

قلت: أي والله لا أسكتَ الله لك حساً!(٣)

أراك فتخفق أعصابُ قلبي
وتهتزُ مثلَ اهتزاز الوتَر!(٤)

قال: أتعرف الآية الكريمة التي اشتملت على حروف الهجاء جميعها؟

فأطرقت ولم يُفتح عليَّ بشيء، وارتسمت على وجهي ابتسامة *الشّفق الغارب*!

قال: أرأيت المعدة التي تهضم الطعام، لم لا تهضم نفسها، وتأكل بعضها؟!

والنَّار تأكلُ بعضَها
إن لم تجدْ ما تأكلُه!

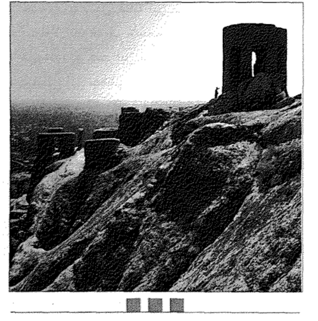
قلت:ها ها لا أدري! يا حسرة على بدني، ألتهم الأطعمة، ولا أعرف كيف تعمل معدتي!

قال: أتعرف الصحابي الذي توفاه الله سنة مائة من الهجرة المباركة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، فكان آخر صحابيّ وفاةً على وجه الأرض؟!

قلت: لا أعرف يا أبا الفتح، فذاكرتي مثقوبة، وأقراصها المدمجة معطوبة!

قال: أعندك علم بما يعني القائل:

عينان عينان لا ترقى دموعهُما
في كل عينٍ من العينين نُونان
نونان نونان لم يخطُطْهما قلم
في كلَ نون من النُّونين عينان؟!



عندما يُعهَدُ بالصبي إلى المعلم يبدأ بالأخلاق والسلوك..

قلت: لا علم لي إلا بعين الخليل الفراهيدي التي نَشْرَبُ بها في الكُتَّاب!

قال: لو أن إنساناً صعد إلى سطح القمر، ثم نظر إلي الأرض، فكيف تبدو له ليلاً؟ وكيف تبدو نهاراً؟ حلِّق يا صَبيّ، وتخيَّل!

قلت: ما أعرف شيئاً يشبه القمر إلا الرغيف المدور، وما أدري كيف تُرى الأرض من أجرام السماء؟! أتُرى صغيرة كحبة العدس في القدر الكبيرة، أم ترى ملقاة كخاتم في فلاة؟!

قال: مات رجل، وترك ستمائة درهم، ولم تنل أخته من تركته إلا درهماً واحداً، فكيف كان الظَّرف في توزيع التركة؟

قلت: ها ها لا أدري! وما أحسب أنَّ أحداً يستطيع أن يفتيك إلا الإمام الشافعي!

فلما أفرغ ما في كنانته ووجدني غير عليم، استحالتْ مسرّته، وتجهمتْ أسرّته، وقال: لا دريتَ ولا تليتَ، كأنك خرِّيجُ خادمة سيرلانكية لا تُحسن شيئاً! ولولا فصاحة لسانك لطردتُك!

قلت: حسبك يا رجل، فأنا ابن ماما، ولست خريج خادمة، ولولا أنك ضيف لأسمعتُك..!

قال: هيهات، لو كنت ابن ماما لأجبت عن أسئلتي، ورددت نبالي إلى جعبتي!

قلت: أرفق بجرمي وعقلي، فأنا صغير، وأسئلتك جد صعبة، تمتحنني في حقول المعرفة،وتغلظ علي غلظة "بينوشيه"،(٥) وكأنني ابن كل شيء، وكأنما تريد أن أتبوأ مقعد الأمين العام للأمم المتحدة، وأنافس كوفي عنان،(٦) أو كما تقول جدتي: "كوفيّ" عنان على ما بدر منه وكان في تأييد الظلم في كل مكان! ولو امتحنت بأسئلتك طائفة من دكاترة آخر الزمان لما حاروا جواباً!

ثم صرختُ في وجهه: أنا ابن ماما وقلاع الثنايا متى أضع الطَّربوشَ تعرفوني!

فضحك كُشاجم الرملي حتى اختلجت كتفاه، ثم قال: يا بُنيَّ، ابن ماما من يرضَعِ العلم والأدب رضاعة طبيعية، وليس من يقرأ "ماما، بابا" على نهج الخواجا والخواجية حتى إذا تخرج في المدرسة، وبلغ عشرين سنة تصدر للرياسة، وهو لا يحسن كتابة اسمه! ولتعلم أن من ينشأ في أحضان الخادمات فلن يجني غير العيّ وإضاعة الأوقات!

من ينشأ في أحضان الخادمات فلن يجني غير العيِّ وإضاعة الأوقات!

قلت: يا عميد الأطباء قد شهدت للساني بالفصاحة، ولجناني بالثبات، وأنا أبوء بجهلي، وأقر بإخفاقي في امتحانك، فأرجو أن تسامحني، وتجعلني ممن يحظون بصحبتك!

قال: لا تثريب عليك، وسل ما بدا لك، وستلقى ما يسرك!

قلت: قد فهمت من كلامك أن أحضان الخادمات كالأرض المحروقة، والتربة الموبوءة، فما بلغ من خطرهن على الناشئة؟

قال: عصارة القول في خطرهن أنهن يخدشن الأذواق، ويفتن الأزواج بالأحداق، ويسرقن الذهب والأطباق، ويعلمن فساد الاعتقاد، فمنهن من تُعلِّم الصغار الصلاة لبوذا وعبادة النار، ومنهن من تُعلِّم لغة العجم، فيرطن ناشئها كما ترطُن، ويلوك لسانه كما تلوك، ويشتهي من الطعام ما تشتهي، والعجب أنَّ خرِّيجهنَّ إذا جالس أصحابه فليس لهم منه إلا فَمُه الذي ينفخ ويعظم ويهول بأرسطو، ودستويفسكي، وسارتر، وهوشي منه، وماركيز، وبيتهوفن؟(٧) وليس لهم منه إلا أذناه اللتان لا تكتمانهم خبراً، ولا تطويان دونهم سراً!

قلت: فأين أمهاتُ الصغار؟

قال: أرسلهُنَّ الأغيار يرتعن في الأسواق والصالونات، ويلعبن في الأندية والمهرجانات، وأسندوا إلى الخادمات تربية البنين والبنات، وفتحوا لجلبهن عشرات المكاتب والمحال،ولله درّ القائل:



وينشأ ناشئ الفتيان منّا

على ما كان عَوَّدَهُ أبوه!

فكيف إذا نشأ على ما عودته الخادمة الصادمة الشاتمة الساخطة اللاطمة؟!

قلت: ولكننا سمعنا في الكُتّاب أن من أصحابك الشعراء من اتخذ له خادمة تلاحنُه أرقَّ اللِّحان، وتسمعه ضروب الألحان كبشار بن برد وجاريته راعية الدجاج:

ربابةُ ربّةُ البيت

تصبُّ الخلَّ في الزَّيت

لها عشر دجاجات

وديك حسَنُ الصَّوت!(٨)

قال: لا يحتج العقلاء بشيء من عمل بشار، ماعدا لغتَه الرصينة الموزونة، ولولا أنه قضى شطراً من عمره في عصر بني أمية لما احتجَّ النحاة بشيء من شعره! ولقد وهّنتْ جاريتُه كلماته الآنفة حتى بدت مبتذلة خافتة العاطفة!

قلت: أراك تشتط وتتعصب إذ تحمل على الجواري والخادمات، وكأنهن أساس البلاء، وبيت الداء، ولم يبق إلا أن تعزو إليهنَّ هزائم العرب، وجرائم الصرب!

قال: يا بُني لا أشتط ولا أتعصب، كيف وقد اشتعل شيبي، وذو الشيب يلعب؟! فو الله ما أشاع اللحن في لغة العرب إلا ألسنتهن، وما خدر النفوس بالطرب إلا أعوادُهن، وما هيّج أفئدة الوامقين إلا قُدودُهن، وما أشاع الفتنة وأسال الدماء إلا مكْرُهن، وهل أتاك نبأ شجرة الدُّر؟!

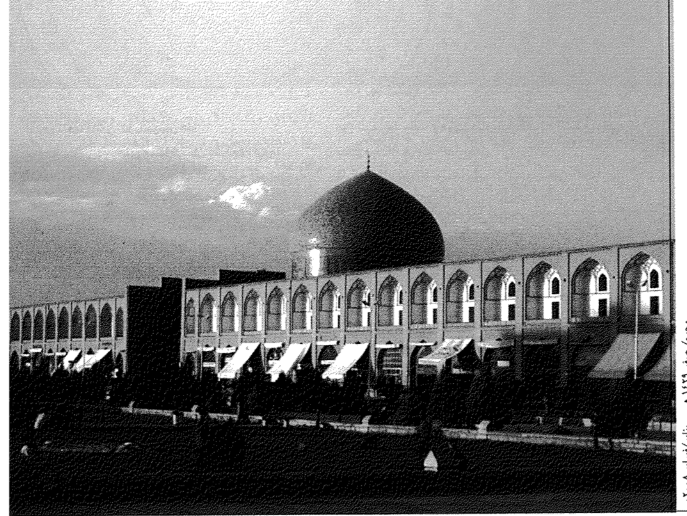
قلت: وما شأن شجرة الدّر هذه؟!

قال: كانت شجرةُ الدر جارية من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، فراقه جمالها، وحسن

تدبيرها، فأعتقها وتزوجها، فلما مات كتمت خبر موته، وتولت الحكم بعده، ولما علم الخليفة بإمارتها سخط عليها، وأرسل كتاباً ساخراً إلى أهل مصر: "إنْ عَدِمتم الرجال فأخبرونا حتى نُسيِّر إليكم رجلاً"! فاضطرت شجرة الدر إلى خلع نفسها، والتزوج بوزيرها عز الدين أيبك، لتظل متحكمة بالسلطة والسلطان، ومازالت به حتى طلق زوجته الأولى، ثم تآمرت عليه لما علمت أنه سيخطب أميرة موصلية، فأمرت مماليكها فقتلوه خنقاً في الحمام! فما هي إلا سويعات حتى قبض عليها ابنه، وأسلمها إلى أمه التي أمرت جواريها أن يقتلنها بالقباقيب والنِّعال!(٩)

قلت:بئست الفعال، فكما تدين تُدان! والحق يا أبا الفتح، أني أفدتُ من علمك وأمثلتك وأسئلتك، فأوصني، فالوصية أغلى ما يباع ويوهبُ!

فقال: يا بن ماما، إياك إذا كبرت أن تجعل في بيتك خادمة خادعة، فإن خادمات البيوت أشد على الرجال من الإصبع على الريموت، فقد ضربت عليهن العنكبوت بنسجها، فغدونَ أشباها لها في وهن خيوطها وخراب بيتها! واعلم أنك لست جرماً صغيراً بل "أنت وحدك الحق في العالم كله، وما عداك سراب خادع، ووهم باطل".(١٠) ولا تنِ إذا كبرت حتى تأتينا في حلب؛ لتتعلم في بلاط سيف الدولة (١١) كيف تكون سيفاً للأمة يُسَلُّ من أغماد الأمهات الحرائر، ولا يُسَلُّ من أغماد خادمات بوذا، أو خادمات الموضة! ولتتعلم يا بني، كيف تكون نمراً من نمور الفاتحين، وليس نمراً من "نمور



التـــربية أمـــانــة .. والأمــــانـــــة لا يــؤديــهـــــــا إلا مــــــــؤْتمـن..

والتـامـيل"،(١٢) أو بوقـاً من أبواق الناعـقين، أو طبـلاً في الطابور الخـامس طابور العـمـلاء والمنافقين: إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بُوقاتٌ لها وطبول!(١٣)

قـال ابن مـامـا: ثم وَدَّعَت البلدة وفـد الأطبـاء بالدموع الغزار، ورسمنا الهلال على خيام المشفى السيّار، وسرنا نشيعهم ساعة من النهار.. وامتلأت نفسي همة فأكببت على طلب العلم، ودراسة تاريخ الأمم، ثم رحلتُ بعد سنين إلى بلاط سيف الدولة، فـالتـقيت بـأبي الفـتح كُشـاجم الرملي، وقـد هرم وشـاخ، فسـألني عمـا أوصـاني، فألقيت بين يديه بحثاً محكَّماً في علم الاجتماع كتبتُ عليه إهداء إليه، فأخرج نظارته، وقرأ بصوت مُتهدِّج: عواقب السكوت عن خادمات البيوت!

الهوامش:

(١) ابن مـامـا: أحمد بن محمد بن أحيد بن مـامـا الأصـبـهـاني، أبو حـامـد، مؤرخ جليل، من حـفـاظ الحديث، من أهل أصبهان. ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م.

أصـبـهـان: مـدينة مـشـهـورة في إيران، صـحـيـحـة الهواء، قليلة الأسقام. ومن نسب إلى أصبهان من العلماء لا يحصون، منهم: الحافظ الإمام أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله صاحب حلية الأولياء. (ت ٣٤٠هـ).

(٢) كُشـاجم الرملي: أبو الفـتح، مـحـمـود بن الحسين، من الرملة بفلسطين، شاعر من شعراء سيف الدولة، ولفظ كشاجم منحوت من علوم كان يتـقنهـا: الكاف للكتـابة، والشين للشـعـر، والألف للإنشـاء، والجـيم للجـدل، والميم للمنطق، وتعلم الطب فزيد في لقبه طاء، فقيل: طكشاجم، ولم يشتهر به! ت ٣٦٠هـ.

(٣) لا أسكت الله لك حسـاً: دعـاء له بالحـيـاة والبقاء.

(٤) البيت لأبي القاسم الشـابي: شـاعر تونسي (ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م).

(٥) بينوشيـه: أغوسـتو بينوشيـه: حـاكم ظالم، دكتـاتور مستـبد، حكم بلده تشيلي (في أمـريكا الجنوبية) بالحديد والنار سبع عشرة سنة.

(٦) كـوفي عنان: سيـاسي إفـريقي، وهـو الأمين العام السابق للأمم المتحدة.

(٧) هؤلاء أعـلام من الشـرق والغـرب يفـخـر بهم المضـبـوعـون في العـالـم العـربي، ويوالونهم ويحبونهم!

(٨) البيتان لبشار بن برد (شاعر مخضرم من أصل فارسي، نشأ في البصرة، وكان أعمى، حاد الذكـاء، مـتقلب المزاج. قـيل قـتل بالزندقـة سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م).

(٩) ما ورد عن شجرة الدر آنفاً حقيقة تاريخية، وقـد حكمت ثمـانين يومـاً وقـتلت سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م.

(١٠) من كلام مـحـمـد إقبـال شـاعر باكسـتـان مـخـاطبـاً كل مـسلم في العـالـم. (ت ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

(١١) سيف الدولة: علي بن حمدان، قائد، شاعر، جواد، اجتمع في بلاطه كبار الأدباء كالمتنبي، وأبي فـراس، والسري الرفاء، وكشاجم الرملي، وابن نباتة السعدي، والفارابي، وابن خالويه. ت ٣٥٦هـ.

(١٢) نمور التـاميل: جـمـاعـة بوذية سـريلانكيـة متمردة قتلت آلاف المسلمين في قراهم القريبة من مناطق القتال.

(١٣) البيت لأبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ).

السرطان..
الجانب النفسي المثير للجدل

السرطان... جسدي أم نفسي؟..
التنافس على أشده بين الأطباء والأطباء النفسيين.. ويحاول بعضهم مع ذلك مقاربة المرض بشكل شامل للتوصل إلى نتائج يصعب تقديرها
الدراسة المنشورة عام (١٩٨٩) أحدثت ضجة كبيرة بين المتخصصين بالسرطان، والذي أجرى تلك الدراسة هو طبيب النفس الأمريكي "دافيد سبيجل" مبرزاً فيها أن النساء المصابات بسرطان الثدي القابل للانتشار في الجسم يعشن - في المتوسط - خمسة عشر شهراً - والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى - أكثر عندما يخضعن للطب النفساني ضمن مجموعة. وأجريت أعمال منذ ذلك الحين، أسفرت عن دراسات لَطَّفت إلى حد كبير من النتائج السابقة.

يقولون.. المرء طبيب نفسه..



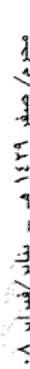
محمد ياسر منصور

-سوريا-

وما يهمنا، هو أن فكرة قديمة ظهرت ثانية إلى الوجود وهي أن العقلية تؤدي دوراً حاسماً في تطور السرطانات، بل وفي ظهورها لدى بعض الناس، وتؤكد الطبيبة النفسانية "سيلفي دولبولت"، المسؤولة عن الوحدة النفسية – السرطانية في معهد كوري بباريس: "بين المرضى الذين يأتون لاستشارتنا هناك نحو ٨ من أصل ١٠ يسعون إلى فهم سبب الأحداث المارة في حياتهم، جرّاء طلاقهم أو فقد أب أو زوج.. والتي كانت السبب في إصابتهم بالسرطان".

إن هذه الرؤية للسرطان، بوصفة نتيجة لمعاناة نفسية غامضة، هي ما يعتقده الأطباء النفسانيون منذ زمن طويل. والمرض قد يكون ترجمة ظاهرة لما عاناه الجسد من نزاعات عميقة مخفيَّة في اللاشعور. ويقول الطبيب النفساني في باريس "جان- إيف جيزكل": "في السرطانات، نجد لدى جميع الأشخاص الذين يعانون مثل ذلك المرض، المشاكل النفسية العميقة نفسها"، والتي نجد أنها اختلال في *الرَّغبة*. فالشخص، وبشكل لا شعوري، لا يحس بحقه في امتلاك رغبته الخاصة التي تتوافر لدى غيره، وبهذا يُحرِم على نفسه إذاً امتلاك حياته الخاصة، أي أنه يزهد في الحياة والوجود ولا يتعلَّق بهما". يؤكد الطبيب النفساني "جان- إيف جيزكل"، الذي لاينفي ضرورة وجود العوامل المحيطة بالمرء أو الوراثية لظهور الورم فعلاً فيقول "أمراض السرطان هي تماماً لغة الجسد. إنها الخلية التي تبوح بمتطلباتها اللاشعورية لدى الشخص؛ (أنا أريد العيش ولا أريد أن أموت) هذا ما تقوله الخلية السرطانية لكونها باقية لا تموت". لكن الطبيب جان يؤكد على ما يبدو له حقيقة واضحة: فالعوامل النفسية





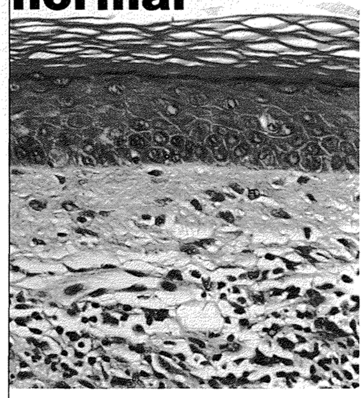
وحدها، المرتبطة بالتاريخ الشخصي للفرد، تتيح معرفة سبب انتشار السرطان لدى أحد الأفراد دون غيره في عائلة واحدة يعيش أفرادها في البيئة نفسها والظروف ذاتها. ومن هنا كان من المفيد للمرضى القيام بعمل تحليلي نفسي لإكمال العلاجات الطبية "التقليدية"، وعلى الطبيب النفساني أن يسأله عن شخصيته، وأن يستثيره لكي يعرف انفعالاته والنزاعات النفسية التي قد تكون سبب السرطان لديه. لأنه، إن صدق الطبيب النفساني، فإن تلك الاستثارة تثير المجهول على الرغم من كونها مؤلمة.

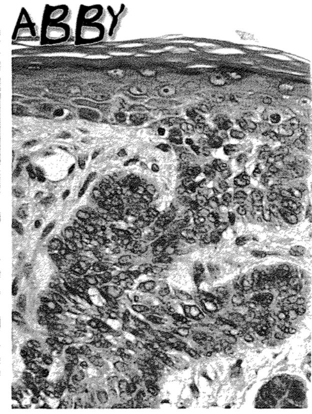
طبيب الجسم وطبيب النفس لا يتفقان

تُجرى محاولات منذ العام (١٩٩٤م) لإثبات دور الطب النفسي، ولاقت هذه المحاولات تحفظات شديدة، لكن انتهى بها المطاف إلى الإقناع بدور الطب النفسي، وبعد بضعة أشهر من المعالجة النفسية اختفت انتكاسات المرض لدى المرضى، فلماذا؟. يُحلِّل "جان- إيف جيزكل" ذلك بقوله "لأن اللاشعور لدى المريض يضع نصب عينيه ما يجب عليه أن يراه. وهو أنه يعيش متعلقاً كلياً بالآخر ومن أجله. وهذا الآخر هو زوجه خاصةً. لكن عندما نتوسع ونتعمق نرى كيف تتجذر تلك الفكرة في النفوس". كما يحلل جان- إيف جيزكل ذلك اللاشعور، من خلال تذكّره حالة أكثر اضطرابا سبق وعالجها. وهي حالة سيدة اتبعت تحليلاً نفسياً طويل الأمد. وترجع قصة حالتها إلى طفولتها البعيدة جداً، والتي استمرت وتطاولت معها طوال عمرها فيقول "كان لهذه الشخصية أخت صغيرة، وفي سن السنتين، احترق حوضها بوقوعها في إناء مملوء بماء يغلي. وقد احترق حوضها تماماً وكذلك يداها حتى المعصمين، وتوفيت بسبب ذلك. وعندما كانت تتصور بدن أختها، كانت تركز على حوضها ويديها؛ فكانت تشعر بالوهن وبآلام لا تطاق، وكان من المحال شفاؤها، كما لو أن جسمها كان يقول لها: (أنت لا

الحالة النفسية القلقة للمريض تطيل مدة المعاناة عنده..

تريدين رؤية ذلك، ولكني سأجبرك على رؤيته). والسبب في ذلك طبعاً، هو إحساسها الشديد بالذنب جراء رغبتها؛ ذلك أن تلك الصغيرة استأثرت باهتمام والديها. فكانت هي تشعر بالغيرة عندئذ. وكانت تتمنى موت أختها الصغيرة. والحال أن الصغيرة ماتت فعلاً، فكان شعورها هي بالذنب شعوراً عظيماً، وشعرت باضطراب لا شعوري هام، ظهر لديها وبرز بشكل واضح". إزاء مثل تلك الحالات، يقف معظم الأطباء "التقليديين" موقف المتشكك، إن لم نقل أكثر. والبروفسور "دافيد كايات"، رئيس مصلحة أبحاث السرطان الطبية في مشفى "بيتييه- سالبوتيير"، يعترف بأنه لم يكن يناصب العداء لأي نظرية قد تخرج عن المألوف، لكنه يحرص على التذكير، في الحالة الراهنة للعلوم، بأن العنصر المفتاحي في اختلال الوظائف الجسمية بسبب السرطان- مهما كان نوعه- يبقى نتيجة تراكم الطفرات التي تصيب المورثات في الخلية وعجز تلك الخلية عن ترميم طفراتها أو تدميرها ذاتياً فيحدث السرطان. ويؤكد الطبيب كايات أنه: "استناداً إلى ذلك، نرى جيداً أنه من المحال تمكن بعض الظواهر ذات الطابع النفسي من التأثير في تنظيم أسس الرمز الوراثي. والباعث على التسرطن، هو هذه المرحلة الأولى من تراكم الطفرات، وهو ظاهرة بيولوجية كيماوية بالضرورة". وذلك أسلوب ملطف لدفع الأطباء النفسانيين إلى التطرف في اختصاصهم. وفي المقابل، يُسلِّم المختصون بالسرطان بأن الأمور أقل وضوحاً فيما يتعلق بمرحلة تكاثر الخلية التي تحدث فيها الطفرة: في حين أنه لدى بعض الأشخاص تنتشر الخلية بشكل سرطان، ولدى آخرين تظل في سبات سنوات





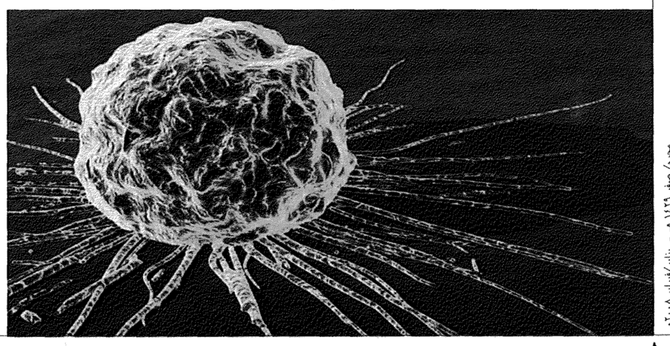
اضطراب وظائف أجهزة تنظيم المزاج تزيد من إفرازات المواد الكيماوية والعضوية

طويلة، ثم تستيقظ بعد ذلك وتتكاثر على الأرجح. ويتساءل دافيد كايات: "ما الذي سيحكم تلك العلاقات بين جسم الشخص المضيف والورم؟ إن ذلك غير معروف. ويمكن التصور أن المرء يمكنه التأثير في تلك العوامل ذات الطابع النفسي التي قد تتدخل على شكل إفرازات للمواد البيولوجية الكيماوية والعضوية، جراء الانفعالات أو اضطراب وظائف أجهزة تنظيم المزاج"، وربما كان ذلك هو الحال، لكن يجب تسليط الضوء عليه مع ذلك. لأن في الوقت الحاضر، ما من دراسة إحصائية تمكنت من تأكيد إمكان نمو سرطان على إثر حدث يحمل صدمة نفسية- كموت شريك العمر مثلاً- ويقول دافيد كايات: "هل هذه الحقيقة غير موجودة، أو أنها غير قابلة للإثبات؟. لا يمكن الإجابة على ذلك، غير أن الكثير من المختصين بالسرطان، وأنا منهم، لديهم انطباع مع ذلك بأن هناك تواتراً كبيراً في ظواهر مؤلمة جداً نفسياً تسود في السنوات الأخيرة كلها، التي تسبق ظهور السرطان". وهذا يعني أن الحالات النفسية المؤلمة وتتابعها قد يتبعها ظهور السرطان. ويشير دافيد كايات إلى ما يلي: "من المعروف أن الذكريات تكون أكثر وضوحاً لدى الأشخاص الذين يشعرون بأنهم مقبلون عل الموت"، وباختصار، قد لا تبقى هناك أحداث تُسبِّب الصدمة في حياة أولئك المرضى كما في حياة أي شخص سليم آخر، لكن قد تُولي لها أهمية كبرى.

أما الحروب الدائرة بين مختلف جماعات الأطباء المختصين بالسرطان والأطباء النفسانيين، فقد أسفرت عن اقتناع الأطباء المختصين بالسرطان بأنهم لا ينتظرون شيئاً حتماً من "أولئك المنظِّرين النفسانيين المنعزلين تماما عن عالم الطب، والذين أمضوا دراستهم دون أن يروا مريضاً قط". هناك عتب آخر، وهو أن الأطباء النفسانيين قد يرفضون الانضمام إلى الملاك الطبي أثناء المعالجة، مفضلين

العمل منفردين بناء على ما يرويه لهم المريض، وعما يشعر به، وبمعزل تام عن التواصل مع عمل الفريق الطبي. إنه اختلاف وتباعد بين الطرائق والمنطق واللغة العلاجية: فالأطباء سايروا الجسم وسايروا الروح ولم يتوصلوا بعد إلى الاتفاق والتفاهم فيما بينهم. وثمة تقارب جديد برز منذ التسعينيّات في فرنسا، وورد إليها في الأصل من البدان الأنكلو-سكسونية، وبوسع ذلك التقارب التوفيق بين هذين الاختصاصين: علم النفس والصحة البدنية.

ظل الشخصية: ما الهدف من ظل الشخصية؟ إنه التمكن بوساطة دراسات إحصائية دقيقة من عزل العوامل النفسية أو الاجتماعية التي بوسعها تأدية دور في ظهور الأمراض، وتسريع تطورها أو إبطائه. وتقوم الفكرة على الدراسة، بطريقة عملية جداً، لعدد كبير من الأشخاص وملاحظتهم وهم يقعون في المرض. أو يلاحظ تطور مرضهم إن كانوا مرضى آنفاً. وتحلل عندئذ مختلف المعايير المشتركة التي تجمع بينهم، أو على العكس، التي تميزهم عن بعضهم، ولا سيما شخصياتهم. إنه ذلك النوع من المقاربة الذي أتاح للباحثين في كلية الطب في لندن أن يعزلوا، منذ العام (١٩٧٩م)، الجانب النفسي المسمى اليوم الطراز سي- (، الذي قد يهيء للسرطان. ويفسر "ماريلو بروشون- شويتزر" وهو بروفسور في الصحة النفسية في جامعة "بوردو الثانية في فرنسا ذلك بقوله: "من فرط ملاحظة المرضى بالسرطان، لوحظ أن لدى هؤلاء المرضى أشياء مشتركة". كما وأن الباحثين لاحظوا أن معظم المرضى هم أشخاص لطفاء، ومتعاونون وهادئون وصبورون ولا يبدون أبداً عداوة تجاه الآخرين. وثبت أن المرضى من الطراز (سي) هم طواعية رابطو الجأش، وغالباً ما لديهم اعتقادات دينية، ويقول الطبيب النفساني: "إنهم يشكلون واجهة مقبولة ولطيفة لقاء مجهود رهيب يبذلونه. إنهم مكتئبون جداً، لكنهم لا يظهرون ذلك إطلاقاً. إنهم يتبعون آلية فيها إلغاء للانفعالات، رافضين الاعتراف بالمؤثرات السلبية وتحديد هويتها". ومع ذلك فمنذ سنوات عديدة، كان التقدم الملحوظ أكثر من غيره في تلك المتابعة لا ينجم من تحليل الشخصية العميقة للفرد، بل بالأحرى من طريقة رد فعله على حدث ضار يسبب صدمة، كالإخبار عن الإصابة بالسرطان. ما هي التصرفات الأفضل تكيفاً وتلاؤماً من أجل الشفاء؟. إن الصحة النفسية تجيب على هذا السؤال. وحتى لو كانت الدراسات

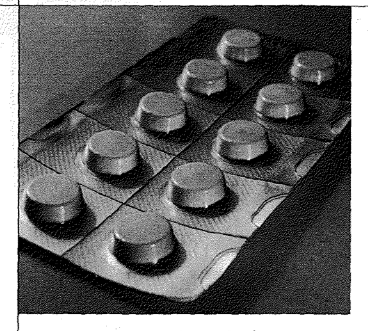


استقرار الصحة النفسية، استقرار طبيعي للصحة البدنية..

المنجزة ما زالت متناقضة، فإنها تتيح مع ذلك رسم بعض الدروب. ولا سيما أن شعور المريض بالسيطرة على حياته- والشعور بالتحكم في مرضه خصوصاً- يبدو وكأنه يؤدي دوراً له الأولوية. في حين أن بعض المرضى يعزون كل ما يحل بهم إلى عوامل داخلية تتمثل في عبارات (طراز حياتي، جهودي، كفاءاتي، إلخ..). وآخرون يعزون ذلك بانتظام إلى عوامل خارجية (سوء الحظ، الوراثة، الله، شخصيات قوية،إلخ...). ويؤكد ماريلو بروشون- شويتزر أن: "معظم الدراسات أظهرت أن السيطرة الداخلية تحمي وتشجع على تطور يناسب المرض. أما الأشخاص الذين لديهم سيطرة خارجية، فإنهم في المقابل، ذوو علاقة ضعيفة بالعلاج. ويعتقدون أن مرضهم متعلق بالمصادفة وأنهم لا يثقون بفاعلية العلاج".

التقيد بآلية الدفاع النفسي:

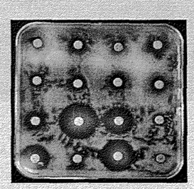
سيقع أولئك الأشخاص إذاً، بشكل أسهل، فيما يسميه أطباء الصحة النفسية العجز- اليأس، حيث يقول المريض في نفسه: "من غير المجدي أن أقاوم، ثم إنني سأموت في كل الأحوال". إنه وضع يثير الشك، ولا يتلاءم مع إرادة البقاء على قيد الحياة. وفي الولايات المتحدة يفضل الطبيب النفساني السلوك المغاير: وهو السلوك المتمثل في المريض- المحارب، الذي يحارب المرض ويواجهه بإرادة من حديد وبرغبة في الصراع حتى النهاية. إنها مسألة اختلاف في ثقافات الشعوب. والواقع، أنه ما من دراسة حتى الآن أثبتت وبشكل دقيق، أن مثل ذلك الموقف قد يطيل فعلاً حياة المريض. ويؤكد "سيلفي دولبول" من الوحدة النفسية- السرطانية في معهد



كوري بباريس أنه: "يوجد كثير من المرضى الذين كانوا يتمتعون بقدرة كبيرة على صراع المرض، ويتميزون بالشجاعة والبطولة لكنهم انهاروا تماماً في نهاية العلاج".

يفضل أطباء النفس الفرنسيون عموماً، التقيد بآلية الدفاع النفسي التي وضعها المريض ذاته بنفسه. ويشير الطبيب سيلفي دولبول إلى أن: "هناك مرضى يتعاملون جيداً جداً مع رفض المرض أو التستر عليه، وإبقائه بعيداً بضعة أشهر. وهذا كما لو أنهم يحمون أنفسهم من الغرق في الاكتئاب أو الانهيار" ولا يتدخل الطبيب سيلفي إلا عندما تفشل تلك الآلية، أو لمساعدة أولئك المرضى على حل المشاكل التي يطرحها المرض نفسه، سواء في حياتهم العائلية، أو مع الزوجة، أو الحياة المهنية. وآلية الدفاع النفسي، الواقعية والعملية جداً، تتبع تقنيات ذات هدف متواضع طواعية: وهو تكييف سلوك المريض ليتعايش مع مرضه على أفضل شكل ممكن. إن مثل تلك البرامج المتبعة في آلية الدفاع النفسي تجد آذاناً صاغية لدى معظم المسؤولين عن الخدمات الصحية على اختلافهم، أكثر مما كان عليه الحال مع المحللين النفسيين في الماضي. لكن في بعض المصحّات والدوائر الصحية، ما زالت هناك صعوبات ومعاناة في التنسيق بين طب البدن وطب الروح.

الكائنات المجهرية من حولنا



د. حذيفة أحمد الخراط - مصر

كما خلق الله تعالى كائنات حية نراها بعيننا المجردة، وهي تعيش من حولنا في هذا العالم الفسيح، فقد خلق تعالى أيضاً أحياء لم نكن لنعلم أي شيء عن عالمها الخاص، لولا اكتشاف المجهر البسيط الذي تلاه اكتشاف المجهر الإلكتروني، حيث كشف لنا الغطاء أخيراً، عن عالم كبير كان قبل ذلك في عداد المجهول، سنحاول خلال هذا العرض السريع إعطاء فكرة موجزة عن هذه الحياة العجيبة التي تأخذ مسارها، وأعيننا في غفلة عنها.

يمكن تقسيم الأحياء تقسيماً إجمالياً، إلى أربع مجموعات رئيسة، وتضم هذه المجموعات كلاً من:

١- الجراثيم (البكتريا) Bacteria

٢- الفيروسات Viruses

٣- الفطريات Fungi

٤- الأوالي Protozoa

ولكل مجموعة من هذه المجموعات عالمها الخاص، وصفاتها التي تميزها عن باقي المجموعات، بالرغم من وجود خواص معينة قد تجمع بينها، وسوف نبحث في كل مجموعة على حدة، ثم نحاول ربط المجموعات عبر جدول موحد.

أولاً.. الجراثيم (البكتريا):

تتبع البكتريا مملكة خاصة تعرف بمملكة الفرطيسات Protists، وهي كائنات حية خلوية ذات قطر تقريبي من ١-٥ ميكرومتر، ولها المقدرة على التكاثر عبر الانشطار الثنائي (أي أن كل خلية بكتيرية تنقسم إلى خليتين جديدتين، وهذه الخلية الجديدة تعطي خليتين أخريين وهكذا)، ومن الخواص الأخرى: أن نواة هذه الخلية Nucleus تحوي نوعين من الأحماض النووية Nucleic acid معاً وهما: حمضا د.ن.أ و ر.ن.أ D.n.aوR.N.A، كما أن البكتريا تتكاثر خارج خلايا جسم الكائن الحي المصاب، سواء كان إنساناً أو حيواناً، باستثناء أنواع نادرة جداً لا تتكاثر إلا داخل الخلايا.

وتفتقر الخلية البكتيرية، إلى بعض الأعضاء الصغيرة التي قد توجد في خلايا حية أخرى، وذلك مثل الميتوكوندريا Mitochondria وهي عضو صغير مسؤول عن إنتاج الطاقة داخل الخلية.

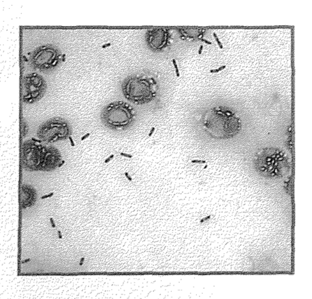
ولبعض الأنواع من البكتريا المقدرة على الحركة، وذلك بسبب امتلاكها لأعضاء حركة خاصة تسمى بالسياط Flagella، وللبكتريا أشكال وأحجام مختلفة ويمكن تصنيفها على هذا الأساس إلى ثلاث مجموعات تشتمل على:

١- المكورات Cocci.

٢- العصيات Bacilli.

٣- الملتويات Spirochetes.

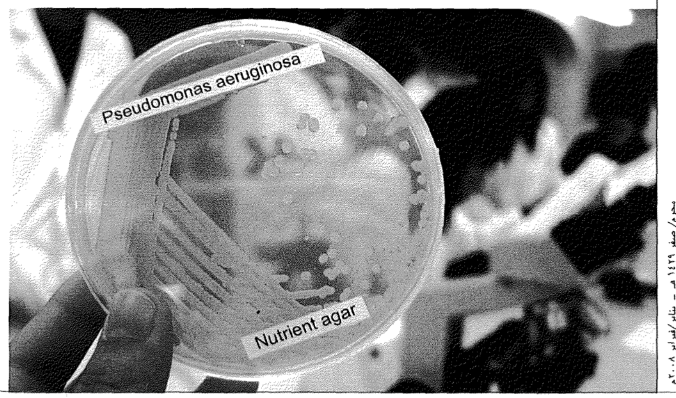
وبالنسبة للمجموعة الأولى (المكورات) فإن تسمية البكتريا المكورة، تعتمد على طريقة تجمعها وارتباطها، فمثلاً هناك المكورات العنقودية Staphylococci وتتجمع على شكل عناقيد، وهناك



المكورات المزدوجة Diplococci التي تتجمع بشكل ثنائي، وأخيراً هنالك ما يسمى بالمكورات العقدية Streptococci وتتميز بتجمعها على شكل العقد.
أما المجموعة الثانية (العصيات)، فلها أيضاً العديد من الأشكال، فهناك العصيات المغزلية، والملتوية، وذات النهاية المربعة، وذات النهاية المدورة.
وتكون الملتويات (المجموعة الثالثة) ذات التفاف خفيف أو شديد، وكل نوع منهما يكتسب شكلاً مميزاً عن الآخر.
ويعتبر تلوين البكتريا الإجراء الأكثر أهمية في علم البكتريا الذي كشف أسرارها، وقد اكتشف هذا الإجراء العالم الدانمركي: كريستيان جرام Christian Gram، وقد سميت هذه الطريقة باسمه تخليداً له، وطبقاً لهذه الطريقة فإن الجراثيم تقسم إلى:
١- بكتريا موجبة الجرام: وهي التي تتلون باللون الأزرق بعد صبغها بصبغة جرام.
٢- بكتريا سالبة الجرام: وهي التي لا تتأثر بصبغة جرام، وتبقى عديمة اللون، إلى أن تتلون بلون أحمر بعد صبغها بصبغة أخرى تسمى (سافرانين).

بعض الجراثيم في جسم الإنسان لا تسـبب لـه ضـرراً ..

وهناك الكثير من البكتريا التي تعيش في جسم الإنسان معيشة سلمية، أي أنها لا تسبب له أي ضرر وتسمى هذه الجراثيم بالفلورا الطبيعية Normal flora وتوجد على سطح الجلد، وداخل الأنف، والفم، والأمعاء الغليظة.
ويجب ملاحظة أن هذه البكتريا لو وجدت في غير مكانها، فإنها تسبب العديد من الأمراض، كما أن انخفاض مناعة الجسم، قد تؤدي إلى إصابته بأمراض جراء اغتنام هذه الجراثيم الفرصة لتسبيب المرض.
وعقب غزو Invasiveness البكتريا للجسم، يبدؤ حدوث سلسلة من التغيرات تؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث الالتهاب، وكذلك فإن البكتريا لها المقدرة على إفراز ما يعرف بالذيفان (نوع من أنواع السموم) Toxin، وهذا كله يؤدي إلى حدوث المرض.



وتسبب البكتريا الكثير من الأمراض التي لا حصر لها مثل: الإسهال، والكزاز Tetanus، والسعال الديكي Whooping cough ، والتسمم الوشيقي Botulism، والجمرة Anthrax، والكوليرا Cholera، وغير ذلك من الكثير من الأمراض.

ثانياً.. الفيروسات:

وهي أحياء صغيرة تتكون من لب داخلي، يحتوي على حامض نووي من نوع واحد (إما R.N.A أو D.N.A)، ولكي تتكاثر الفيروسات لابد لها من العيش داخل خلايا الجسم لأنها بمفردها لا تستطيع توليد الطاقة اللازمة لحياتها، ويتراوح قطر الفيروسات بين ٢٠ إلى ٣٠٠ نانومتراً، ولها الكثير من الأشكال مثل الشكل العصوي، والكروي، والإكليلي.

وتختلف طرق العدوى وانتشار الفيروس من شخص إلى آخر بحسب الفيروس، فهناك فيروسات تنتقل عن طريق اللعاب مثل فيروس الإيدز، وفيروسات أخرى تنتقل عن طريق التنفس مثل فيروس الأنفلونزا، وأخرى تنتقل عبر استعمال أدوات المريض مثل فيروس الإيدز، وأخرى عن طريق الاتصال الجنسي مثل فيروس التهاب الكبد، وأخرى عبر ملامسة الفيروس بشكل مباشر مثل فيروس الجدري.

وتختلف الفيروسات عن سابقتها بأنها لا تتكاثر عن طريق الانشطار الثنائي، بل عن طريق التضاعف Replication، وهي عملية مدهشة حيث يختفي الفيروس تماماً، ولا يتبقى منه سوى الحامض النووي الذي يبدأ بالعمل داخل الخلية، ثم تحدث بعض العمليات المعقدة، التي تنتهي بحدوث عدة نسخ مشابهة للفيروس الأم، والتي تتحرر فيما بعد من الخلية لتهاجم خلايا أخرى.

ويتم تصنيف الفيروسات على حسب نمط الحمض النووي بداخلها، وبناء عليه فإن الفيروسات نوعان:

١- فيروسات D.N.A وذلك مثل: فيروس التهاب الكبد Hepatitisوفيروس الهربس Herpes، وفيروس الجدري Smallpox، وفيروس البابوفا Papo-va.

٢- فيروسات R.N.A وذلك مثل: فيروس الأنفلونزا، وفيروس الحصبة Measles، وفيروس الشلل Poliomyelitis، وفيروس الإيدز AIDS.

وعند إصابة خلية ما بالفيروس، فإن هذه الخلية غالباً ما تموت، ويتغير شكلها وتصبح سوداء اللون، وينتهي الأمر بتحللها، ولكن لوحظ أن بعض الخلايا تبقى طبيعية بالرغم من إصابتها بالفيروس، وهذه الخلايا تحافظ على نشاطها، وتتكاثر بشكل سوي، برغم أن الفيروس يتضاعف بداخلها بيد أن هذا نادر.

والإصابات الفيروسية إما أن تكون موضعية، كما هو الحال في حالة الإصابة بالزكام، حيث تكون الفيروسات متمركزة في الجهاز التنفسي فقط، أما في حالة الإصابة بشلل الأطفال مثلاً، فإن الفيروس ينتشر من جزء من الجسم إلى جزء آخر، حتى يعم أجهزة الجسم المختلفة.

وتعتبر إصابة الجسم بالحمى من أهم وسائل دفاع الجسم، ومحاولته التغلب على ما يصيبه من

أمراض، وفي حالة الإصابة بالفيروسات، فإن ارتفاع درجة حرارة الجسم تحول بشكل كبير دون استمرار تضاعف الفيروس وتكاثره، وهذا من رحمة الله تعالى بنا، إذ إنه لولا هذه العملية لاستشرت الفيروسات في الجسم، ولفتكت به في وقت وجيز.

ومن الطرق الحديثة لتشخيص الإصابة بالفيروسات: استخدام ما يعرف بالمجهر المناعي الإلكتروني Immunoelectron Microscopy، وهي طريقة متقدمة على الفحص المجهري المباشر لعينة مصابة من الشخص المريض.

وهناك بعض العلماء، لا يدرجون الفيروسات ضمن قائمة الكائنات الحية، ودافعهم إلى قول ذلك أن الفيروسات تتبلور لو لم تتوفر لها ظروف عيش مناسبة، ولكن الرأي الأقوى أنها كائنات حية وذلك لقدرتها على التكاثر.

ونظراً لكون الفيروسات لا يمكنها العيش إلا داخل الخلية الحية، كان من الصعب إيجاد الدواء الناجح في القضاء عليها، وذلك للمحافظة على حياة هذه الخلية، وكذلك من الصعب الحصول على دواء ذي سمية مخصصة ضد الفيروس، إلا أنه توفرت بعض الأدوية المضادة للفيروسات التي تثبط عملية نمو الفيروس مما يؤدي إلى التقليل من أعداد الفيروسات في الجزء المصاب، ولهذا كانت الوقاية من الإصابة بالفيروسات هامة جداً وذلك باستخدام اللقاح، وهذه طريقة لإعطاء الجسم مناعة لعدم الإصابة مستقبلاً بالمرض الذي أخذ اللقاح ضده، ومن أهم الأمراض الفيروسية التي يجب أخذ اللقاح لها: الحصبة Measles، والجدري، وشلل الأطفال، والتهاب الكبد B، والنكاف Mumps..

ثالثاً.. الفطريات

وهذه كائنات حية دقيقة تعيش بشكل رئيس في البيئة من حولنا باستثناء أنواع قليلة قد تعيش في جسم الإنسان، كجزء من الأحياء الدقيقة التي لا تسبب ضرراً للإنسان والتي تعرف بالفلورا.

ارتفاع حرارة الجسم يكون ايجابياً في قتل الجراثيم..

وهناك نوعان من الفطريات: الخمائر Yeasts والعفن Molds، حيث تنمو الخمائر على شكل خلايا مفردة، أما العفن فيكون على شكل خيوط طويلة.

وتتكاثر معظم الفطريات تكاثراً جنسياً، ويتكون بذلك ما يعرف بالأبواغ Spores التي تنمو ثانية لو تهيأ لها بيئة مناسبة للنمو لتنمو من جديد وتكون فطراً جديداً.

تسبب الفطريات الكثير من الأمراض ليس للإنسان فحسب، بل قد يمتد تأثيرها إلى الحيوانات والنباتات، فالسعفة الجلدية Dermatophytoses، والسعفة السوداء Tinea Nigra، والمادورة Madura، والتهاب السحايا الناتج عن الفطريات Meningitis، وغيرها أمراض تصيب الإنسان، وكذلك فإن الفطريات تسبب تلف الأطعمة وفساد الفاكهة.

ولكن هذا كله لا يدعونا إلى أن نبخس الفطريات حقها بل نعترف في أن لها الكثير من الفوائد، إذ أنها تستخدم في إنتاج أغذية كثيرة مثل: الخبز والخميرة والجبن.

كما أن الفطريات دخلت تاريخ المعرفة عن طريق فطر البنسليوم، وذلك عندما لاحظ ألكسندر فلمنج أن المنطقة المحيطة بالفطر الذي نما على قطعة الخبز، قد خلت تماماً من أي أحياء دقيقة مما دعا بفلمنج أن يدرس هذه الظاهرة ليلاحظ أن الفطر قد أنتج مادة مضادة تقضي على الأحياء الدقيقة، وتم بذلك التعرف على عالم كبير كان له الفضل بعد الله تعالى في إنقاذ حياة الملايين من البشر وهو عالم المضادات الحيوية Antibiotics.

ويصاب الإنسان بالعدوى بعدة طرق أهمها عن



طريق الجهاز التنفسي حيث يتنفس الإنسان الهواء الملوث بالفطريات التي تدخل إلى الرئتين محدثة ضرراً، يشاهد بوضوح عند عمل صورة أشعة، ويصاب المريض عندها بالحمى والسعال، ويكثر هذا المرض في أمريكا اللاتينية.

كما أن الفطريات التي تعيش في جسم الإنسان دون أن تسبب له أضراراً، يمكن لها أن تسبب أضراراً له، لو انخفضت قوة مناعته وضعفت وسائل دفاعه ضد ما قد يغزوه من أحياء دقيقة ممرضة، وهذا يحدث مثلاً لدى مرضى نقص المناعة (الأيدز) الذي تتحطم فيه كل إمكانات الجسم لمقاومة المرض، ولو حصل كل ذلك لأصيب الجسم بهذه الفطريات التي تسبب أعراضاً كثيرة مثل: الإصابات الجلدية، وإصابة الأظافر والأصابع، وفي الحالات المتقدمة قد تصاب الرئة، وقد يحدث نوع من الربو التحسسي Allergic asthma.

ويتم التعرف على الفطر المرض عن طريق الفحص المجهري Microscopic examinationأو عن طريق زراعة الفطر في المعمل.

ويمكن تقسيم الفطريات إلى أربعة أصناف تشتمل على:

١- الفطريات الجلدية.
٢- الفطريات تحت الجلدية.
٣- الفطريات الجهازية.
٤- الفطريات الانتهازية.

تعيش الفطريات الجلدية في الشعر والأظافر والأماكن الميتة من الجلد، ويتضح لنا من مسمى الفطريات تحت الجلدية أنها تعيش تحت طبقة الجلد مباشرة، ومن المعلوم أنها ذات خطورة أكبر من الفطريات الجلدية، أما بالنسبة للفطريات الجهازية فإنها تعيش في داخل الجسم (أي داخل أجهزة الجسم كما يتضح من اسمها) مثل تجاويف الرئة والسائل المخي وأغشية السحايا المحيطة بالدماغ، وهي أخطر الأنواع الأربعة على الإطلاق، وأخيراً فإن الفطريات الانتهازية هي الفطريات التي تنتهز الفرصة المناسبة لتهاجم الجسم وتشترك مع الفطريات الجهازية في أنها تعيش على الأعضاء الداخلية في الجسم، وتتراوح خطورتها بين الفطريات الجهازية وتحت الجلدية.

الطفيليات في جسم الإنسان تتسبب في كـثـيـر من الأمـراض البـاطنة..

ولا توجد وسائل معينة ينصح بها للوقاية من الإصابة بالفطريات، سوى عدم السفر إلى المناطق الموبوءة والتي تعرف جغرافياً بكثرة الفطريات فيها، وينصح بعض الأخصائيين باستعمال عقار (نستاتين) كطريقة وقائية.

رابعاً.. الأوالي..

وهي نوع من أنوا ع الطفيليات التي تتطفل على جسم الكائن الحي وتعيش معتمدة عليه، وتصنف الأوالي المرضة، وفقاً لعدة أسس منها حسب الموقع الذي تسبب فيه المرض للجسم وذلك مثل: أوالي الجهاز الهضمي، وأوالي الدم، وأوالي الأنسجة الحية.

ومن أشهر أوالي الجهاز الهضمي: إنتاميبا هستولتيكا Entamoeba histolyticaالتي تسبب مرض الأميبات Amebiasis، المؤدي إلى إسهال شديد، أما أشهر أوالي الدم فهي البلازموديوم Plasmodium الذي يؤدي إلى الإصابة بالملاريا Malaria، أما اللشمانيا Leishmaniaفتنتمي إلى أوالي الأنسجة.

ولكل نوع من هذه الأوالي علاج خاص به، ويوصف هذا العلاج بعد التعرف على الطفيلي الذي سبب هذا المرض، وذلك عن طريق الفحص المجهري لعينة من دم المريض أو برازه وذلك بحسب تعليمات الطبيب المعالج.

وينتقل هذا النوع من الأحياء الدقيقة (الأوالي) إلى الجسم بعدة طرق منها: عن طريق الطعام الملوث، والحشرات، والاتصال الجنسي، وعبر الجهاز التنفسي، وقد لوحظ أن بعض السواح الذين يشربون من مياه الجداول قد أصيبوا بالأمراض التي تسببها هذه الأحياء، مما أعطى فكرة أن الماء الملوث كذلك من وسائل العدوى.

جدول يوضح أهم الفروقات بين الأنواع الأربعة من الأحياء الدقيقة:

الميزة	الفيروسات	البكتريا	الفطريات	الأوالي
القطر (بالميكرومتر)	٠,٠٢-٠,٢	١-٥	٣-١٠	١٥-٢٥
نوع الحمض النووي	إما D.N.A أو R.N.A	D.N.A+R.N.A	D.N.A+R.N.A	D.N.A+R.N.A
طبيعة نواة الخلية	لا توجد نواة	بدائية النواة	حقيقية النواة	حقيقية النواة
الحركة	لا تتحرك	بعضها يتحرك	لا تتحرك	معظمها يتحرك
طريقة التكاثر	التضاعف	الانشطار الثنائي	الانشطار الثنائي	الانشطار الثنائي

وتتكاثر الأوالي بنفس الطريقة التي تتكاثر بها البكتريا أي عن طريق الانقسام الثنائي، فكل طفيلي ينقسم إلى كائنين حيين كاملين، وكل واحد منهما يعيد الكرة مرة أخرى حتى تمتلئ المنطقة بأعداد ضخمة من الطفيليات.

ويتم تشخيص المرض Diagnosis عبر الفحص المجهري لبراز المريض، حيث يلاحظ وجود الطفيلي أو وجود أكياس Cyst، بالإضافة إلى وجود الدم في العينة المراد فحصها، كذلك فإن بعض الحالات، تستدعي فحص الدم عند الشك بالإصابة بها وذلك مثل الإصابة بالملاريا، حيث يتم فحص قطرة من الدم تحت المجهر، والتعرف على طفيلي البلازموديوم فيها، ومن الطرق الحديثة لتشخيص الإصابة بهذه الكائنات الحية الدقيقة: عمل منظار للرئة والقصبات الهوائية، وأخذ عينة من الرئة لفحصها مجهرياً والتعرف على الطفيلي بداخلها، وذلك في حالة الشك بإصابة الجسم بالأوالي ووصولها إلى الجهاز التنفسي مثلاً.

وتختلف أعراض الإصابة بالأوالي على حسب نوع الطفيلي الذي غزا الجسم، فكل طفيلي يسبب مرضاً معيناً له أعراضه الخاصة ومن أكثر أعراض الإصابة: الإسهال الشديد الذي قد يصحبه بعض الدم، والحمى، وتضخم الكبد والطحال Hepatos-pleenomegaly، وفقر الدم Anaemia، ونقص الوزن. أما بالنسبة لعلاج مثل هذه الحالات فيتم بعد التأكد من التشخيص الصحيح للمرض، وبعد ذلك يتم وصف الدواء المناسب لكل حالة، ومن الأدوية الأكثر استعمالاً في مثل هذه الحالات: عقار (المترونيدازول) الذي يعرف تجارياً باسم (فلاجيل)، وبعد ذلك، يجب علاج مضاعفات المرض لو وجدت.

وهناك فرصة للوقاية من هذه الأمراض، لو اتبع الفرد وسائل النظافة الشخصية، وحرص على طهي الطعام جيداً، وكذلك النوم تحت واقيات الحشرات (الناموسيات)، واستخدام وسائل مكافحة الحشرات الناقلة لهذه الأمراض، وغلي الماء جيداً قبل شربه.

وأخيراً، لا يوجد هناك حتى الآن أي لقاح وقائي ضد هذا النوع من الأحياء الدقيقة، وما زلنا في انتظار تطور العلوم الطبية فلعلها تجود لنا في المستقبل القريب بذلك..

المراجـــع:

1- Medical Microbiology and Immunity, by Levinson and Jawetz, second edition.

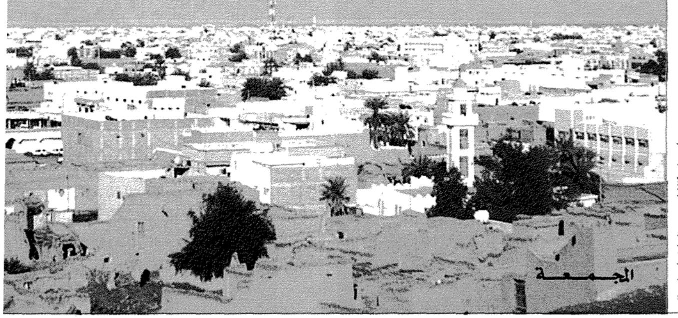
2- Bacteriology, Virology, and Immunity, by Stewart and Beswick, tenth edition.

٣- المعجم الطبي الموحد، نشر منظمة الصحة العالمية بالاشتراك مع اتحاد وزراء الصحة العرب واتحاد مجلس الأطباء العرب.

الوطن في آثار الشعراء والأدباء

حب الوطن غريزة فطر عليها الإنسان والمرء لا يحس بهذا إلا إذا ابتعد عن وطنه والوطن هو مسقط الرأس ومنبع الصبا ومدرج الطفولة ومهوى الأفئدة وموطن الذكريات والمشاعر والأحاسيس وذكريات الصبا وخفقات الحب الأول، فعلى أرضه يترعرع الإنسان وفي أجوائه يستنشق عبير الهواء وينمو ويكبر ويتعلم، ولقد شدا الشعراء بمشاعرهم الوطنية، والوطن كما يقال أعلى ما في الوجود وأسمى ما في الحياة ولقد قال ابن الرومي مبدعاً في تعليل أسباب حب الوطن:

حضن الوطن .. دفء الأمومة وعطف الأبوّة.. وكرامة الأخوّة..



ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالك

وقال أبو العلاء المعري:

فيا وطني إن فاتني بك سابق
من الدهر فلينعم لساكنك البال

ويروى لأحمد شوقي قوله وهو منفي في الأندلس يعاني الاغتراب في أيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

ويعد الحنين إلى الأوطان عاطفة جياشة ولقد ألف الجاحظ رسالته في الحنين إلى الأوطان كما ألف الشاعر أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ) كتابه المنازل والديار وقد كان وافيا في موضوعه حيث ذكر المنازل والديار والمغاني والأطلال، ومن المعروف ارتباط الإنسان ببيئته ومن هنا كان للوطن الذي يعيش فيه الإنسان أثر كبير في أخلاقه واستعداده الفكري وإبداعه العقلي ومن اعترافات الشعراء بتأثير الوطن قول الرصافي

بلادي التي قويدمتي بها
فريخا وآوتني قرارتها وكرا
مبادئ لين العيش في ريّق الصّبا
أبى الله أن أنسى لها أبدا ذكرا



عبدالله بن حمد الحقيل

- الرياض -

ولا خير فيمن لا يحب وطنه حيث يقول أحد الشعراء:

ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب من لم يتيم
ومن يظلم الأوطان أو ينسى حقها
يكن حيواناً فوقه كل أعجم

ولقد جاء في الأثر (حب الوطن من الإيمان) ويروى عن بعض الحكماء قوله: اللذة لزوم الأوطان ومحادثة الإخوان والذلة النزوح عن الأوطان والتنقل في البلدان.. وقال أحدهم:

ألا يا حبذا وطني وأهلي
وصحبي حين يذكر الصحاب

والحديث عن المدن والبلدان في أقوال الشعراء حديث لا يكاد ينتهي فقد حفل الشعر العربي بأقوال الشعراء في مدنهم وقراهم وأوطانهم وملاعب صباهم ومأوى نفوسهم وأفئدتهم وحبهم.. وفي ذلك تركوا لنا أسفارا ودواوين شعرية ما زالت صوراً جميلة منقوشة في القلوب وحية نابضة في الوجدان فهو نبع لا يجف أبداً، وإن الحب للوطن ينبغي أن يظل المرء وفياً له مساهماً في

الوطن في الأحداق نضّم عليه الأجفان حباً..

بنائه وإعلاء شأنه باذلاً الخير لكل أهله بما يستطيعه من جهد وطاقة عاملاً بإخلاص على الخير ونشر الفضيلة والمحبة والتعاون وتعمق الشعور بالانتماء للوطن ومن لا يعشق وطنه لن يكون قادراً على العطاء ولقد قيل: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد.

ونستعرض صورة شعرية موجزة عن حنين أحد شعراء المجمعة، ومن المعروف أنها تأسست سنة ٨٢٠هـ وهي قاعدة سدير وحاضرته وقد تحدث عنها الكثير من الشعراء والمؤرخين فهي أحد مراكز العلم والمعرفة وقد أنجبت عدداً من العلماء والأدباء والشعراء ومن هذا المنطلق نستعرض تحية أحد شعرائها الملقب (عميد) ووصفه لها بمناسبة زيارة جلالة الملك خالد رحمه الله لها في عام ١٤٠١هـ وقد وصف فرحتها وابتهاج أبنائها حيث أضاء جبينها بهذه الزيارة كما تحدث عن وفاء أبنائه وأصالتهم وقد كانت هذه الزيارة قبل إنشاء الطريق الجديد الذي يربطها بالقصيم والرياض حيث وصف الطريق القديم بأنه "كالأفعى" ومن يقارن بين الأمس واليوم يجد الفرق الكبير والتطور الحضاري الكبير والنهضة الشامخة في كل الميادين والإنجازات التي شملت كل شيء في بلادنا وامتدت من أكبر المدن إلى أصغر القرى واتصلت المدن والقرى عبر عدد من الطرق المسفلتة وشبكة متكاملة من الطرق السريعة مع ما تحتاجه من جسور وتحويلات فحمداً لله على ما تحقق لبلادنا في وثبة تنموية شاملة تناولت بناء الإنسان ثم امتدت إلى كافة مرافق الحياة. وإليك أيها القارئ الكريم بعضاً من القصيدة التي حيا بها الشاعر الملك خالد خلال زيارته لها:

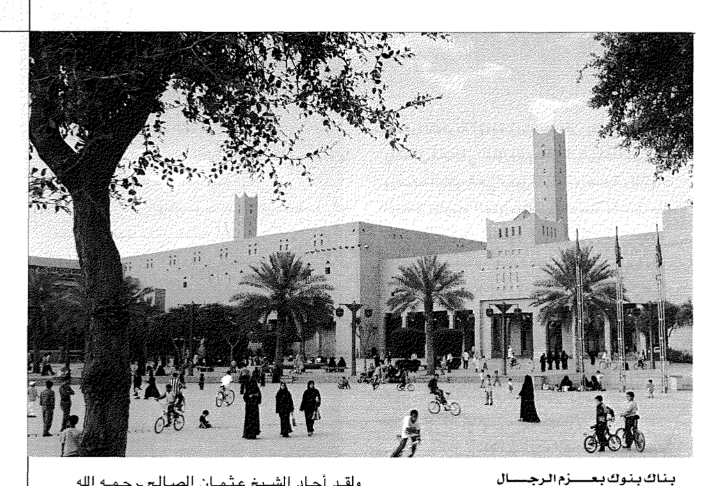
أطل على (الفيحاء) منك سحاب
فرفّ لها ثغر، وعزّ جناب

التغني بالوطن تغنٍ بالذات المبدعة للوطن..

وهبت على الساحات فيها نسائم
لطاف على كل النفوس عذاب
وسالت بواديها الغيوث هدية
من الله يحلو شكرها ويثاب
أبا (بندر) حيتك دار أحبة
وحيّاك واد أخضر وهضاب
نحييك يا ابن المالكين مملكا
له الحب في كل القلوب مذاب
جموع من الشعب الوفي تقاطرت
تضيق بها الساحات فهي عباب
إلى موكب الملك المفدى حدا بها
وفاء، وهل بعد الوفاء رغاب؟
أتوك يزفون التحايا مواكباً
لأن هواهم قادهم فأجابوا
وجوه عليها البشر رف سناؤه
فهاهم شيوخ نخبة وشباب

وقد زار الشاعر موطنه المجمعة فجاشت مشاعره بهذه القصيدة:

جمعت العلا والندى، والسعة
فسماك أجدادنا (المجمعة)
جلتك يد الله في أرضه
وصانت ثراك. فما أمنعه
فكم واغل في حماك المنيع
لقي دون سور الحمى مصرعه
وكم قرية طاولتك فظلت
بإثرك لاهثة موجعة



بناك بنوك بعـــزم الرجـــال

فكنت لهم حـــرة مــرضـعـــة

ونميت فـــيـهم كـــريم الطبـــاع

فـعـــاشـــوا، ومـــا بهم إمّـعــة

كـــرامـــاً إذا مــعــســـر رامــهم

أعـــزاء في السنة المدقـــعـــة

ولو طال جـــدبهم يصـــبـــرون

فـــلابد أن تمرع (المجـــمـــعـــة)

ولقد أبدع الشاعر "عميد" في لوحته الشعرية الفنية ووصفه لها وتصويره الجيد والتعبير عن حبه لمسقط رأسه وبث مشاعره نحوها.. وفي القصيدة صور بيانية جميلة عما أحس به الشاعر من محبة لوطنه وما يدور في ذهنه من ذكريات وأصداء ذاتية محببة جميلة مفخرة.. واعتزازه بجملة الخصائص التي تتحلى بها، فقد جاءت القصيدة مشحونة بالعاطفة الوطنية القوية وهذا يبرز حب الوطن في وجدان الشعراء وأحاسيسهم.

ولقد أجاد الشيخ عثمان الصالح رحمه الله سبحانه وأحسن إليه- في نظم قصيدة جاءت معانيها قوية محكمة مسددة نحو الغرض مع ما امتازت به من عذوبة ورقة ووصف جميل ولشعر الشيخ عثمان رونق وديباجة صافية وعذوبة ألفاظ تتيح للقارئ أن يستوعب الصورة وما تحمله من ذكريات وصور جمالية:

مـــراد الربع في بلدي جـــمـــيل

إليـــهـــا وجـــهـــتي وبهـــا المقيل

بلادي واســـمـــهـــا الغـــالي سدير

لراحلتي لهـــــا أبداً ذمـــــيل

وســـيـــاراتنا أضـــحت مطايا

بهـــا نحـــو المرام لهـــا وصـــول

تمتع وسط "مطربة وزلعـــــاء"

فـزهـر الحـسن فـيـهـا لا يحـول

تضـــوع بهـــا روائح ســـائغـــات

نفـــوس الوافـــدين لهـــا تميل

ربوع حل فـيـهـا الحسن باقِ
ينادينا الجمال هنا فجولوا
شمال جهاتها شمخت جبال
ونحو جنوبها ويه فميلوا
مناظرها لها في النفس وقع
كوقع الغيث دام له همول
و"مجمعتي" بها ما شئت فيها
رجال في مرابعها حلول
حموها من ذئاب واثبات
رجال في الحمى لهم عقول

ويقول أحد الشعراء:

ومتى عظّم البلاد بنوها
أنزلتهم منازل الإجلال

ويقول آخر:

ومن كان في أوطانه حاميا لها
فذكراه مسك في الأنام وعنبر

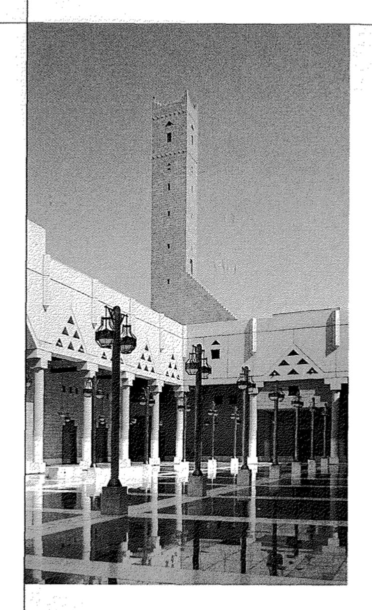
ولقد زار المجمعة الكثير من الشعراء فجادت قرائحهم بروائع القول وبدائع الوصف ومن ضمنهم صديقنا الأديب المعروف الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي فقال يصف تلك الرياض والمرابع ويذكر تاريخها ولقد استرسل في خياله في قصيدته وتغريده الجميل وانسابت معانيه وسرح الطرف في شتى المحاسن والمناظر الخلابة واستعراض الأمجاد والتاريخ وجمال الربيع فجاءت قصيدته حافلة بثراء المعاني وخصوبة الخيال وروعة الصور، فالشعر كما يقال تصوير وتعبير ولقد عرفه العقاد بأنه "التعبير الجميل عن المشاعر الصادقة"، ولقد أجاد الخفاجي إجادة بارعة في قصيدته معنى ووصفاً وفكراً ورؤيا وصوراً شعرية أخاذة تهز الوجدان وتحرك المشاعر ولننطلق معه في آفاق البهجة والذكريات التاريخية ووصف الطبيعة في صور مجلوة واضحة والربوات الخضر والربيع الجميل والرؤى الحسنة ولسان حاله ينشد قول الشاعر القديم:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

في ربى المجمعة:

قد دعوناها للعلا مجمعة
هي للنصر والوغى مسبعه
بين صحراء شاسع عرضها
جلست ثم ازهرت ممرعة
وتراها في البيد تحسبها
من جنان الأخرى أتت مسرعة
قال لي صاحبي "الرفاعي": هنا
يطرح الساري كل ما روعه
قلت: والعذريون كم قصدو
ها وأذرى قيس بها أدمعه
هي للحب والخيال مراح،
وبالدين والتقى مترعة
قصدت نحوها الشياطين ثم
توارت من رعبها مفزعة
طردتها من حولها شهب
شهد الفجر بعدها مطلعه

وبعد.... فلقد عكس شعر الوطن ملامح الوطن وكان لساناً ناطقاً لمشاعر الأمة وتغني الشعراء والأدباء بأوطانهم والوفاء لبلدانهم التي درجوا على أديمها وتوافر زخم هائل وفيض زاخر من العطاء الفكري المتنوع في ذكر الأوطان قديما وحديثاً ويحتاج إلى



من يعمل على جمعه وبلورته وفق الدراسات الأدبية المنهجية تتجلى بلاغته وجماله ومضامينة.

ولقد كنت في رحلة خارج الوطن وفي ساعة من ساعات الشجن والشوق جاءت هذه الخواطر للوطن الحبيب:

يا موطني موئل الأشعار والأدب
يا قلعة المجد والتاريخ والحسب
يا مشرق الحب والآثار خالدة
هواك يشفي سقام النفس والوصب
حيِّ الربوع وعرج في مدارجها
تلق المكارم عند السادة النجب
سقاك غيث الغوادي وهي رائحة
بالمزن منسكبا في الصَّيب الصبب
أين الألى من رجال الشعر قد صدحوا
في عالم الفكر بالإعجاز والخطب
نشيدهم صادح بالفن مؤتلق
ومجدهم قد سما للأنجم الشهب
كانوا رجال بيان في ثقافتهم
وشعرهم خلدته الكتب للحقب
فموطني غرَّة في وجه أمتنا
لولاك ما كان مجد الدهر للعرب
وموطني منهل للخير منطلق
يدعو إلى الود والإخلاص من دأب
إن قيل ماذا بأيديكم نقول هوى
داري بقلب المحب العاشق الوصب
أقول إن ننتسب للعز أجمعه
وللعلا إنني زاه بذا النسب
شبابه وكهول العرب صاغهم
رب الهدى عزة للناس والرتب
كم حدثتنا الرواة الغر في ثقة
عنهم وعن مجدهم في سائر الحقب
هم الذين بنوا للدين عزته
ووطدوا الملك بالنعماء والحسب
بيت العروبة والإسلام من قدم
نسمو ونفخر بالكتَّاب والكتب
وان أكن في نوى أو بين صحبتنا
أتيه يا نجد بالتاريخ والأدب
أهيم في حب أوطاني أكررها
هل حب داري وأحبابي من العجب
ونشوتي أنني من صفو تربتها
أشم ريا نداها الساحر الأشب
أنا الحفي بقومي الغر أقدرهم
أنى بهم في الذرا في محفل لجب

وردة يثربية ونشوة حلم (١)

هذه القصيدة.. مهداة بكل الحب اليثربي، إلى الوردة العبقة الشذى، التي حملتها بين يدي من المدينة المنورة إلى جدة، في أحد زياراتي لها. تلك الوردة التي كنت ألامسها أثناء الطريق بأناملي وأغرق في تقبيلها وأسرف في شمها حتى إذا ما انتشيت تريثت فغلبني الكرى، كعادتي أثناء السفر بالسيارة، واسترسلت في غفوتي، فتراءت لي بأحلى ما يكون عليه الورد المدني. فلهذه الوردة أهدي هذه القصيدة.

د. بهاء بن حسين عزي

-جـدة-

سَريتُ وفي كفي من يثرب الندى ... وُرودٌ حسانٌ من جنيناتها الأُمّ

ألامسُها في نشوةٍ بأناملي ... لأغرقَ في لثمٍ وأسرفَ في الشمّ

ففي حُسنها الورديّ ما يُذهلُ الفتى ... فترجعُهُ الذكرى لأيامه القُدْم

يُذكّرُنهُ في غفوةِ الدربِ والسُرى ... بما يشتهي منهنّ في الحسّ والعِلْم

يُزيّنّ لي الأحلامَ لمّا نشرنها ... على دربِ مسراي المنوّر بالنجم

فخلْتُ الجنانَ دعونني وأعدْنني ... لجَنْي الهوى الورديّ ذي الأرجِ الفخم (٢)

ولمّا دعتْ، هبّتْ نسائمها التي ... بها الأرجُ الجذّابُ يشدو لمُهتمّ

فعدتُ إلى مجنى الورودِ ونظمها ... وكنتُ لطيفاً في قطافي وفي نظمي (٣)

أداعبُ كلَّ الوردِ حتى كأنّني ... تخيّلتُهُ حوّاء يُبصرُها وهْمي

فتلكَ بنفحِ الطيبِ تجذبني لها ... وهذي بوخزِ الشوكِ تزجرُ أو تُدمي

فأبدعتُ في إيناسهنّ بلمستي ... لأهدئَ شوكَ الزاجراتِ الذي يُصمي (٤)

فكلُّ هوًى منهنّ يأتي بطبعِه.. بنفح الشذا أو زجرة الحشم والخزم (٥)

* * * * * *

وكنتُ أجيل الطرف بين حسانها فراقت لعيني وردةٌ من جنى اليوم

حديثةُ عهدٍ بالهوى لا يشمّها سوى اليثربيّ العاشق الكلف الشهم

* * * * * *

هفا الحلمُ ذو العزمات بي في حياضها فتقتُ للثم وهي تاقت إلى لثمي

ولمّا انتشينا والهوى طاب بيننا رأيتُ كأنّي لستُ في نشوة الحلم

كأنّي، وهذا الوردُ يغفو براحتي، أعدُّ عروشاً منه هيمى.. بلا رسم (٦)

فيزهرن ورداً يثربياً، أريجُه يفوح، لهيمانين في سنة الوهم

فنشتمُّه شوقاً ليذكو ما بنا وها نحن ملتاعان من ضرم الشمّ

كأنّا على وعدٍ وقد حان وقتُه وذاك سناها قد توهّج في العتم

فيسحرني هذا السنا من جمالها كسحر سنا الياقوت في المقتني القرم (٧)

فأرنو لها شوقاً وأهفو صبابةً لأحفظها في القلب أزكى من الدمّ

وننضمُّ في عشقٍ وننبثُّ في هوًى نهيم على الحالين في النشر والضمّ

وما الصبُّ إن لم تزدهر خلجاتُه، بهذا، وما لم يسنُ بالوهج الجمّ (٨)

ومن يزدهر بالشوق مثلي.. بهجسه، يزرْه جميلُ الحلم في دقّة الرسم

فتلك جنانُ الورد في يثرب الندى أطلّت بها الأحلام بالنسق الفخم

الهوامش:

١- أُلقيت في نادي الطائف الأدبي بتاريخ ١٤٢٥/٦/١٠هـ وفي عدة منتديات أخرى.
٢- الأرج: نفحة الرائحة الطيبة.
٣- المجْني: ما يُجْنَى من الثمار، والموضع الذي يُجْنَى منه الثمر.
٤- يُصْمي: يقتُل في حينه.
٥- الحشم: حشمه ويحشمه: أخجله، وأغضبه، وآذاه بإسْماعه ما يكره. الخزْم: الثقب.
٦- عُروشاً: جمع عريش أو عرش الورد إلخ.
٧- القرم: السيِّد، العظيم.
٨- الخلجات: الاضطرابات

د.نعمان عبد الحميد بوقرة
أستاذ مشارك بكلية الآداب _ جامعة الملك سعود

إن طرق التدريس المعبر عنها بالديداكتيكية (DIDACTIQUE) قد أصبحت في الآونة الأخيرة اختصاصا مهما قائما بذاته يوليه الباحثون في الجامعات العالمية اهتماما واضحا لارتباطه القوي بسبل التنمية والتطور على جميع الأصعدة . وقد بات من المعلوم أن هذا التخصص يستمد كثيرا من أصوله ومفرداته من اللسانيات التطبيقية وعلم النفس اللساني وعلوم التربية في عمومها. والواضح أن آثار أبحاث الدارسين خاصة في الولايات المتحدة وأوربا كان لها صدى قوياً في توجيه أنظار المربين ورجال التعليم في الوطن العربي في مجال تقويم البرامج التعليمية والمناهج الدراسية، ولم تكن المملكة العربية السعودية فيما اطلع عليه الباحث من أعمال بيداغوجية وعلمية بمنأى عن استثمار هذا العلم في تطوير العملية التعليمية بخطى متعثرة لأسباب متعددة، والحقيقة أن أغلب هذه الجهود محصورة في مرحلة التعليم العالي، بخاصة ما تعلق بتشريح العقبات التي يواجهها المتعلمون في مواد دراسية معينة، مثل ما نزمع دراسته في هذا العمل الذي يصف بعض المشكلات التي تعترض تكوين الطلبة في التعليم الجامعي في مادة دراسية بعينها هي اللسانيات بمختلف مقرراتها ومستويات تلقيها ،مكرسين العناية الوصفية للمشكلة الاصطلاحية على وجه التحديد.

تدريس اللسانيات بالجامعة السعودية



اللسانيات مادة دراسية:

اللسانيات أو علم اللسان الحديث أو علم اللغة الحديث _كما يسميه البعض- مادة دراسية تقدم لطلاب الدراسات اللغوية في أغلب أقسام اللغة العربية بالجامعات العربية لتعرفهم بأهم تصورات اللسانيات الحديثة التي نتجت عن الفكر اللغوي الغربي من خلال مدارسه اللسانية الحديثة، معرفة بنشأتها وتطورها وأعلامها ومبادئها وأهم مصطلحاتها، ويتمثل الهدف الأساس من تدريس هذه المادة ليس التأريخ للمدارس والتطورات التي عاشتها ومؤثرات هذا التطور، بل القصد منها تصوير رحلة العقل الإنساني مع الظاهرة اللسانية منذ القديم إلى عصرنا الحالي، وكيف عالج ظاهرة اللغة بالفحص والاختبار والمشاهدة. ولا يقف الأمر عند حد تقرير ما وصل إليه العقل في مجال وصف الظاهرة اللسانية، بل يتعدى ذلك إلى استشراف آفاق العلم اللساني وتطوره في المستقبل، وما يمكن أن يقدمه من خدمات جليلة للإنسانية، وفي ظل هذه الرؤية من المفروض أن تسير عملية تدريس هذه المادة.

مشكلات تدريس اللسانيات

من المشكلات التي تعترض المتعلم في أقسام اللغة العربية في سعيه إلى التعرف على المادة اللسانية الحديثة ما يلي :

١- خلو العملية العلمية التعليمية في هذه المادة من الجانب التطبيقي، والفصل بين النظرية والتطبيق - كما هو معلوم - من أخطر ما يمكن أن تصاب به العلوم ؛ لأن المعرفة إذا قطعت عن الواقع، ولم تختبر نتائجها على محك التطبيق، فستبقى مجرد فلسفة (١).

٢- تقدم هذه المعلومات المتعلقة بآراء أعلام المدارس اللغوية الغربية بدون مراعاة تحقيق الارتباط الأفقي بينها، أي كأنها اتجاهات لسانية متعارضة لا رابط بينها البتة من الناحية الموضوعية أو المنهجية أو الغائية، وكثيرا ما يتلمس الأستاذ ذلك من خلال عبارة أحد الطلبة : ظهرت المدرسة " س " كرد فعل أو ثورة على مناهج النظر اللساني المعتمدة من طرف مدرسة " ع " كما يلاحظ الطلبة من خلال تقديم الأستاذ أن معلومات المادة غير متماسكة من مرحلة دراسية إلى أخرى، فهناك كثير من المعلومات تدرس في مرحلة سابقة إلا أن عارضها لا يربط بينها وبين غيرها مما يدرس في مستوى أعلى، وليس هذا فقط، فهناك حالة غريبة لا يمكن تحديد سببها بدقة إلا عن طريق إجراء دراسة مستفيضة من خلال استقراء وتتبع لها، وهي عدم قدرة الطلبة أنفسهم على أن يربطوا بين معلومات متكاملة أو تعريف المعلومات نفسها في مقررات متقاربة جدا في نفس المستوى (أسلوبية - تحليل الخطاب _ مناهج نقدية)

٣ - ضعف قدرة الطالب الذهنية في تجريد الأفكار، فهو كثيرا ما يطلب تمثلاتها المادية، ويغالي في هذا إلى حد السذاجة،وبعد عملية مساءلة بسيطة لعينة من الطلبة المنتمين إلى قسم اللغة العربية:

أ - عدد منهم يوجه نقدا للمادة ذاتها، ويرى أنه من خلال محتواها يمكن الاستغناءعنها (٢٠ ٪ تقريبا)، والسبب في ذلك صعوبة المصطلح اللساني.

ب - عدد منهم يوجه نقدا للطريقة، ويرى أن مادة اللسانيات لا يقدم بالإلقاء(في شكل محاضرة)،

طرق التدريس واكتساب المهارات غدت في عالم اليوم تخصصا قائماً بذاته

ويقترح تقديمها في شكل مناقشة / ندوة (٥٠٪).
ج - عدد منهم يوجه نقدا للوسيلة، ويرى ضرورة استخدام وسائل إيضاح، عدا السبورة والمطبوعة والكتاب،مثل الخرائط مثلا، وإدماج النشاط في عملية التدريس ذاتها (المجلات الحائطية) ١٠ ٪ والاستعانة بالوسائل السمعية البصرية في العملية التعليمية.
د - عدد منهم يوجه نقدا للتقويم، ويرى أن الاكتفاء بالاختبارات الشهرية والنهائية مجحف، ولا يقوم الطالب تقويما دقيقا، ويوجه نقدا لطبيعة الاختبار في حد ذاته، فمنهم نسبة ٨٠ ٪ توافق على الاختبار الموضوعي (الطريقة الأمريكية)، و٢٠ ٪ على الطريقة التحليلية (فكرة أو قولا يطلب شرحه في شكل مقال)، ومنهم من يرى ضرورة اعتماد الأنشطة المساعدة، واحتسابها في التقويم مثل الواجبات الخاصة والعروض، وتخصيص جلسات خاصة مدتها لا تتجاوز ١٥ دقيقة يسائل فيها الأستاذ الطالب مسألة دقيقة متعلقة من مسائل اللسانيات.
٤ - ضعف مستوى الطالب اللغوي على مستوى (مهارتي القراءة والفهم) مما يمنعه من مطالعة الكتب والمقالات اللسانية واكتسابه ملكة اللغة الخاصة فهما واستعمالا، بالإضافة إلى ضعف مستواه باللغة الأجنبية، إذ إن أغلب المعجمات اللسانية والكتب مازالت بلغاتها الأصلية، وإن ترجمت أوقعت في معضلة المصطلح.
مشكلات خاصة بالمدرس:
ثمة مشكلات أخرى تخص الأستاذ أثناء تدريسه لهذه المادة، منها :
٥- افتقار المدرس إلى دليل يبين له الأهداف العامة والإجرائية للمنهج الدراسي، وفي حالة وجوده فإن الظاهر بشكل عام عدم وضوح الرؤية، وربما كان من أسباب ذلك كون المشرفين على إعداد المناهج من غير المتخصصين إذ لاينفع في هذا الأمر مجرد الاهتمام، وفي غياب وعيه بالأهداف العامة والخاصة، والغايات المرجو تحقيقها من تدريس مقياس المدارس اللسانية، لا يمكنه بأية حال من

طرق التدريس تستمد أصولها ومفرداتها من اللسانيات التطبيقية، وعلم النفس اللساني وعلوم التربية..

الأحوال أن ينتقي من المحتوى ما يناسب قدرات الطلبة وميولهم.
٦- افتقار المراجع الأساسية التي يمكن اعتمادها مباشرة لفهم المبادئ الأساسية والمصطلحات الخاصة بمدرسة معينة، فكل ما هو موجود لا يفي بالغرض المطلوب، فكيف يدرس الأستاذ مبادئ المدرسة التوزيعية - مثلا - وهو لا يتوفر على كتاب اللغة لبلومفيلد، وكذا الحال بالنسبة إلى الطلبة، مما يجعله مضطرا إلى الاكتفاء باليسير من الكتب التي لا يسلّم لأغلبها بالدقة العلمية في مجال هام كاللسانيات.
٧ - غياب التنسيق البيداغوجي بين أساتذة المادة الواحدة، لأسباب غير موضوعية، فكل أستاذ يجتهد منفردا في تقديم المادة من خلال محتوى غير ثابت، وبالتالي تصعب عملية التقويم في الأخير، وتكون نتائجها غير منطقية وموضوعية أما عن أهم المشكلات التي بدت للباحث والمتعلقة بالمحتوى الدراسي فيمكن اختزالها في صعوبة تصنيف الاتجاهات اللسانية بسبب تشعب الدرس اللساني الحديث وتطوره تطورا سريعا، وينجر عن ذلك صعوبة تصنيف اللسانيين أنفسهم، فما يمكن اعتباره بوجه ما زعيما من زعماء مدرسة ما قد يكون عضوا بارزا في مدرسة أخرى مثلا، وتظهر هذه المشكلة حين يسأل الطلبة عن انتماء لساني ما إلى اتجاه معين والكلام نفسه بالنسبة إلى الأفكار اللغوية التي تمثل جوهر اللسانيات.
أهداف تدريس اللسانيات :
قبل الحديث عن الأهداف التي يمكن أن تحقق بتدريس اللسانيات لطلبة أقسام اللغة العربية وآدابها، يحسن بنا أن نذكر بتعريف الهدف عند



علماء المناهج التربوية. إنه (أي الهدف) : وصف للتغيير المتوقع والمرجو حدوثه في سلوك المتعلم لتزويده بخبرات تعليمية معينة يتفاعل معها، ويتحدد الهدف في ضوء الفلسفة العامة للمنهج التي يؤسسها انطلاقا من المتطلبات الاجتماعية والنفسية، والأهداف تتمايز في النظر التربوي، فمنها العام ومنها الخاص، وهناك الغايات أيضا.

أولا - الأهداف العامة (الأغراض) :

يهدف المنهج الدراسي الخاص بمقررات اللسانيات إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- إعداد الفرد القادر على مواجهة المشكلات التي تعترضه في المجتمع، لكي يؤدي دورا فعالا في النهوض الفكري والعلمي والثقافي، واللحاق بالركب الحضاري ذلك إن إدراج هذه المادة الدراسية يعكس رغبة ملحة تحث على ضرورة اكتشاف الغرب المتطور من خلال نظرياته العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، والاستفادة من مناهج التحليل والوسائل المبتكرة لحل المشكلات الحضارية العويصة التي يشهدها عالمنا العربي، حتى إن هذه المادة تكاد تدرس في معظم الجامعات العربية لقسم اللغة، وفي المستويات النهائية تحديدا.

٢ - إعداد الطالب بإكسابه التفكير العلمي والموضوعي إزاء القضايا التي تواجهه، ذلك أن هذه المادة بما تتضمنه من محتوى مميز يصور رحلة العقل الإنساني مع اللغة عبر الزمان والمكان تغرس في المتعلم روح التفكير العلمي والموضوعي والمنطقي، وقبول فكرة الخطأ والصواب وبنسبية النتائج المتوصل إليها في البحث عن طريق إثارتها (المادة) لجملة من التساؤلات يمكن أن يجد لها الطالب إجابات عن طريق جمع البيانات والأدلة المتصلة بها ووضعها من خلال ذلك، والتعرف على علاقتها بما يحيط بها من عوامل متعددة بعيدا عن الأحكام المسبقة والذاتية، إذ يمكن أن ينمى في الطالب أصول التفكير السليم والحر من خلال التعامل المجرد مع مشكلة ما بعرضها ضمن جملة من المشكلات من خلال عرض حياة شخصية لغوية مثل شخصية فردينان دي سوسير ومبادئه اللسانية التي دعا إليها، والتي تشكل جملة من الإجابات المتكاملة عن أسئلة مطروحة اتبع فيها نظرة كلية غير جزئية (عناصر مترابطة متكاملة لا متنافرة مستقلة).

٣- تعويد الطلبة على عدم الاقتناع بالتفسيرات السطحية للظواهر، وإعمال التفكير العميق في المسائل،وتقليب المسألة على أكثر من وجه لاستكمال تشخيصها ووصفها. أليس هذا النوع من النظر هو الذي كان سببا في اختلاف المدارس اللسانية الحديثة فيما بينها ؟! وكلما تعمقت النظرة كلما ازداد أفق الطالب الفكري في التوسع، ألا يمكن أن نتأكد من منطقية هذا الهدف من خلال مبدأ سوسيري مهم هو : اللغة شكل وليست مادة !؟

٤- التعرف بصورة مجملة على مراحل التطور اللغوي للبحوث اللسانية من القديم إلى الحديث، والربط بينها في استمرار، والتعرف على العلاقة القديمة بين اللغة والمجتمع والإنسان.

٥- إنماء روح التقدير للعلماء والتفكير الإنساني بكل جوانبه.

٦- الإلمام بما جد في صعيد البحث اللساني بقصد توظيف الرؤى والتصورات في نقد تراثنا العلمي واللغوي وقراءته،أليس من أهداف التعليم الجامعي في مرحلة التدرج في القسم اللغوي إعداد الطالب لمرحلة ما بعد التدرج(الماجستير- الدكتوراه)، بمعنى

علم اللسانيات يربط الماضي بالحاضر، مستشرفاً مستقبل هذا العلم.

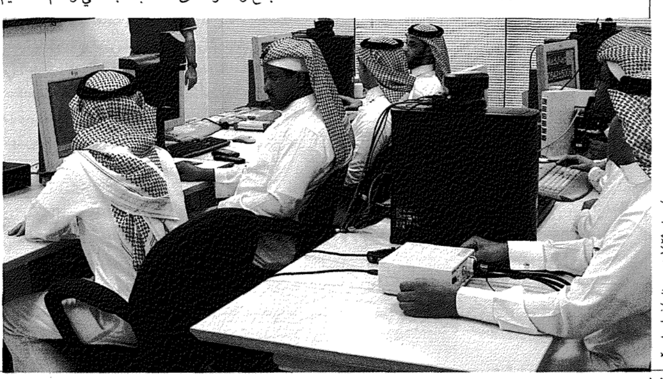
إعداد الطالب الباحث، الذي يمكن أن يتخذ من هذه المناهج اللسانية التي يتعرف عليها في مادة المدارس مثل مناهج قرائية للتراث بغية الكشف عن أسسه النظرية وتطبيقاته العملية من غير عظامية. ثم إن إكساب الطالب أدنى حد من المعلومات اللسانية من خلال مقررات اللسانيات ينظم تصوره حول اللسان واللغة التي يتخصص فيها ليصبح في المستقبل مدرسا لها في مستوى من المستويات (٢).

ثانيا - الغايات :

يدخل في صلب الغايات المرجو تحقيقها من تدريس هذه المادة :

١- فهم أسرار الظاهرة اللغوية (اللغة)، واستخداماتها وعلاقتها بالإنسان والمجتمع في صلب أنظمة التواصل الأخرى.

٢- تثبيت قناعة ضرورة البحث والاجتهاد من أجل النجاح والتفرد لدى الطالب الجامعي وعدم التسليم



من إشكاليات تدريس اللسانيات في جامعاتنا العربية، الوقوف بها عند الجانب النظري



بالنتائج البحتة إلا بعد عرض الرأي والرأي المعارض (٣).

٣- الكشف عن العلاقة الوثيقة بين التفكير اللساني والعلوم الأخرى، من خلال المبادئ التأسيسية للسانيات المقررة في البرنامج كأن يعرف الطالب بعد دراسته لمفاهيم نظرية النحو التوليدي التفريعي أن علم اللغة (اللسانيات) فرع من فروع علم النفس الإدراكي (٤).

ثالثا- الأهداف السلوكية:

١- تدريب الطلبة على مراحل التفكير المنظم : الملاحظة، والوصف، والاستنتاج، والنظرية والتفسير.

٢ - تنمية روح التعاون بين طلبة الصف من خلال قيامهم بأعمال جماعية في شكل حلقات دراسية، وتقارير حول مسألة مطروحة في الدرس أو القيام بعملية جمع للوثائق والكتب الخاصة بلسانٍ ما بغية قراءتها والتعليق عليها، أو ربما من أجل إنشاء مكتبة خاصة بطلبة الفوج الدراسي.

٣ - إتقان لغة اللسانيات فهما واستعمالا وتعود الطلبة على التعبير الدقيق والبسيط الخالي من الحشو والترادف والمشترك في قضية لسانية أو تعريف مصطلح ما.

٤ - القدرة على التفرقة بين المصطلحات ونسبتها إلى أصحابها، وإن كانت مشكلة المصطلح من أهم المشكلات التي يعاني منها الطالب والأستاذ معًا في المادة الدراسية المذكورة وربما تشرك هذه المشكلة المدارس مع مواد أخرى كاللسانيات التطبيقية وتحليل الخطاب.

٥ - تنمية مهارات القراءة والفهم والتعبير بوجهيه، إذ يكون من أهداف تدريس المدارس لطلبة السنة الرابعة حثهم على مواصلة القراءة وتفهم ما يقرؤونه، والتعبير عما يفهمونه بأساليبهم الخاصة، متعودين شيئا فشيئا على لغة اللسانيات العلمية،و يمكن القول إن القراءة التي هي وسيلة للتعرف على اللسانيات تصبح هدفا مركزيا، لا لأنها تقدم أكبر عدد ممكن من المعلومات، ولكن لأنها مهارة يحتاجها الطالب في حياته المهنية (٥).

رابعا - الأهداف الخاصة :

تحدد الأهداف الخاصة في المدارس اللسانية في قاعة الدرس من خلال اختبار نوع الأداء الذي ينبغي أن يظهره الطالب كدليل على أن الخبرات الخاصة بدرس من الدروس قد تحقق، لذلك فهذه الأهداف الإجرائية بطابعها يحددها الأستاذ في كل درس، ويجري تقويمها في نهاية الحصة عن طريق التغذية الراجعة، وإذا كان مقدرا لهذه الأهداف أن تكون ذات قيمة، فيجب أن تكون

ديناميكية، كما يجب أن تساير تكوين الطلبة وقدراتهم الذهنية واستعداداتهم والفوارق بينهم في الفوج الواحد.

مثلا : من أهداف درس المدرسة الوظيفية :

١ – تحديد مفهوم التقطيع المزدوج.

٢ – إبراز الفرق بين الصوت والفونيم، الكلمة واللفظة.

٣ – تحديد مفهوم الوظيفة في النظرية.

٤ – التعرف على شخصية أندريه مارتينه.

– أسس بناء المنهج الدراسي :

١ - الأساس الفلسفي : ويمثل – هنا – الفلسفة التربوية المستمدة من فلسفة المجتمع والمعتمدة في بناء منهج ما، وأغلب الظن أن مجتمعنا يسعى إلى تحقيق نوع من التوافق بين الأصالة والمعاصرة بالتفتح على كل ما هو جديد، ومن مفرزات الجديد الوافد من الغرب فكريا المناهج اللسانية والأدبية، ولتجاوز عقدة التخلف في فلسفة المجتمع لا بد من استلهام هذه المناهج بوصفها تجارب سابقة وخبرات ذات فائدة معرفية من أجل تأسيس – ربما – منهج لساني أو أدبي خاص بنظرة هذا المجتمع، أو ربما استخدامه كآلة لقراءة الماضي وتصحيح أفكارنا الخاطئة حوله واعتباره نقطة انطلاق جديدة نحو عالم التقدم، وفي ظل هذه الرؤية الاجتماعية تكاد أغلب الجامعات العربية تجمع على تدريس مادة اللسانيات بشكل أو بآخر، وربما يكون هذا الاهتمام المتزايد بهذه المناهج الحديثة نوعا من التعبير عن رغبة الطبقات المثقفة والمجتمع بصفة عامة في تحقيق الجو الذي ظهرت في ظله أغلب هذه الاتجاهات، وهي الديمقراطية التي تعطي احتراما للفرد المبدع وتقدمه على غيره لقدرته على الإنتاج السليم.

٢ - الأساس الاجتماعي :

تعد الجامعة أو الكلية أو القسم الدراسي مؤسسة اجتماعية، فهي لا توجد في فراغ بل تربطه بسائر المؤسسات الأخرى علاقات ووظائف معينة يحددها المنهج الدراسي المتبع :

ضعف مستوى اللغة عند الطالب يحرمه من مطالعة المادة في مراجعها وأصولها الأجنبية..

المنهج الدراسي القسم الدراسي (الجامعة - الكلية) المجتمع

وانطلاقا من الفكرة التي تقدم، ليس هناك مجتمع بل هناك عمليات اجتماعية (علاقات) متغيرة دوما، والمجتمعات في تغيرها المستمر متفاوتة في درجة هذا التغير، فمنها ما يقبل التغيير بسهولة، ومنها ما يحتاج إلى فترة أطول، ومثال ذلك مجتمعات العالم الثالث بما فيها المجتمع العربي وربما الجزائر بشكل خاص. وعليه، فإن المنهج ومن ورائه واضعوه أو مصمموه مدعوون إلى عدم تجاهل هذه التغيرات الاجتماعية والفكرية التي يعاينها المجتمع، وأبرز مظاهر التغير في العشرية الأخيرة الانفتاح المريع على الغرب وثقافته عادات وأدب ولغة ومحاولة استثمار تكنولوجيا الغرب في مناهج عديدة ربما يكون من المفيد الاستعانة بها في تدريس مادة اللسانيات في أقسام اللغة العربية

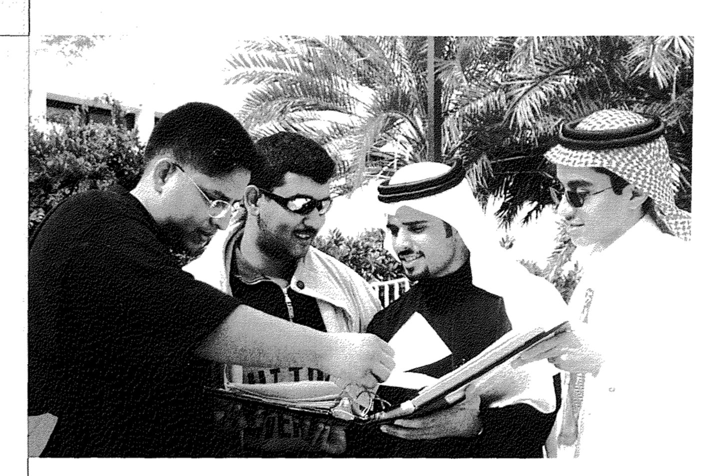
٣ - الأساس الثقافي :

ينبغي لمصمم منهج اللسانيات أن يكون ملما بخصوصيات الثقافة المتداولة في المجتمع عامة، والمتمثلة عند طلبة القسم.

يحرص المنهج الدراسي على المحافظة على التراث الثقافي المعبر عن حصيلة خبرات الأجيال السابقة، وأن يبقى الطلبة على اتصال وثيق بهذا التراث، وهدف المنهج ترسيخ هذه العلاقة وتوضيحها وجعلها مثمرة في الحياة الخاصة.

أ - منهج المواد الدراسية المنفصلة :

يظهر بشكل واضح في مناهجنا التعليمية : فالطالب لا تقدم له المعلومات اللسانية والأدبية بوصفها مترابطة متكاملة، بل بوصفها عناصر مستقلة، وإن



تحقق الترابط الرأسي بين المعلومات في مقياس محدد، فإن الترابط الأفقي يكاد يكون منعدما بين معلومات اللسانيات مثلا ومعلومات اللسانيات التطبيقية، أو تحليل الخطاب، أو الأسلوبية.

ب - منهج النشاط :

- القيام بإعداد بحوث أو بطاقات فنية حول بعض جوانب المادة المدروسة بشكل جماعي.

- القيام بإعداد درس في مادة المدارس اللسانية يقدمه الطلبة أنفسهم، ثم يتبع بمناقشة عامة.

- إمكانية القيام بزيارة إلى قسم آخر يدرس المقياس ذاته والاطلاع على طبيعة النشاط التعليمي (المادة الدراسية المقدمة).

- تجمع طلبة الصف الواحد في شكل حلقات، تعنى كل حلقة بالتفكير في مسألة معينة تطرقها المدارس اللسانية.

- اختيار الطلبة لمجموعة من الكتب اللسانية أو المقالات ومطالعتها في أوقات يحددونها بتوجيه من الأستاذ، ثم يقدمون عروضا ملخصة لها.

- إنشاء مجلة حائطية خاصة بالمقالات الأدبية والدراسات اللسانية.

اللسانيات مادة مترابطة في كل سني الدراسة، وهذا ما نفتقده في طرق تدريس هذه المادة..

ج - منهج الوحدات :

يمتاز هذا المنهج بأنه يرفع الحواجز بين المواد الدراسية، وبين مراحل المادة الواحدة، من فترة دراسية إلى أخرى ليكرس مبدأ التكامل المعرفي في شكل ارتباط عمودي وأفقي للمعرفة في الآن نفسه، كما يحرص هذا المنهج على ربط المادة الدراسية بالبيئة التي يعيش فيها الطلبة ويدفعهم إلى جمع كل المعلومات والبيانات اللازمة من المحيط لخدمة المادة الدراسية، فمنهج الوحدات يتضمن في مفهومه النشاط، لذا لا تصبح المادة غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لفهم الظواهر *المحيطة بالمتعلم وتحليلها*، فيكون *التركيز منصبا رأسا على وظيفية المعلومات لا على كمها*، ويمكن *للوحدة بالتالي أن تكون موضوعا*، كأن نقول

تحديدا : وظيفة اللغة في حياة الإنسان والمجتمع، أو أن تكون مشكلة تتطلب إجابة تحليلية، مثل : كيف تؤدي اللغة وظيفتها التواصلية في حياة الإنسان ؟

التقويم

هو استراتيجية فعالة للتغيير التربوي سواء على مستوى الطالب أو على مستوى المدرس، أو على مستوى إدارة الكلية، ويبنى التقويم في الجامعة عموما على الاختبارات الشهرية والنهائية، والطالب المتحصل على أعلى درجة هو المتفوق، دون مراعاة ما إذا كان تفوقه هذا يعبر عن الهدف المرجو تحقيقه من التكوين الجامعي أم لا، لذا يفترض في التقويم أن يكون متعدد الأشكال، وأن يكون في منحاه استمراريا حتى يحقق الانسجام بين المحتوى والطريقة وقدرات الطالب والوسائل التعليمية.

يفضل الاعتماد في تقويم هذه المادة على الاختبارات الموضوعية التي تتم بالدقة والشمولية للمحتوى كله،وألا تترك مجالا للصدفة أمام الطالب مثلما هو عليه الحال إذا كان سؤال الاختبار مقالة، ذلك إن بعض الطلبة الماهرين في وضع الاحتمالات ينجحون في الإجابة عن الأسئلة المتعددة للإجابة الواحدة .

نتائج واقتراحات

أ-ما يمكن الخلوص إليه أنه لا بد من تصميم منهج دراسي خاص باللسانيات، بالنسبة إلى طلبة اللغة العربية مؤسس على مبدأ التنوع في :

١ - عناصر المحتوى المقرر.

٢ - الوسائل التعليمية (الكتاب، الندوة، المناقشة، المحاضرة، الفيلم، المجلة..)

٣ - التنوع في الطريقة التعليمية، وأن يأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المقومات يقوم عليها أي منهج، وهي :

أ - الأساس الفلسفي (الفلسفة العامة للمجتمع، ماذا يريد المجتمع ؟)

ب - الأساس الاجتماعي.

ج - الأساس الثقافي.

منهج اللسانيات يهدف إلى غرس روح التفكير العلمي والموضوعي والمنطقي.

ب-كما يجب أن تكون ملائمة لمستوى الطلبة،وتأخذ بعين الاعتبار الفوارق الذهنية بينهم وميولهم،وبالنسبة إلى المادة، يجب أن نحدد بدقة ماذا يجب أن ندرس في مقررات اللسانيات فليست كل فكرة قابلة للتعليم، فهناك من المبادئ ما يزال غامضا عند أصحابه فما بالك بالمتعلم المبتدئ !كما يوصي المنهج بتحديد الفترة الدراسية الخاصة بهذه المادة ؛ فالمواد لا يجب أن تتساوى في الفترة الدراسية، والأنسب أن تحدد الفترة بطبيعة المحتوى، وكم المعلومات المتميزة من مادة دراسية إلى أخرى، وذلك حفاظا على القدرات الذهنية للطالب، فقد ألمعت دراسات حديثة إلى إمكانية الإصابة بالتخمة الذاكرية في حال تلقي كمّ هائل من المصطلحات الغامضة باستمرار،وبالنسبة إلى المدرس يمكنه استثمار مفهوم البراجماتية في العملية التعليمية، ومعنى ذلك ألا يقدم المعرفة لذاتها بوصفها شكلا استاطيقيا statique وحقيقة ثابتة، بل يقدم المعرفة اللسانية لوظيفتها في حياة الطالب بوصفه مشروع مدرس لغة في المستقبل أو باحث لغوي، ومن ثم يسعى إلى إثراء موقفه التعليمي بالمشكلات الخاصة بتطور المدارس وتبلور نظرياتها، وتحديد مصطلحاتها لتنمو شيئا فشيئا القدرة التحليلية لدى الطالب فيبتعد عن الحفظ والتجميع الذي غدا هدفا تعليميا.

ج- بالنسبة إلى الأسلوب، يمكنه في الطريقة نفسها أن يقدم المحتوى من خلال أساليب مختلفة، كأن يختار أمثلته من الواقع الذي يعيشه الطالب، ومن أهداف هذا الاختيار رفع الملل عنه وتحقيق الانسجام النفسي مع المادة الدراسية. فعوض أن يختار جملة مثل : رأيت أسدا في الحمام، ليحللها إلى مكوناتها



استبيان الرضا عن الدراسة في مقررات اللسانيات

الاسم (اختياري) :   السن :

التخصص :   الجنس :

تنوير :

إن الغرض من هذا الاستبيان هو معرفة درجة رضا الطالب الجامعي المنتمي إلى قسم اللغة العربية وآدابها بإحدى الجامعات المختارة عن المادة الموضوع من موضوعاتها ، وطريقة تدريسها والوسائل البيداغوجية المستعملة ، وتكون الإجابة بعد قراءة كل قضية ، ثم وسمها في الخانة بالعلامة الرياضية (+) الموجبة ، كدليل على القبول :

	درجة القبول				
	معارض جدا	معارض	لا أعلم	موافق	موافق جدا
يتفق البرنامج مع ميولي					
أجد صعوبة في تكيفي مع الدراسة في المادة					
محتويات المقرر مرضية					
إقبالي على المقياس ذو قيمة					
لو خيرت بين هذه المادة وأخرى أتركها					
المعلومات قليلة يمكن أن يليها مقياس آخر					
تقويم الأداء غير مرض					
المادة تفتح آفاق للدراسات المعمقة					
المادة تحتاج إلى وسائل إيضاح					
صعوبة مصطلحات المادة ولغتها					
أجد صعوبة في التفاهم مع الأستاذ					

المراجع الأساسية

الموالية، يمكنه أن يختار جملة ج- يجلس الطالب مع زملائه في النادي كل مساء (٦).

المراجع الأساسية

- تتأسس هذه الدراسة الواصفة لإشكاليات تلقي اللسانيات في المرحلة الجامعية على تجربة خاصة في تدريس هذه المادة لطلاب قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود للسنوات ١٤٢٧/١٤٢٨هـ.

١- عبدالرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات مجلد ٤، سنة ١٩٧٤م ، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر.

٢- عبدالرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص ٤٢ .

٣- عبدالسلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ، ١٩٨١م ، ص ١٥ بتصرف شديد، وانظر جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، ط جامعة حلب، ١٩٨١م، ص ١٢ .

٤- محمد حسن عبدالعزيز، مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٤٤ .

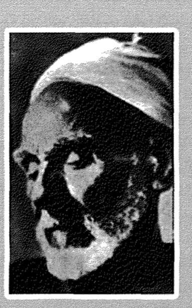
٥- محمد صلاح الدين مجاور وآخرون، سيكولوجية القراءة، القاهرة، دار النهضة ١٩٦٥م، ص ١٠ - ١٢ . وحسن شحاته، القراءة إشراف أحمد حسن اللقاني، مركز الكتاب للنشر، ط ٢/ ١٩٨٦م.

٦- تطمح هذه الدراسة المختصرة إلى تعميق البحث في إشكالية تلقي المعرفة اللسانية الحديثة في الجامعة السعودية، ويمثل الاستبيان التالي نقطة الانطلاق.

غياب الرؤية الكلية لهذا المنهج - الهدف والغاية - شكلت نقطة ضعف في توصيل المادة..

حول التفسير العلمي للقرآن الكريم

"الجواهر": للجوهري



كثير منا لا يعرف إلا النذر القليل عن الفيلسوف الحكيم، العلامة المجدد الشيخ طنطاوي جوهري؛ على الرغم من أنه يعد أول عربي رشح لجائزة نوبل عام ١٩٤٠م؛ حيث عدوه من رواد المصلحين الداعين إلى السلام العالمي، ولكن القدر كان أسبق، فوقف كل شيء في هذا الصدد؛ نظراً لأن جائزة نوبل لا تمنح إلا لعبقري يكون على قيد الحياة!



أ.د. محمد السيد علي بلاسي

- مصر -

عضو المجلس العالمي للغة العربية

ولد الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري بمصر عام ١٨٦٢م بإحدى قرى مديرية الشرقية وتلقى تعليمه في الأزهر الشريف. وفي عام ١٨٨٩م انتقل إلى مدرسة "دار العلوم" وظل يدرس بها حتى تخرج فيها عام ١٨٩٣م. وهناك درس مبادئ المواد الحديثة التي لم تكن مقررة في الدراسات الأزهرية: كالحساب والهندسة والجبر والفلك وعلم النبات والطبيعة والكيمياء..إلخ.

عُين العلامة الشيخ طنطاوي جوهري سنة ١٩١١م مدرساً للتفسير والحديث بمدرسة دار العلوم، واختير - أيضاً - ضمن هيئة التدريس بالجامعة المصرية القديمة حين إنشائها؛ ليلقي بها محاضرات على طلابها في الفلسفة الإسلامية.

وفي ذلك الحين طلب للقضاء ولم يقبل!

وفي عام ١٩٢٢م تخلى الشيخ طنطاوي عن التدريس لبلوغه السن القانونية للمعاش، ومنذ ذلك الوقت انقطع للتأليف وأخذ يواصل الكتابة بأسلوبه الحلو الرزين الرصين، ويرسل في أبحاثه بنظراته الفاحصة العميقة، ويفيض من علمه المتمكن الغزير؛ فصنف الكتب الكثيرة التي تربو على الثلاثين، تَوَّجها بتفسير "الجواهر": التفسير العلمي للقرآن الكريم (١)..

لم يكن الشيخ طنطاوي عالماً كسائر العلماء، بل كان ممتازاً في كل النواحي؛ فهو عالم دين إسلامي، وطني، وهو عالم اجتماعي عالي، جمع بين الثقافتين الدينية والحديثة، ومزج المسائل الدينية بالآراء الاجتماعية والسياسية..

جاهد حق الجهاد بعلمه وبرأيه في رفعة شأن الإسلام، والانتصار لمبادئه مظهراً أنه دين العقل والتجديد لا دين التسليم والتقليد، يرمي في كل أحاديثه وتأليفه إلى التوفيق بين العلم وما جاء به القرآن، وإلى أن العلم إذا حسن فهمه كان أداة صالحة لتفهم روح الدين..

كان من أخلص المخلصين لقضية البلاد واستقلالها من فجر النهضة إلى وقت وفاته، فهو أحد قادة النهضة السياسية والدينية، ومن رؤساء الحركة السياسية والاجتماعية (٢).

ولقد قرظته الجمعية الآسيوية الفرنسية في مجلتها عام ١٩٠٨م؛ حيث ذكرت - فيما ذكرت -: "إن الشيخ طنطاوي جوهري رجل فيلسوف حكيم بقدر ما هو عالم بالدين. وبهاتين الصفتين فسر القرآن الذي أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة



الجواهر في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

الجزء الأول

(تنبيه) إن شاء الله: بعد تمام طبع التفسير سنتبعه « بملحق » لتفصيل ما أجمل فيه من العلوم الكونية والأحكام الشرعية واختلاف المذاهب فيها . المؤلف

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية - في شوال ١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

للطباع البشرية، وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة، بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور، وجمدوا على الألفاظ جموداً معيباً أدى إلى انحطاط المدارك الإسلامية في العصور المتأخرة؛ فانحطت بذلك الأمم الإسلامية عموماً في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى إنه لا يخص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة، بل إنه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والإطلاع على الحقائق من أي دين وأي نحلة ببلاد الشرق؛ لأن بحثه عام في الكائنات، ونداءه عام حتى يلحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعلوم المدنية والحضارة.."أ.هـ.

وورد في "صحيفة دار العلوم": أن التركستانيين لما استقلوا استقلالاً تاماً وأقاموا جمهورية إسلامية وأنشأوا المدارس والجامعات- اتفقوا على أن يسموها باسم الشيخ طنطاوي جوهري؛ فسموها "جامعة طنطاوية" و"مدارس جوهرية"، وألف زعماؤهم وعلماؤهم كتباً في لغتهم للتدريس في هذه الجامعات والمدارس باسم المترجم له مثل كتاب "القصائد الجوهرية": لأنه في عقيدتهم حجة الشرق وفيلسوف الإسلام(٣).

"الجواهر" أول تفسير علمي للقرآن الكريم:

وفي هذا التفسير طبق الشيخ طنطاوي جوهري القرآن على النظريات الحديثة، أو استخراج النظريات العلمية من نصوص كتاب الله، فجاء مزيجاً من علوم الأمم قديمها وحديثها. مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية.

وكان هذا التفسير المتفرد آخر مؤلفات الشيخ طنطاوي، فكان ختام المسك، وقام بتدوينه- بدون توقف- من عام ١٩٢٢م حتى عام ١٩٣٥م في ٢٥ مجلداً كبيراً، ثم كتب المجلد السادس والعشرين لاستدراك ما فاته في التفسير(٤).

الجوهري كان موسوعياً.. وسخَّر موسوعيته في تفسير القرآن الكريم..

ولقد كان تفسير الشيخ طنطاوي "الجواهر"- تفسيراً عجيباً حقاً، تنقل فيه بين فنون من العلوم والمعارف، يعجب القارئ لإلمامه بها على تفاوت ما بينها. وكان عملاً رائعاً لم يظفر التاريخ الإسلامي - منذ قرون خلت - بمثله. وأما المنهج الذي انتهجه في هذا التفسير فلن يصل إليه إلا الأفذاذ من أهل العلم وأصحاب العقول الراجحة (٥).

ولعل هذا كله؛ ما دفع الكاتب الصحفي المعروف، الأستاذ رجاء النقاش، أن يقول: "وتفسير الشيخ طنطاوي جوهري للقرآن الكريم أعجب تفسير قرآني عرفه العقل العربي على الإطلاق؛ فالتفسير كله ينادي بأن القرآن يطلب من الإنسان أن يتوسع في شتى أنواع المعرفة وأن ينظر في كل العلوم نظرة عميقة؛ ولذلك استعان الشيخ طنطاوي في تفسيره للقرآن بصفحات كاملة من صور التشريح والحيوانات والنباتات والخرائط: كل ذلك ليثبت أن القرآن يدعم الروح العلمية ويؤكدها، ويدعو إليها دعوة عميقة وصريحة"(٦).

وقد ترجم تفسير الجواهر إلى اللغة الأوردية. وفيه من الصور الشمسية ما يزيد على ألف صورة يتبين بها القارئ عجائب الحيوان والشموس والأقمار والنجوم وصور النبات والحيوان وعجائب العين مصورة، والدماغ وعجائبه. وفي تفسير قوله تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}(٧) نرى صورة المخ موضحة، وكم في الكتاب من معجزات أظهرها العلم الحديث في هذا التفسير!"(٨)

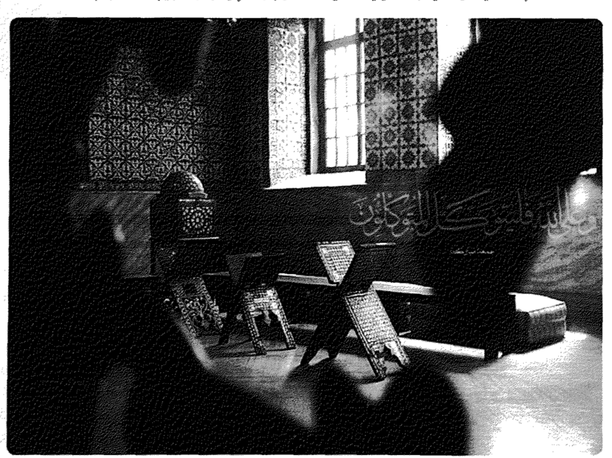
وكان لهذا التفسير العظيم في الشرق الأقصى وفي إيران بوجه خاص - سمعة طيبة وشهرة واسعة النطاق، حتى لقد أخبر علماء إيران أن الكتاب يدرسه العلماء لجميع الطلاب وهو دائرة معارف

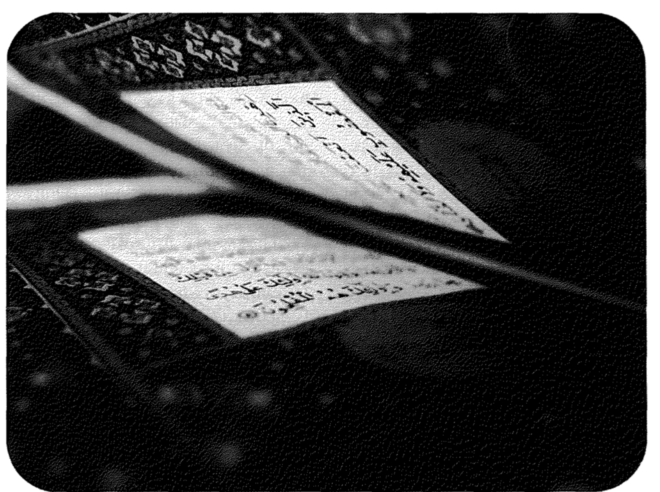
عامة. وقال العلامة أبو عبدالله الزنجاوي: إن طلاب العلوم الحديثة في مدارس إيران يقرءون هذا التفسير وبه وحده زالت عنهم الشكوك والوساوس في الدين، كما أن علماء الوعظ يخطبون به على المنابر هناك.

وانتشر هذا التفسير انتشاراً عاماً في السودان وشمالي إفريقيا وبلاد جاوة. وأقبل أهل الهند على هذا التفسير إقبالاً عظيماً(٩).

الباعث على تأليف "الجواهر":

يشرح هذا الشيخ طنطاوي جوهري في استهلال تفسيره: إذ يقول: إني خلقت مغرماً بالعجائب الكونية، معجباً بالبدائع الطبيعية، مشوقاً إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات، وغرائب باهرات.. ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية، وتعاليمها الدينية؛ ألفيت أكثر العقلاء، وبعض أجلة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم، وما أودع فيها من الغرائب؛ فأخذت أؤلف كتباً لذلك شتى، كنظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصع، وجمال العالم، والنظام والإسلام، ونهضة الأمة وحياتها، وغير ذلك من الرسائل والكتب. ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنيع.. وتقبلها أجلة العلماء قبولاً حسناً، وترجم منها الكثير، لكن كل ذلك لم يشف مني الغليل، ولم يقم على غنائه من دليل: فتوجهت إلى ذي العزة والجلال، أن يوفقني أن أفسر القرآن، وأجعل هذه العلوم في خلاله، وأتفيأ في بساتين الوحي وظلاله، ولكم طلبت منه- جل جلاله- بالدعوات في الخلوات، وابتهلت إليه وهو المجيب، فاستجاب الدعاء...





مؤملاً بما وقر في النفس، أن يشرح به قلوباً، ويهدي به أمماً، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين؛ فيفهموا العلوم الكونية، وإني لعلى رجاء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليقرأن في مشارق الأرض ومغاربها مقروناً بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية، والبدائع الأرضية: الشبان الموحدون، وليرفعن الله مدنيتهم إلى العلا، وليكونن هذا الكتاب داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة، في الزراعة، والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات؟ كيف لا، وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة عن مائة وخمسين آية!

ولقد وضعت في هذا التفسير: ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق: مما يشوق المسلمين والمسلمات، إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات: في الحيوان والنبات والأرض والسموات. ولتعلمن أيها الفطن: أن هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، وبشارة رمزية، أمرت به بطريق الإلهام، وأيقنت أن له شأناً سيعرفه الخلق، وسيكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض(١٠).

ويضيف الشيخ طنطاوي جوهري في مقال له مبرراً اتجاهه في النظر إلى القرآن: "إن قراءة التشريح والطبيعة والكيمياء وسائر العلوم العصرية ودراسة

عقليته العلمية كانت واضحة جلية في كتابه (الجواهر)..

الحيوان والنبات والإنسان أجل عبادة ولولا قصور علماء القرون الماضية ما ضاع المسلمون وما أحاطت بهم عاديات الدهر، ولا أصابتهم كوارث الحدثان!"(١١).

ويعلق الأستاذ رجاء النقاش، قائلاً: "وهكذا يرى الشيخ طنطاوي جوهري أن الإسلام يدعو إلى العلم ويؤكد الروح العلمية، وأن القرون الماضية قد أدت إلى تدهور المسلمين بسبب "قصور علمائهم" وما أصابهم من تأخر فكري كبير. ويقدم لنا الشيخ طنطاوي تفسيره للقرآن- على أساس منهج محدد، فآيات القرآن تدفعنا إلى التفكير والتأمل، وهو في تفسيره للقرآن- يفكر ويتأمل بوحي من هذه الآيات، وهو لا يقول أبداً بأن النظريات العلمية جاءت في القرآن الكريم، ولكنه يقول: إن اكتشاف قوانين الطبيعة وأسرار الكون أمران يحث عليهما القرآن، ويدعو إليهما دعوة صريحة قوية، وهو يقف أمام آيات القرآن ويربط بينها وبين عجائب الكون التي اكتشفها العلم الحديث دون أن يقول أبداً: إن هذه الاكتشافات بنصها في القرآن".

ويضيف الأستاذ النقاش في مقاله: "إن الحافز الأساسي للشيخ طنطاوي جوهري في هذا التفسير هو إزالة أي وهم بأن هناك تناقضاً بين العلم والقرآن، أو أن القرآن يمكن أن يبرر للمسلمين تخلفهم العلمي أو قصورهم عن اللحاق بأحدث النظريات العلمية والمساهمة في الكشف والاختراع والعمل على الإضافة إلى ما وصلت إليه البشرية في هذا المجال. وتفسير الشيخ طنطاوي يفيض بالحماس للعلم الحديث، بل يجعل طلب العلوم العصرية واجباً دينياً أساساً في حياة المسلمين... ويرفع هذا الاهتمام إلى درجة يقول عنها: إن التأمل في العلوم العصرية والاهتمام بها هو أجل عبادة!

...وهذه الروح الدينية العلمية المتحمسة المشتعلة إنما هي ولا شك روح أصيلة ونبيلة وعالية؛ وهي ما يحتاج إليه العقل العربي أشد الاحتياج!!"(١٢).

منهج الجوهري في تفسيره:

لعل من أكثر من ركز على كونيات القرآن الكريم في العصر الحديث أستاذنا الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره "الجواهر"؛ فقد توسع في مجال التفسير العلمي، وقرر أن القرآن يحوي كل العلوم، وأنه يشير إلى جميع مسائلها؛ ولعله تأثر بأستاذه الإمام الغزالي الذي ألف كتابه "جواهر القرآن" وخصص منه باباً يبين فيه كيف تشعبت العلوم كلها من القرآن(١٣).

فالتفسير قسمان- كما يقول الإمام الشيخ محمد عبده-: "أحدهما: جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيراً؛ وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرها. والآخر: هو التفسير الذي قلنا: إنه يجب على الناس على أنه فرض كفاية وهو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها. وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام؛ ليتحقق فيه معنى قوله {هدى ورحمة} ونحوهما من الأوصاف؛ فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن... وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير"(١٤).

ولم يخرج الشيخ طنطاوي جوهري عن هذا الغرض في تفسيره بل زاد عليه، وأكد هذا بقوله:

"يا أمة الإسلام، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها... هذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه يا ليت شعري! لماذا لا نُعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: الحمد لله، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض؛ لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عين على كل قادر... إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام؛ فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"(١٥).

ولعل هذا ما دفع الدكتورة بنت الشاطئ إلى أن تقول: "وقدم الشيخ طنطاوي جوهري تفسيره (الجواهر) فوجدت فيه الجماهير ما يريحها من مهانة الإحساس الباهظ بالتخلف"(١٦).

ويعلق أحد الباحثين قائلاً: "وهكذا نجد أستاذنا الفيلسوف الإسلامي الشيخ طنطاوي جوهري يفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة، وعلوم جديدة، لم يكن للعرب عهد بها من قبل، فهو يقود المفسرين الذين يأتون من بعده إلى أفضل طرق التفسير، كما فاق من سبقه في ذلك، فأنت ترى الفلك والطب والهندسة والسياسة والاجتماع وكل علم ما في السماء والأرض، وكل ما انتهت إليه الثقافة في مختلف عصورها من أول عهود الثقافة إلى الآن، من عهد "أفلاطون" إلى عهد "كانط" - كل أولئك مذكور في هذا التفسير بأجلى بيان، موضح بأعظم توضيح، ولا غرو فالأستاذ يفيض علماً ونوراً، لأنهما يصعدان عن علم عامل بما يقول، وعن عقيدة هي بقية من بقايا السلف الصالح المختار"(١٧).

هذا: وقد سمى الشيخ طنطاوي تفسيره: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم": لأنه يجعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل، والجوهرة يتفرع عنها الماسة الأولى والماسة الثانية وهكذا...

وطريقته في تفسير القرآن: أن يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها، ثم يتلوه بالشروح والإيضاح والكشف: أي أنه يشرع متوسعاً في الفنون العصرية المتنوعة(١٨).

وإليك طرفاً من تفسيره للبسملة من سورة الفاتحة - كأنموذج -، فيقول: "نزلت هذه السورة لتعليم العباد: كيف يتبركون باسم الله - عز وجل - في سائر أحوالهم، وكيف يحمدونه ويستعينون به؟ فيبتدئ القارئ قائلاً: أقرأ متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلائل النعم: كالسموات والأرض والصحة والعقل، الرحيم المنعم بدقائقها، كسواد العين، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذي لها، مع أن النور يلمع من خلالها، وينقل صور المرئيات إلى حدقتها فشبكيتها، فالدماغ، فهذه الدقة في الصنع والحكمة في الوضع التي أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلاً أن يلج ومنعت الغبار أن يدخل، يعبر عنها بلفظ الرحيم تتميماً للنعمة، وتكميلاً للهناء والسعادة.

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم، ولا يعرف نفسه إلا قليل منهم، وهم أكابر الحكماء والأولياء: وجب أن أبين في هذا المقام - بعض رحمة الله - عز وجل - في العالم المشاهد..

ومن هذه العجائب: ما شاهده العلماء الباحثون في أمر النحل والنمل والعنكبوت، (فأما النحل): فتعجب كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلاً مذللة، فإنه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ويرجع به إلى الخلية فيضعه فيها، يلهم أن لا يفتح زهرة في ذلك اليوم، إلا ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس، أما رحمة النحل، فإنه لا يعوزه أن يحتال في فتح زهرات أخرى من نوع آخر، فيطول عناؤه، وأما رحمة الناس: فإن ما يعلق برجلي النحلة من حبوب طلع

عند إعادة طبع هذا الكتاب القيّم ينبغي أن يشترك في مراجعته وتدقيقه كوكبة من علماء العلوم الكونية والدينية واللغوية..

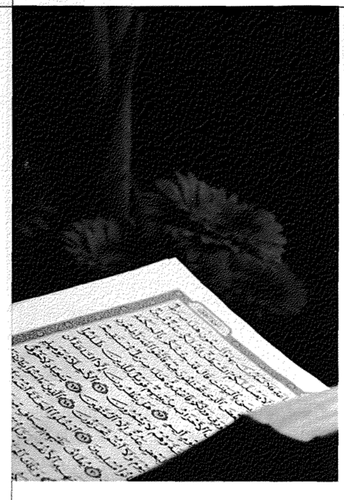
الذكور من النبات، إذا وصل إلى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه؛ فأثمر ذلك النبات لحصول الإلقاح بهذه الرحمة العجيبة.

(وأما النمل): فمن عجائب الرحمة الخاصة به: أنّ الله خلق له حشرة تسمى (افس) - باللسان الإفرنجي- يحار بها النمل ويغلبها، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسمنها في ورق الورد ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها مادة حلوة. فكأنه بقر له يشرب لبنه!

(وأما العنكبوت): فإنها ألهمت النسيج البديع بهندسة فاقت هندسة الإنسان، وعلل ذلك العلماء بقولهم: إنها هندسة إلهية، وهندسة الإنسان بتعليم البشر، فلذلك يغلط الإنسان، ولا يغلط العنكبوت في الهندسة. ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت: ألهمها الله أن تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها خيوطها التي نسجتها فتكسبها لزوجة، فلذلك لا تمزقها الرياح إذا فاجأتها، ولا الأعاصير إذا ساورتها، وإذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة!

فانظر إلى آثار رحمة الله: كيف كانت المادة الصمغية صائنة بيت العنكبوت الضعيف من التمزيق إذا هبت الزعازع، واهتاجت الأعاصير مع أنها قد تقتلع الأشجار وتخرب المساكن، ثم تكون شبكة صائد وحيلة محتال، هذه هي الرحمة والحكمة.

وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى إليهم أن يُعَلِّموا العبادَ كيف يتبركون باسم الله في أول أعمالهم؟ كالقراءة والأكل ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التي عمت سائر العوالم، فيمتلئ قلب العبد إيقاناً بالرحمة، واستبشاراً بالنعمة، وفرحاً برحمة

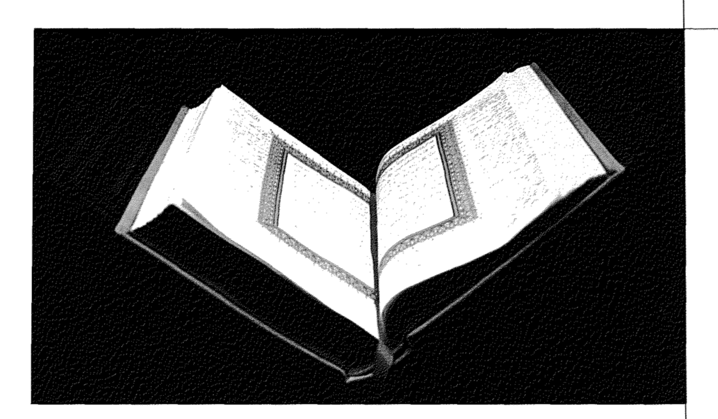


الرحمن الرحيم.

فإذا ابتدأ القارئ بالتسمية، وامتلأ قلبه بتلك الرحمة، فلا جرم ينطلق لسانه بالحمد، بعد أن أفعم قلبه بالإجلال: فيقول: الحمد لله...(١٩)

هذا: ومن اللمح اللطيفة في تفسير "الجواهر" - وكله لطائف- ما ذكره الشيخ طنطاوي جوهري في استهلاله سورة آل عمران، عندما تناول تفسير الحروف المقطعة؛ حيث أفرد مبحثاً شائقاً بعنوان: (الأسرار الكيميائية في الحروف الهجائية للأمم الإسلامية في أوائل السور القرآنية)، قال فيه: "انظر رعاك الله، تأمل، يقول الله: أ ل م- أ ل ر- ط س- ح م.. وهكذا.

يقول لنا: أيها الناس إن الحروف الهجائية إليها تحلل الكلمات اللغوية. فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية سواء أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية شرقية وغربية، فلا صرف ولا إملاء ولا اشتقاق إلا بتحليل



الكلمات إلى حروفها ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها؛ وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون.

ولا جرم أن العلوم قسمان: لغوية وغير لغوية، فالعلوم اللغوية مقدمة في التعليم لأنها وسيلة إلى معرفة الحقائق العلمية من رياضية وطبيعية وإلهية، فإذا كانت العلوم التي هي آلة لغيرها لا تعرف حقائقها إلا بتحليلها إلى أصولها فكيف إذن تكون العلوم المقصودة لنتائجها المادية المعنوية؛ فهي أولى بالتحليل وأجدر بإرجاعها إلى أصولها الأولية، لا يعرف الحساب إلا بمعرفة بسائط الأعداد، ولا الهندسة إلا بعد علم البسائط والمقدمات، ولا علوم الكيمياء إلا بمعرفة العناصر وتحليل المركبات إليها، فرجع الأمر إلى تحقيق العلوم"(٢٠).

دعوة صادقة لأولي النهى:

إن "قراءة هذا التفسير- ولا شك- تجربة فكرية ممتعة ورائعة، وكنت أتمنى أن يعاد نشر هذا التفسير اللامع ليكون بين أيدي القراء المعاصرين بصورة سهلة ميسرة؛ فهذا التفسير ولا شك يساعد المتدينين جميعاً على أن تكون لديهم حاسة علمية وشغف بالنظريات العلمية والكشوفات والمخترعات المختلفة، كما أن هذا التفسير يساعد أصحاب النظرة العلمية المجردة على أن تكون لديهم مشاعر دينية عميقة حتى من خلال دراساتهم العلمية المتخصصة، فهو تفسير يستخرج (الروح العلمية) من الدين، ويستخرج (الروح الدينية) من العلم!"(٢١).

ومن العجيب أن كل من تصدى لتفسير القرآن تفسيراً علمياً في هذا الزمان لا يذكر الرائد الأول في هذا المجال وهو الشيخ طنطاوي جوهري، ولا تفسيره العظيم الذي نحن بصدده؛ لذا نرى من واجبنا أن نستحث الهيئات الإسلامية لعل واحدة منها- كمجمع البحوث الإسلامية أو غيره- تتبنى إعادة طبع هذا التفسير الجليل الذي فاق سواه بما جمع من شتى النواحي العلمية والكونية؛ لينتفع به المسلمون في جميع بقاع العالم(٢٢).

هذا، ومع تقديرنا لقيمة فكر الشيخ طنطاوي جوهري ودوره العظيم في تفسيره، إلا أننا نرى أنه يحتاج- قبل إعادة طبعه- إلى تحقيق، خاصة فيما يتصل والجوانب العلمية فيه؛ حيث تضاعف العلم الحديث ونظرياته مرات ومرات منذ إعداد هذا

التفسير في العشرينيات من القرن الماضي وحتى اليوم، ولكن.. حسب الشيخ أنه ذكر في تفسيره كل ما وصل إليه هذا العلم حتى عهده!

لذا نقترح أن يوكل الأمر قبل إعادة طبع هذا التفسير الرائع- إلى لجنة تتكون من كبار العلماء في شتى ألوان العلوم الكونية؛ بحيث يدلي كل منهم بدلوه في تخصصه، ولا شك أنهم بهذا سيضيفون إضافات جليلة - لما ورد في هذا التفسير- مما وصل إليه العلم الحديث مؤخراً؛ وبذلك تكون الفائدة أعم وأشمل وأقرب لأبناء القرن الحادي والعشرين..

رحم الله الإمام المجدد، المصلح الكبير، العلامة الشيخ طنطاوي جوهري- رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين ..فقد قَدَّم للإنسانية هذا التفسير العظيم، وأفادها من منبع علمه، وفيض معرفته.

الهوامش:

(١) الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: د. عبدالعزيز جادو، ص١١ وما بعدها، - باختصار-، ط. دار المعارف، د.ت.

(٢) تقويم دار العلوم: لمحمد عبدالجواد، ص١٩٤ .

(٣) ينظر؛ الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: ص٤١ .

(٤) يراجع: *المرجع السابق*: ص٣٨.

(٥) ينظر؛ نفس المرجع: ص٥٦ .

(٦) من مقال: "تفسير للقرآن بالخرائط والصور: للأستاذ رجاء النقاش، مقال منشور بمجلة: "المصور"، بتاريخ ٣ من نوفمبر عام ١٩٧٢م.

(٧) سورة الذاريات: آية ٢١ .

(٨) الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: ص٣٨ .

(٩) المرجع السابق: ص٣٨، ٣٩ .

(١٠) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات): للأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري، ١/ ٢، ٣ الطبعة الثانية- مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٠هـ.

(١١) من مقال: "تفسير للقرآن بالخرائط والصور: للأستاذ رجاء النقاش، المنشور في مجلة: "المصور"، بتاريخ ٣ من نوفمبر عام ١٩٧٢م.

(١٢) المرجع السابق؛ فراجعه تجد مزيداً من التفصيل.

(١٣) الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: ص٥٥ . وينظر؛ جواهر القرآن: للإمام الغزالي، ص٣١، ٣٤ .

(١٤) تفسير المنار: ١/ ٢٢ط. الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٧٢م.

(١٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم: ٣/ ١٩ .

(١٦) القرآن والتفسير العصري: للدكتورة بنت الشاطئ، ص٣٩ (سلسلة اقرأ ٣٣٥، نوفمبر ١٩٧٠م) ط. دار المعارف.

(١٧) الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: ص٥٩ .

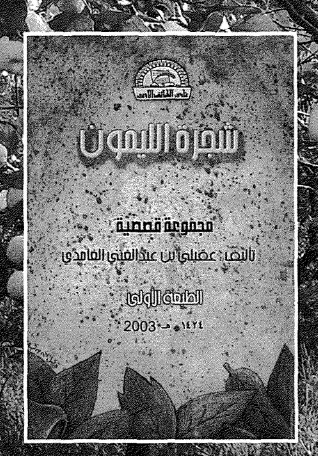
(١٨) المرجع السابق: ص٥٦، ٥٧ . وينظر؛ اتجاهات التفسير في العصر الحديث: للدكتور عبدالسلام المحتسب، ص٧٢، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٣م.

(١٩) الجواهر في تفسير القرآن الكريم: ١/ ٣-٥ .

(٢٠) المصدر السابق: ٢/ ١١

(٢١)من مقال الأستاذ رجاء النقاش بعنوان: "تفسير القرآن بالخرائط والصور": منشور بمجلة "المصور"، بتاريخ ٣ من نوفمبر عام ١٩٧٢م.

(٢٢) الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص: ص٥٩



قراءة في قصص (شجرة الليمون) لعقيلي الغامدي

علي خضران القرني - الطائف

للقصة الواقعية مذاقها الخاص لدى المتلقي، وتفاعلاتها التي تستهويه وتكشف له مكامن الإبداع في مجرياتها، لأن كاتبها يستوحي أحداثها وشخوصها من واقع بيئته ومجتمعه، فتأتي معبرة للحدث الذي تمثله.. صورة وفكرة وهدفا؟

• ومن هذا الاتجاه أجدني ميالا في قراءاتي القصصية للواقعية منها؟ لأنها تصور الواقع الذي نحن عليه؟ والقاص الناجح - في نظري - هو من يعيش هموم أمته ويتفاعل مع آلامها وآمالها.

• و(شجرة الليمون) مجموعة قصصية قصيرة للقاص عقيلي الغامدي تقع في (١١٠ صفحة من القطع المتوسط صدرت عن نادي الطائف الأدبي عام ١٤٢٤هـ).

• وهو قاص واقعي له مشاركات في العديد من الأندية الأدبية والجمعيات الثقافية والصحف المحلية من أولى إصداراته في هذا المجال (الأخطبوط.. والمستنقع) مجموعة قصص قصيرة صدرت عن نادي الطائف الأدبي عام ١٤٠٧هـ وتسير في أشخاصها وأحداثها على نسق أقاصيص شجرة الليمون مدار حديثنا هذا.

• لقد عشت سويعات ماتعه عبر قصص هذه المجموعة فألفيتها جيدة في أفكارها.. هادفة في مدلولاتها.. وقد اخترت قصة (المقعد الخلفي) وهي القصة الثانية من قصص المجموعة ص (١٧) كأنموذج لأنها تعالج بوضوح بعض السلبيات والمشكلات التي نعيشها ونلمسها في تعاملاتنا اليومية؟

• فالمسؤول - أي مسؤول - يواجه بعد تقاعده العديد من المواقف؟ سواء من رفاقه في العمل أو من خارجه، فعندما كان على الكرسي كان محاطا بهالة من التعامل المتميز.. وعبارات الثناء الرنانة.. لكنها لا تلبث أن تزول وتتلاشى بعد مغادرة الكرسي؟

• وقد نسي هذا المسؤول أن تلك الهالة والعبارات الفضفاضة والحفاوة المصطنعة أنها وقتيه فقط؟

• والمسؤول المخلص الواثق من نفسه لا يأبه بمثل هذه الخلفيات لأنها واقعة لا محالة وهو أدرى بها من غيره ويعرف كيف يقابلها ويتعامل معها؟

• والقاص في قصة (المقعد الخلفي) يصور نفس المشهد: مدير إدارة تقاعد وقوبل بنفس المعاملة من بعض مَنْ كانوا تحت إدارته ومن خارجها وهي سلوكيات غير مستغربة في حياة المسؤول - أي مسؤول - قديما أو حديثا؟

• لكن بعض المسؤولين قد يستسلم لها فتودي بحياته للانطوائية والانعزالية والأوهام وربما بعض الأمراض غير المتوقعة؟

• وددت لو أسميت المجموعة باسم هذه القصة لجودة فكرتها وملامستها لواقع يجري في حياتنا اليومية؟ ولعل للقاص عذره في اختيار غيرها؟

• إن مجموعة قصص (شجرة الليمون) نابعة من واقع المجتمع والحياة.. وهي تعالج العديد من القضايا والمشكلات الاجتماعية التي لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات بأسلوب سهل، لا يشوبه التعقيد أو الإيغال في الرمزية.

• وخاتمة القول: يتبين لنا من قراءة قصص هذه المجموعة وما سبقها من قصص أن القاص عقيلي الغامدي.. يدخل بمجموعتيه (شجرة الليمون) و(الأخطبوط والمستنقع) مدرسة الواقعية من أوسع أبوابها.. ويسير في ركب كتاب القصة المشاهير في مجالها.. وقصصه مؤهلة لأن تدخل عالم المسلسلات الاجتماعية عبر الإذاعة والتلفزة.. للمعاني السامية التي تدور حولها وتعالجها بأسلوب سهل ورؤية هادفة في المعنى والمدلول. ومن سار على الدرب وصل.

الكلمات.. على توالي العصور

فاروق صالح باسلامة - جدة

الكلمات المعبرة عن فكر الإنسان هي التي تخلد على مدى الأيام. تلك أنها لا تعبر عن الفكر فقط بل إنها تسلك في كيان هذا الإنسان مسلك الدم في دورته وتدخل فيه مدخل الغذاء في أوردته، فيشعر آنئذ بالانتشاء ويحس عندئذ بالامتلاء. ولكن مهلاً فإن هذا ليس تشبيهاً للكلمة أو الفكرة الإنسانية بالمادة أو الغذاء بل هو تعبير عنها بالصلابة والقوة ليس إلا..!. فالكلمة ذات قوة معنوية هائلة الفكرة وكبيرة المعنى وعظيمة الأثر في مشاعر الآخرين المستمعين أو القراء عندما تصل إلى قرائحهم أو مسامعهم أو أفكارهم لتهز أحاسيسهم من وقعها الطيب عليهم وأثرها الجميل على قلوبهم وأفئدتهم.

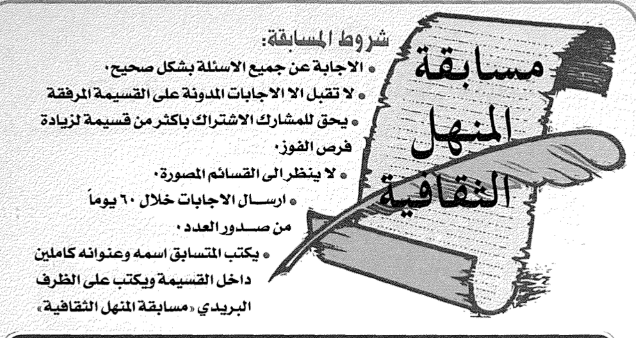
والكلمة ذات دلالة لغوية على معاني الحياة، ومعنى على مغانيها وربوعها الحيوية في الماضي والحاضر، والغائب والطاريء، وفي الفرح والترح وفي العلم والعمل وفي الفكر والشعر وفي الصناعة والطبع، فتأتي الكلمات سارية في ربوع الفكر هذا لتبين للناس معاني الحياة وليكتشف الإنسان أن الكلمة فكرة بل إنها الحياة في الكون الكبير.

كما أن الكلمة قد تأتي شاعرة بل هي كذلك تشعرك بحيوية الحياة ونكهتها الطيبة وقد يرى الناقد الأدبي مالا يراه اللغوي أو النحوي، لذا قال بعض النقاد إن الشعر العربي بدأ بأمير وانتهى بأمير. يقصدون بالأول الشاعر امرأ ألقيس وبالثاني الشاعر ابن المعتز العباسي.

وليس هذا بغريب فقد قال ناقد آخر: بدأت الكتابة بعبدالحميد وانتهت بابن العميد، فانظر إلى جمال الكلمة كيف يحدد ميزتها النقاد ويميزها الكتاب ويتذوق جودتها الأدباء والحكماء.

وفي العصر الحديث قيل لأحمد شوقي أمير الشعراء كما قيل عن طه حسين عميد الأدب العربي.

فأين كتاب اليوم وشعراؤه؟ خاصة بعيد رحيل الأعلام!!!



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة	المبلغ	الجائزة	المبلغ
الجائزة الاولى:	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

لطفاً رجاء كتابة رقم المسابقة على الظرف

نتائج العدد ٦٠٨

الفائــزون :

الجائزة الأولى :	حســـن محمـد الحسـن	السعـودية
الجائزة الثانية :	مروان عبدالحميد شقاوي	الأردن
الجائزة الثالثة :	سـيد عمر سـيد أحمـد	مـصـر
الجائزة الرابعة :	سـمية عمـر شـيـخ	السـودان
الجائزة الخامسة :	خـالد محسـن عيـد	السعودية
الجائزة السادسة :	شـفيق حسـني محمد	مـصـر
الجائزة السابعة :	مـديحـة الصـغادي	تـونـس
الجائزة الثامـنة :	سـعيـدة فـاتـح	الإمـارات
الجائزة التاسعة :	صـالح عبدالله الصالح	الـكويـت
الجائزة العاشرة :	محمـد زاهـر الذهـدي	ليـبـيـا

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية لعدد (٦١٠) في العدد (٦١١) ·· وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين·

قسيمة مسابقة العدد (٦١٠)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة··

١ . كتاب على "فراش الموت" تأليف:

☐ طاهر الطناحي ☐ جمال بدوي

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



صدر لـ السيد ضياء محمد عطار. ديوانان هما (رفع اللثام بمنظومة أمراء البلد الحرام) ويشتمل على أسماء من تولى إمارة البيت الحرام بدءاً من سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام مروراً بعهد جرهم ثم خزاعة ثم قريش ثم العهد النبوي المبارك ثم من تعاقب عليها في الإسلام وإلى اليوم و(تحقيق الأمنية بمنظومة أمراء مدينة خير البرية صلى الله عليه وسلم) فيشتمل على أسماء أمراء طيبة الطيبة بدءاً من العهد النبوي المبارك ثم من تعاقب عليها إلى اليوم. وهما منظومتان جديدتان في بابهما. وبلغت أبياتهما نحو بضع وسبعمائة بيت من الشعر. وقد طبعتا بحلة فاخرة في مجلد واحد مع تقاريظ ثلة من العلماء والمختصين ويمكن طلبها عبر المجلة أو من الناظم على العنوان الموضح أدناه بقيمة (٣٥) ريالاً للنسخة الواحدة أو مايعادلها لخارج المملكة ما عدا أجرة البريد.

المدينة المنورة ص ب (٦٠٣٦) جوال: ٠٥٥٧٣٨٦٢٢٩

عرض خاص

بمناسبة دخول المنهل عامها ٧٤

اشـــتراك في مجلة المنهل للأفـــراد كالتالي:

- ☐ سـنة واحـدة ———— ١٠٠ ريال
- ☐ ســـنتان ———— ١٥٠ ريالاً
- ☐ ثلاث سنوات ———— ٢٠٠ ريال

- ☐ مجموعة كتب المؤسس عبدالقدوس الأنصاري (يرحمه الله) وهي:

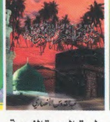
فقط بـ ٧٥ ريالاً

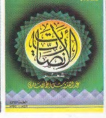


التــوأمان



أثار المدينة المنورة


طريق الهجرة النبوية


الأنصاريات




إصلاحات في لغة الكتابة والأدب

أدبنا الحديث.. كيف نشأ، وكيف تطور

فقط بـ ٤٩ ريالاً



- ☐ CD كشاف المنهل للفترة من ١٩٣٧ - ٢٠٠٧م

ترسل القسيمة أو طلب الشراء بشيك باسم مجلة "المنهل" أو ايداعها في حساب المجلة رقم (١٠٥١٦٠١٧٠٠٠١٠٢) بالبنك الأهلي التجاري - جُدة واشعارنا بذلك على الفاكس رقم: ٠٢٦٤٢٨٨٥٣

للاستفسار: يرجى الاتصال على: ٠٢٦٤٣٢١٢٤

مع تحيات .. دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة المركز الرئيسي (جُدة) رمز بريدي ٢١٤٦١ - ص. ب ٢٩٢٥

هاتف: ٠٢٦٤٣٢١٢٤ - فاكس: ٠٢٦٤٢٨٨٥٣

البريد الإلكتروني : E-mail: info@al-manhalmagazine.com

عنوان الموقع : WWW. al-manhalmagazine.com